

مَدَامُ السَّامِعِينَ

٦٣

الإمام علي بن أبي طالب عنه

المحدث الفقيه والأديب الشاعر

الدكتور

أحمد عبد الله الباتلي عنه

دار الفقه
دمشق

أَعْلَامُ الْمَسْعُومِينَ

٦٣

الإمام الخليلي

المحدث الفقيه والأديب الشاعر

الدكتور

أحمد عبد الباقى

دار الفقه
دمشق

٢٣

الإمام الخليلي
المحدث الفقيه والأديب الشاعر

الطبعة الأولى
١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

حقوق الطبع محفوظة

تطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق: ص ٤٥٢٢ - ت: ٢٢٢٩١٧٧

الدار الشامية - بيروت - ت: ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦

ص ١١٣ / ٦٥٠١

توزع جميع كتبنا في السعودية عبر طريق

دار البشير - جدة: ٢١٤٦١ - ص ٢٨٩٥

ت: ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٦١

هَذَا الرَّجُلُ

إمام فاضل، كبير الشأن، جليل القدر، صاحب التصانيف الحسنة.

الإمام السمعاني

كان بحراً في علم الحديث، وقيل في صفته: جُعِلَ الحديث لأبي سليمان كما جُعِلَ الحديث لأبي سليمان - يعني داود عليه السلام -

الإمام الفخر الرازي

الإمام المجمع على إمامته وتفننه في العلوم وإتقانه وإطلاعه وتحريه وإنصافه.

الإمام النووي

إمام متفق على علمه بالنقل وبالمعاني.
شيخ الإسلام ابن تيمية.

كان علامة محققاً، ثقةً مثبتاً، من أوعية العلم.

الحافظ الذهبي

كان محدثاً، فقيهاً، أديباً، شاعراً، لغوياً، كان من الأئمة الأعيان.

ياقوت الحموي

إهداء ووفاء

مع خالص الدعاء وموفور الشاء . .

أهدي كتابي هذا لوالدي الكريم الأستاذ/ عبد الله بن حمد بن سليمان الباتلي تقديراً لأياديه البيضاء . . وغرته السمحاء، ووفاء لجهده المعطاء . . وتوجيهاته الغراء أقدمه ثمره من ثمار غرسه المبارك إن شاء الله تعالى ولسان حالي يقول : -

ولو أن لي في كل منبت شعرة
لساناً يبث الشكر كنت مقصراً

ابنك : أحمد



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقَدِّمَةٌ

حمداً لك اللهم على آلائك . وشكراً لك على نعمائك .
وصلاة وسلاماً على خاتم أنبيائك ، وأفضل عبادك نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد : فلما كانت السنة النبوية هي المصدر الثاني من
مصادر التشريع الإسلامي .
فهي روضة غناء ، وواحة فيحاء ، فقد تعاقبت الأجيال ، وتتابع
العلماء على خدمتها روايةً وتدويناً ، وشرحاً وترتيباً .
ولا غرو فهي سنة المصطفى ﷺ الذي أمرنا الله بطاعته فقال
تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾
وقوله جل وعلا : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾
ومن هؤلاء العلماء الذين لهم يد طولى في خدمة السنة
المشرفة الإمام أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي ،
المولود سنة (٣١٩) والمتوفى سنة (٣٨٨) هـ رحمه الله تعالى .

فقد عرف بين العلماء وطلاب العلم بشرحه الحافل لسنن أبي داود الذي سماه «معالم السنن»، وبكتابه القيم: «غريب الحديث»، وبسبقة لشرح «صحيح البخاري» في شرحه المطبوع بعنوان: «أعلام الحديث» فهو حامل راية الشروح الحديثية في عصره.

كما عرف رحمه الله بعنايته بالفقه وأصوله من خلال شروحه، كما يشار إليه بالبنان في علوم اللغة العربية لا سيما في شرح غريبها وإصلاح ما تصحّف أو تحرّف من عباراتها من خلال ما وهبه الله من ملكة أدبية وقريحة شعرية. فشخصيته العلمية متعدّدة الجوانب في مختلف العلوم.

لذا لما كان بتلك المنزلة العلمية فقد كان البحث فيه هو موضوع رسالتي في مرحلة التخصّص «الماجستير» في قسم السنة وعلومها بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وقد حصلت عليها بحمد الله تعالى بتقدير «ممتاز» وكانت بعنوان «الإمام الخطابي، وآثاره الحديثية ومنهجه فيها» وقد تمّت مناقشتها مساء يوم الثلاثاء ١٢/١١/١٤١٠هـ.

وتكونت لجنة المناقشة من أصحاب الفضيلة:

د. أحمد معبد عبد الكريم الأستاذ المشارك بقسم السنة وعلومها بكلية أصول الدين بالرياض مشرفاً ومعالي د. أبو لبابة الطاهر حسين، رئيس جامعة الزيتونة، والأستاذ بقسم السنة وعلومها بكلية أصول الدين بالرياض - سابقاً - عضواً ود. محمد

بن عبد الله آل فهيد، عميد كلية أصول الدين بالرياض. شكر الله لهم ما لقيته من ثنائهم وتقديرهم، ونفعني الله بما استفدته من ملحوظاتهم وتوجيهاتهم السديدة.

واستجابة لرغبة كثير من مشايخي النبلاء وإخواني الفضلاء في نشر الرسالة؛ ليتيسر الانتفاع بها لدى طلاب العلم لا سيما وأنه - حسب علمي - لم يطبع كتاب مستقل يتناول حياة الإمام الخطابي بتوسّع، مع التعريف بكافة مؤلفاته وبسط القول في بيان منهجه في المطبوع منها.

فرأيت القيام بذلك رغم قلّة زادي، وقصّر باعي في مجال التأليف. ولما رأيت أنّ الرسالة قد طبعت على الآلة الكاتبة فبلغت ألفاً ومائتي ورقة ١٢٠٠ تماماً. وجدت أنّ هذا العدد قد يصدّ البعض عن قراءتها نظراً لطولها. فعملت على اختصارها اختصاراً مناسباً يفي بالمقصود دون إطالة، فحذفت ما رأيت أنه استطراد، وجمعت الموضوعات المتقاربة في باب واحد، واختصرت بعض المباحث، وأوجزت العزو في كثير مما توسّعت في تخريجه من الأحاديث والآثار، واقتصرت على إحالة القارئ المبتغي التوسّع والاستزادة على أرقام صفحات المواضع التي لم أذكرها. فجاء هذا الكتاب امتداداً لسلسلة أعلام المسلمين رقم «٦٣» الذي أسأل الله عز وجل أن يكون تأليفه خالصاً لوجهه الكريم ويرزقه حسن القبول، فينال استحسان وثناء كل من قرأه أو اطّلع عليه إنه سميع مجيب.

ويعلم الله أنني حرصت كثيراً على الوفاء بكافة متطلبات الكتاب بالترجمة الشاملة لحياة الإمام الخطابي من كافة ما وقفت عليه من مصادر. ثم التعريف بكل ما وقفت عليه من مؤلفات منسوبة للخطابي، والتوثيق من ذلك، ومراسلة مختلف المكتبات العالمية التي في خزائنها شيء من مؤلفاته مع التعريف الدقيق بمؤلفاته المطبوعة في علوم القرآن والسنة وعلومها، والفقه، واللغة والأدب والزهد والسلوك. والتوسع في بيان منهجه فيها من جميع جوانبه في مختلف فنون المعرفة وآرائه في جميع الأبواب، مع التركيز على الموضوعات المتعلقة بالسنة وعلومها. فمؤلفاته متميزة بالأصالة والغزارة العلمية، والفوائد الحديثية والفقهية واللغوية.

وأجدها فرصة مناسبة لحثّ الباحثين وطلاب العلم على العناية بتراجم العلماء، وضرورة الإقبال على قراءة مؤلفاتهم، والاستفادة من آرائهم في مختلف كنوز المعرفة وروافد الحضارة. فندعوا لهم جزاء ما صبروا وصابروا حتى جمعوا لنا هذا العلم العظيم، والتراث الكريم.

كما أعتذر عما يقع من أخطاء وملاحظات، وعذري في ذلك بشريتي الضعيفة كما قال الإمام الخطابي في خاتمة مقدمته «لغريب الحديث»: «وكل من عثر منه على حرف أو معنى يجب تغييره، فنحن نناشده الله في إصلاحه، وأداء حق النصيحة فيه؛ فإنَّ

الإنسان ضعيفٌ لا يَسْلَمُ من الخطأ إلا أن يعصمه الله بتوفيقه». ولا شك أن الناقد بصير كما قال إبراهيم بن العباس الصولي: «المتصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل فيه من مُنشئه».

وختاماً: أحمد الله وأشكره على سائر نعمه فهو الكريم الوهاب سبحانه. ثم أشكر كل يد ساعدتني، وكل عين سهرت معي. سدّد الله على طريق الخير خطانا ووقفنا لنيل العلم النافع والعمل الصالح وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه

أحمد عبد الله الباتي

الرياض في ١٥/١٢/١٤١١ هـ



الفصل الأول

حياة الإمام الخطابي

- ☆ ١ - اسمه
- ☆ ٢ - نسبه
- ☆ ٣ - نسبته
- ☆ ٤ - كنيته
- ☆ ٥ - مولده
- ☆ ٦ - نشأته وأخلاقه
- ☆ ٧ - مهنته وأعماله
- ☆ ٨ - وفاته ومراثيه

١- اسمه :

اختلفت أقوال العلماء المترجمين للإمام الخطّابي في تحديد اسمه على قولين :

١ - القول الأول : أنّ اسمه أحمد - بإثبات الهمزة .

٢ - القول الثاني : أنّ اسمه حمّد - بفتح الحاء المهملة وسكون الميم^(١) .

وقال بالقول الأول عددٌ من العلماء حيث سموه «أحمد» ومن هؤلاء : الإمام أبو عُبَيْد الهَرَوِي^(٢) ، حيث حدّث عنه في كتاب «الغريبين» فقال : أحمد بن محمد الخطّابي ولم يكنه . . . والإمام أبو منصور الثعالبي^(٣) ، والإمام القفطبي^(٤) ، والصّفدي^(٥) ، وابن تغري بردي^(٦) وياقوت الحموي^(٧) في الموضع الأول من ترجمته للخطّابي في «معجم الأدباء» ، أما في الموضع الثاني فوافق

-
- (١) الإكمال لابن ماكولا ٢ : ٥٤١ والمشتبه في الرجال أسمائهم وأنسابهم ١ : ٢٤٨ .
 - (٢) نسب له هذا القول الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١٧ : ٢٥ .
 - (٣) يتيمة الدهر ٤ : ٣٣٤ .
 - (٤) انباه الرواه ١ : ١٢٥ رقم ٦٣ .
 - (٥) الوافي بالوفيات ٧ : ٣١٧ رقم ٣٣٠١ .
 - (٦) النجوم الزاهرة ٤ : ١٩٩ .
 - (٧) معجم البلدان عند الحديث عن مدينة بست ١ : ٤١٥ ومعجم الأدباء ٤ : ٢٤٦ .

الجمهور، ونقل ابن خَلِّكان^(١) أنه سمع في اسم أبي سليمان «أحمد» لكنه رجَّح القول الثاني.

وذكر ابن كثير^(٢) أنه يقال فيه «أحمد» بعد أن ذكر أن اسمه حَمْد. وسمَّاه الذهبي^(٣) أحمد في كتاب «دول الإسلام» لكنه رجَّح القول الثاني في كتبه الأخرى التي سيرد ذكرها قريباً بإذن الله تعالى.

واحتج القائلون بهذا القول بدليلين:

١ - أنَّ الخطابي قد رضى بأن يُسمى «أحمد» ولم ينكر على من سمَّاه بذلك ويدل على ذلك ما ذكره أبو سعد السمعاني في «كتاب مرو» قال: وسُئِل أبو سليمان عن اسمه فقال: اسمي الذي سُمِّيت به حَمْد، ولكن الناس كتبوه أحمد فتركته عليه^(٤).

٢ - قال ياقوت: إنَّ الثعالبي - وكان صديقه - وأبا عبيد الهَرَوِي وكان تلميذه - سمَّياه أحمد^(٥). أهـ

قلت: فهذا يفيد أنهما أدري باسمه من غيرهما.

(١) وفيات الأعيان ٢ : ٢١٥ رقم ٢٠٧.

(٢) البداية والنهاية ١١ : ٣٢٤.

(٣) دول الإسلام ١ : ٢٣٤.

(٤) معجم الأدباء ٤ : ٢٤٦ والوافي بالوفيات ٧ : ٣١٧.

(٥) معجم الأدباء ٤ : ٢٤٦ والوافي بالوفيات ٧ : ٣١٧.

أما القول الثاني وهو أن اسمه «حمّد»:

فلقد قال به جمعٌ كثيرٌ ممن ترجموا للإمام الخطّابي، ومنهم حسب ما وقفت عليه:

الإمام السّمعاني^(١)، وابنُ الجوزي^(٢)، وياقوت الحموي^(٣)،
في الموضوع الثاني من ترجمته للخطّابي، والنوّي^(٤)، وابن
خَلِّكان^(٥)، والذهبي^(٦)، والوادي آشي^(٧)، وابن السُّبكي^(٨) وابن
كثير^(٩) والإسنوي^(١٠) وابن خَطيب الدّهشة^(١١)، والعراقي^(١٢)،

(١) الأنساب ٢ : ٢٢٦ رقم ٤٩٨ و ٥ : ١٥٨ رقم ١٤٢٥ .

(٢) المنتظم ٦ : ٣٩٧ .

(٣) معجم الأدباء ١٠ : ٢٦٨ رقم ٣٥ .

(٤) طبقات الشافعية للنوّي، مخطوط بدار الكتب المصرية كما أشار إلى ذلك برهان الدين الداغستاني في مجلة الرسالة عدد ٩٨ - ص ٨٢٢، وانظر «التبيان في آداب حملة القرآن» - ص ١٦٤ .

(٥) وفيات الأعيان ٢ : ٢١٥ .

(٦) سير أعلام النبلاء ١٧ : ٢٥ و ٢٦، تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠١٩، والعبر ٢ : ١٧٤، وتاريخ الإسلام ٤ : ١٥٦ .

(٧) برنامج الوادي آشي - ص ٢١٦ .

(٨) طبقات الشافعية الكبرى ٣ : ٢٨٢ رقم ١٨١ .

(٩) البداية والنهاية ١١ : ٣٢٤ .

(١٠) طبقات الشافعية - ص ٤٦٧ .

(١١) تحفة ذوي الأرب - ص ١٥٤ .

(١٢) شرح ألفية العراقي ١ : ٨٤ وطرح الثريب ١ : ٤٤ .

والفَيْرُوزِ آبَادِي^(١)، والسَّخَاوِي^(٢)، والقَاضِي زَكْرِيَا الأَنْصَارِي^(٣)
وابن العماد الحنبلي^(٤)، وعبد القادر البغدادي^(٥).

والظاهر - والله أعلم - أن هذا القول هو الراجح . . ومما يدل
على رجحانه مايلي :

١ - تصريح الإمام الخطَّابي أن اسمه «حَمْدٌ».

وذلك فيما نقله ابن خَلِّكان^(٦) عن الإمام الحاكم، قال سألت
أبا القاسم المظفر بن طاهر بن محمد البُسْتِي الفقيه عن اسم أبي
سليمان الخطَّابي، أحمد أو حَمْد؟ فَإِنَّ بعض الناس يقول أحمد؟

فقال سمعته يقول: اسمي الذي سُمِّيت به حَمْدٌ، لكن الناس
كتبوا أحمد فتركته عليه. أهـ.

٢ - نصَّ عدد من العلماء المحققين على أن الراجح في اسمه
أنه «حَمْدٌ» وحكموا بأنَّه الصواب وغيره هو الوهم.

ومن ذلك ما نقله الصَّفَّدي^(٧) عن الإمام السَّلْفِي أنه قال: ذكر

(١) البلغة ١ : ٩٤ .

(٢) فتح المغيث ١ : ١٢١ .

(٣) فتح الباقي ١ : ٨٥ .

(٤) شذرات الذهب ٣ : ١٢٧ .

(٥) خزانة الأدب ٢ : ١٢٣ .

(٦) وفيات الأعيان ٢ : ٢١٥ .

(٧) الوافي بالوفيات ٧ : ٣١٧ .

الجَمُّ الغفير، والعدد الكثير أَنَّ اسمه «حَمْد» وهو الصواب، وعليه الاعتماد.

وقال الذهبي^(١)، ووهم أبو منصور الثعالبي في «اليتيمة» حيث سماه «أحمد بن محمد».

وقال ابن خلكان^(٢): وقد سمع في اسم سليمان «حَمْد» المذكور «أحمد» أيضاً بإثبات الهمزة. والصحيح الأول «يعني حمداً».

وقال السَّخَاوي^(٣): وَوَهْمٌ مِنْ سَمَاءِ أَحْمَدَ.

وقال السيوطي^(٤): وَوَهْمٌ مِنْ سَمَاءِ أَحْمَدَ.

قال العلامة الكَتَّابي^(٥): وَسَمَّاهُ بَعْضُهُمْ «أَحْمَدَ» بَعْضُهُمْ «أَحْمَدُ» هُوَ غَلَطٌ.

ضَبَطُ اسْمِهِ :

بعد أن ترجَّح أن اسم الخطابي «حمد» أود الإشارة إلى ضبط هذا الاسم حيث اختلف فيه على قولين:

١ - أنه بفتح الحاء والميم «حَمْد».

(١) تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠١٩ .

(٢) وفيات الأعيان ٢ : ٢١٥ .

(٣) فتح المغيـث ١ : ١٢١ .

(٤) طبقات الحفاظ - ص ٤٠٤ .

(٥) الرسالة المستطرفة - ص ٤٤ .

وبه قال الإمام الصَّنْعَانِي^(١) عند كلامه على أقسام الحديث فقال: «قَسَمَهُ الخَطَّابِي» هو الحافظ حَمَد بفتح الميم بغير همزة. ولم أجد من ضبطه ضبط حرف على هذا النحو سوى الإمام الصَّنْعَانِي رحمه الله.

٢ - القول الثاني أنه بفتح الحاء وسكون الميم «حَمَد» وممن ضبطه من هؤلاء ضبط حرف؛ الإمام النَّوَوِي^(٢)، والإِسْنَوِي^(٣) وابن قاضي شُهَبَةَ^(٤)، والمتبولي^(٥) والكَتَّانِي^(٦).

وهذا القول هو الراجح لأنه الذي نَصَّت عليه كتب ضبط الأسماء كالإكمال^(٧)، «والمشتبه في الرجال»^(٨)، و«تبصير المُتَّبِعِ»^(٩) وغيرها. ولكثرة عدد القائلين به من العلماء؛ فهو قول جمهور العلماء.

(١) توضيح الأفكار ٧/١.

(٢) طبقات الشافعية للنووي نقلاً عن مجلة الرسالة عدد ٩٨ ص-٨٢٢.

(٣) طبقات الشافعية ت ص ٤٦٧.

(٤) طبقات الشافعية ١/١٥٦ رقم ١١٦.

(٥) شرح الجامع الصغير للمتبولي نقلاً عن «شذرات الذهب» ٣ : ١٢٧.

(٦) الرسالة المستطرفة - ص ٤٤.

(٧) الإكمال ٢/٥٤١.

(٨) المشتبه ١ : ٢٤٨.

(٩) تبصير المنتبه ١/٤٦٠.

٢ - نَسْبُهُ :

هو حَمْدُ بَنُ مُحَمَّدِ بَنُ إِبْرَاهِيمِ بْنِ خَطَّابٍ . . هكذا بالاتفاق لدى كافة من ترجموا له، ولم أجد من خالف في سَرْدِ نسبه هكذا سوى الإمام ابن كثير حيث ترجم له في موضعين من «البداية والنهاية»^(١).

فذكر نسبه في الترجمة الأولى: حمد بن إبراهيم بن خطاب^(٢) بإسقاط اسم والده محمد . . أما في الترجمة الثانية فلقد ساق نسبه حسب سياق الجمهور^(٣)، ولعل السقط من خطأ النسخ، أو الطباعة لأنه في هذا الموضع ناقل من ابن الجوزي في «المنتظم»^(٤)، ولم يقع هذا السَّقْطُ عند ابن الجوزي، وكذلك خالف الإمام ابن العِمَادِ الحنبلي^(٥) حيث ذكر أنه حَمْدُ ابن إبراهيم بن خَطَّابٍ بإسقاط اسم والده محمد - رحمه الله - ولعل هذا أيضاً من خطأ بعض النساخ أو سقط طباعة .

وكافة من رجعت إلى مؤلفاتهم في ترجمته يقفون بنسبه عند جده خَطَّابٍ، ولم أجد من زاد على ذلك سوى الإمام الصَّاعِقَانِي^(٦)

(١) البداية والنهاية - ج ١١ - ص ٢٣٦ و ٣٢٤ .

(٢) البداية والنهاية - ١١ : ٢٣٦ .

(٣) البداية والنهاية - ١١ : ٣٢٤ .

(٤) المنتظم ٦ : ٣٩٧ رقم ٦٧٢ .

(٥) شذرات الذهب ٣ : ١٢٧ .

(٦) العباب الزاخر واللباب «نسخة ميمن» الفصل الثاني ٧/١ المقدمة .

ت - ٦٥٠هـ، فحينما سَرَدَ اسم الخطابي قال: حَمْدُ بن محمد بن إبراهيم بن الخَطَّاب بن طَهْمَان بن عبد الرحمن بن أَنبُوي هَزَار بَنْدَة الخطابي التَّيسَابُوري المتوفى سنة ٣٨٨هـ. أهـ

٣ - كُنِيته:

كُنِّي - رحمه الله - بأبي سُلَيْمان، وَاتَّفَقَتْ كل المصادر - التي رجعت إليها - على تَكْنِيته بذلك، فلم أجد من كَنَاهَ بِغيرها - اللهم إلا فيما ذكره الإمامُ الإسْنَوِي^(١)، فلقد كَنَاهُ بأبي سَلْمَانَ - بدون ياء - ولعل هذا خطأ مطبعي سقطت منه الياء طباعة.

٤ - نسبه:

عُرِفَ - رحمه الله - بنسبين هما: الخَطَّابِي، والبُسْتِي.

أ - فالخَطَّابِي: بفتح الخاء المنقوطة وتشديد الطاء المهملة، وكسر الباء الموحدة^(٢).

واختلف في سبب هذه التسمية على أربعة أقوال:

١ - منهم من نسبه إلى زيد بن الخَطَّاب - رضي الله عنه - أخي الخليفة أمير المؤمنين عُمَرُ بن الخطاب - رضي الله عنه - جازماً بذلك كالإمام الصَّفَّدي^(٣)، وياقوت الحموي^(٤)، وإسماعيل

(١) طبقات الشافعية للإسنوي - ١: ٤٦٧ رقم ٤٢٠.

(٢) الأنساب للسمعاني ٥: ١٥٨ واللباب لابن الإثير ١: ٤٥٢.

(٣) الوافي بالوفيات ٧: ٣١٧.

(٤) معجم الإدباء لياقوت الحموي ١٠: ٢٦٨، ٤/٢٤٦.

البغدادي^(١)، منهم من لم يجزم بذلك وهو الإمام ابن خَلِّكان^(٢) حيث قال: «وقيل إنه من ذرية زيد بن الخطاب - رضي الله عنه - فنسب إليه.

وكذلك الإمام ابن قاضي شهبه^(٣) حيث قال: قيل إنه من ولد زيد بن الخطاب بن نُفيل العدوي.

وقد قال الإمام السُّبكي^(٤): إنه من سلالة ولد زيد بن الخطاب. . ولم يثبت ذلك.

وممن لم يثبت ذلك أيضاً الإمام الذهبي^(٥) فيما نقله عنه ابن قاضي شهبه أنه قال: ولم يثبت.

٢ - ومنهم من نسبه إلى الخطاب (والد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه) قال السَّمعاني^(٦) في ترجمة إسحاق بن زيد بن الخطاب: يُنسب إلى والد عمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه -، ثم عطف عليه بعد ذلك أبا حفص الفاروق بن عبد الكبير الخطَّابي، ثم أبا سليمان الخطابي فكأنَّه يشير إلى أنَّه يُنسب إلى والد عمر بن الخطاب.

(١) خزانة الأدب ٢: ١٢٣.

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/٢١٥.

(٣) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبه - ص ١٥٦.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى للإمام السبكي ٣/٢٨٢.

(٥) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبه - ص ١٥٦.

(٦) الانساب ٥/١٥٨.

٣ - ومنهم من نسبه إلى جده الخطاب .

قال الإمام عز الدين ابن الأثير: وأما أبو سليمان حمّد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطّابي البُستي فَنُسِبَ إلى جده^(١) .
أهـ وقال ابن خلكان: الخطّابي نسبة إلى جده الخطّاب^(٢) .

وقال القاضي زكريا بن محمد الأنصاري: المشهور بالخطّابي نسبة إلى جد أبيه^(٣) .

وقال الإمام النّوي: الخطّابي: الإمام المنسوب إلى جد من أجداده اسمه الخطاب^(٤) .

٤ - ومنهم من تردّد في نسبه فلم يجزم فيها باسم محدد .

ومن هؤلاء الإمام السمعاني حيث قال: - الخطّابي - منهم من نسبه إلى عمر بن الخطاب، وإلى أخيه زيد بن الخطاب - رضي الله عنهما^(٥) . وكذا الإمام العراقي^(٦) تردّد في نسبه إمّا إلى: جده الخطّاب، أو للخطّاب والد عمر بن الخطّاب، أو إلى زيد بن الخطّاب . ومنهم عباس القمّي حيث قال: الخطّابي نسبة إلى جده

(١) اللباب في تهذيب الانساب ١: ٤٥١ .

(٢) وفيات الاعيان ٢: ٢١٥ .

(٣) فتح الباقي ١: ٨٥ .

(٤) الترخيص بالقيام لذوي الفضل والمزية في الإسلام للنّوي - ص ٨٠ والتبيان في آداب حملة القرآن - ص ١٦٤ .

(٥) الانساب ٥: ١٥٨ .

(٦) طرح الثريب ١/ ٤٤ .

الخطَّاب المذكور، او إلى الخطَّاب والد عمر بن الخطَّاب^(١)،
وقال ابن خَطِيب الدَّهْشَةُ: الخطَّابي نسبة إلى عمر بن الخطَّاب
وإلى ابنة زيد - رضي الله عنهما^(٢).

قال العلامة الكتَّاني: الخطَّابي: نسبة إلى جده خطَّاب
المذكور، ويقال: إنه من نَسْلِ زيد بن الخطَّاب أخي عمر بن
الخطَّاب^(٣) أهـ.

هذا وتعتبر نسبة «الخطَّابي» هذه أشهر ما عرف به الإمام
الخطَّابي، وعندما تُطْلَق في كلام المحدثين يكون هو المراد بها،
ولذلك اعتمدها في عنوان كتابي هذا.

ب - والبُسْتِي: نسبة إلى مدينة «بُست» وهي: بضم الباء
المعجمة وسكون السين^(٤)

قال ياقوت الحموي: مدينة بين سجستان وغزني وهرارة ثم
قال: وأظنها من أعمال كابل^(٥)؟

وقال السمعاني: هي من بلاد كابل بين هراة وغزنة^(٦).

(١) الكنى والألقاب ٢/٢٠٧.

(٢) تحفة ذوي الأرب - ص ١٥٤، ولعل في قوله: ابنه وهم، فالصحيح
أنه أخوه.

(٣) الرسالة المستطرفة - ص ٤٤.

(٤) الانساب ١: ٢٠٨.

(٥) معجم البلدان ١: ٤١٥.

(٦) الأنساب للسمعاني ٢: ٢٠٨.

وقال الفيروز آبادي: إنها بلد بسجستان^(١).

وقال الذهبي عنها: بلدٌ كبير من بلاد الغور بطرف خراسان بين هراة وغزنة^(٢)، ويحدّها الجغرافيون المعاصرون^(٣) بأنها مدينة في غرب أفغانستان - حالياً - وتقع بين سجستان غزنيين وهراة على شاطئ نهر هيلند، على ملتقى الطرق بين بلوچستان والهند... وتبعد عن كابل - العاصمة - (٦٠٤ كم). وهي على مقربة من الحدود الأفغانية الإيرانية.

هذا عن موقع «بست الجغرافي».

أما عن طبيعتها، فيقول ياقوت - رحمه الله -: إنها حارة المزاج وهي كثيرة الأنهار والبساتين، إلا أنّ الخراب فيها ظاهر.^(٤)

وعن حالتها العلمية، أفاد ياقوت بأنها أخرجت عدداً من العلماء، منهم الإمام أبو حاتم محمد بن حبان البُستي - صاحب الصحيح - ت ٣٥٤ هـ، وأبو سليمان حمّد بن محمد الخطابي

(١) القاموس المحيط - ص ١٨٩.

(٢) المشته في الرجال أسمائهم وأنسابهم للذهبي ١ : ٧٢.

(٣) يراجع كتاب أفغانستان بين الأمس واليوم للأستاذ أبي العينين فهمي محمد ص ٣٣٣.

وكتاب دراسات في جغرافية العالم الإسلامي للدكتور يسرى الجوهري ص ٤٣٢.

(٤) معجم البلدان ١ : ٤١٥.

البستي، والإمام إسحاق بن إبراهيم القاضي البُستي، والشاعر أبو الفتح البُستي^(١) وغيرهم.

هذا ولقد ذكر الخطّابي مدينة «بُست» في موضعين هما:

١ - ذكرها في كتاب «العزلة»^(٢) وأبدي عدم ارتياحه فيها فقال وهو يتحدّث عن فوائد العزلة:

«وفي العزلة الأمان ببلد - بُست - خاصة من دَوَاهِي^(٣) الكُنف^(٤) الشارعة^(٥)، والمثاعب^(٦) السائلة، فإنّ جنائتها^(٧) عند

(١) معجم البلدان ١ : ٤١٥ .

(٢) العزلة - ص ١١٩ .

(٣) الداوهي: جمع داهية وهي الأمر المنكر العظيم - لسان العرب .

(٤) الكنف: جمع كنيف: وهو كل ما ستر من بناء أو حظيرة - النهاية - مادة كنف ٤ : ٢٠٥ والقاموس ص ١٠٩٩ .

(٥) الشارعة: من شرع المنزل، ويطلق ويراد به المرحاض، المعجم الوسيط ٢ : ٨٠١، أي صار على طريق نافذ. القاموس المحيط - مادة الشرع - ص ٩٤٦ .

(٦) المثاعب: جمع مثعب وهو بالفتح واحد مثاعب الحياض، وانثعب الماء جرى في المثعب، لسان العرب - ثعب (١ : ٢٣٦) .

ويطلق على مسايل مياه المدينة - القاموس المحيط - ثعب - ص ٨٠ .

(٧) جنائتها من جنى عليه يجني جناية، والتجني مثل التجرم، وهو أن يدعى عليه ذنباً لم يفعله - مختار الصحاح - مادة جنى، ص ١١٤ .

أهلها جبار^(١): لا أرش^(٢) لها، ودماءً قتلاها مطولة^(٣) لا عقل^(٤) ولا قود^(٥) فيها.

فكلما قلَّ بروز الإنسان وعبوره عليها كان أوفر لمُروءته، وأبقى لنظافته، وأبعد له من أذاها، وغائلتها^(٦)، وأسلم له من دائها وعاديتها.

٢ - وذكرها في شعره فقال:

إني غريب بين «بست» وأهلها وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي^(٧)

٥ - مولده:

أكثر المصادر التي ترجمت للإمام الخطّابي ذكرت أنه ولد سنة

-
- (١) جبار: هو الهدر، المصباح المنير (جبر) ١ : ص ٨٩.
 - (٢) أرش: دية الجراحات. مختار الصحاح - ص ١٣.
 - (٣) مطلوله: أي مهدرة - مختار الصحاح - مطل - ص ٣٩٦.
 - (٤) العقل: المقصود به هنا الدية وسميت الدية عقلاً لأنها كانت من الإبل. حيث تعقل في فناء ولي القتل، ثم كثر استعمال تلك اللفظة فصارت تطلق على الدية إبلًا كانت أو نقوداً - المصباح ١ : ٤٢٣.
 - (٥) القود: بفتحيتين القصاص - مختار الصحاح - ص ٥٥٥.
 - (٦) غائلتها: الغيلة بالكسر الاغتيال، يقال قتله غيلة، وهو أن يخدعه، فيذهب به إلى موضع فيقتله فيه.
 - (٧) مختار الصحاح - غال - ص ٤٨٧.
 - (٧) البيت المذكور في يتيمة الدهر ٣ : ٣٣٥.
- وخزانة الأدب ٢ : ١٢٤.

بُضِعَ عَشْرَةٌ وَثَلَاثُمِائَةٌ فِي مَدِينَةِ بُسْتِ^(١) .

هكذا بإطلاق، دون تحديد لليوم أو الشهر أو السنة التي ولد فيها.

أما الذين حَدَّدُوا السنة التي ولد فيها، فلقد اختلفوا في تحديدها على قولين:

١ - القول الأول: أنه ولد سنة سبع عشر وثلثمائة.

وقال بهذا الإمام الحاكم فيما نقله الإمام ابن الأثير^(٢)، وابن خطيب الدهشة^(٣).

٢ - أما القول الثاني:

فهو أنه ولد في شهر رجب سنة تسع عشرة وثلثمائة. وقال به: ياقوت الحموي^(٤)، والصَّفَدِي^(٥). وقال بهذا الإمام عبد القادر البغدادي^(٦)، والإمام الشُّيُوطِي^(٧).

ولم أجد من خالف في ذكر سنة مولده على القولين السابقين

(١) سير أعلام النبلاء ١٧ : ٢٣ .

(٢) اللُّبَابُ ١ : ٤٥٢ .

(٣) تحفة ذوي الأرب - ص ١٥٤ .

(٤) معجم الأدياء ١٠ : ٢٦٩ ، ٤ : ٢٤٩ .

(٥) الوافي بالوفيات ٧ : ٣١٨ .

(٦) خزانة الأدب للبغدادي ٢ : ١٠٦ .

(٧) بغية الوعاة ١ : ٥٤٧ .

سوى: إسماعيل باشا البغدادي^(١) فلقد ذكر أنه ولد سنة ٣٠٨ هـ
في هذا مخالفة لجمهور من ترجموا لهو وتفرد بهذا القول
وحده.

٦ - نشأته وأخلاقه :

لم تشر المصادر التي رجعت إليها إلى كلام مفصّل عن نشأته،
ولكن يستقى من أشعاره ما يدل على بعض جوانب نشأته ويفهم
من سياق تراجمه أنه ولد ونشأ في مدينة بُسْت عند أهله وأسرته .

ويظهر أنه نشأ في أسرة علمية؛ لأنه تعلّق بالعلم منذ صغره،
فطلبه في بُسْت، ثم رحل إلى مكة، وإلى بغداد، والبصرة،
ونيسابور وغيرها، ثم عاد إلى بُسْت، حيث توفي بها - رحمه
الله -^(٢) وسيأتي لهذا مزيد تفصيل عند الحديث عن رحلاته .

وكان صديقاً للإمام أبي منصور الثعالبي^(٣)، وكان بينهما ود،
ومحبة ويظهر ذلك في قول الثعالبي مخاطباً الإمام الخطابي :

أبا سليمانَ سرّ في الأرضِ أو فأقمِ فأنتَ عندي دنا مَثْواكَ أو شَطْنَا
ما أنتَ غيري فأخش أن يفارقني فديتُ روحك، بل رُوحِي فأنتَ أنا^(٤)

(١) هدية العارفين ٦٨/٥ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١٠١٩/٣ .

(٣) خزانة الأدب ٢ : ١٢٣ .

(٤) المرجع السابق ٢ : ١٢٤ ومعجم الأدباء ٤ : ٢٥٤، وديوان الثعالبي
ص ١٢٢ . وشطن أي: بُعد. «المعجم الوسيط» ١ : ٤٨٣ .

وقال الخطابي مخاطباً الثعالبي :

قلبي رهين بنيسابور عند أخٍ ما مثله حين تستقري البلادُ أخُ
له صحائفُ أخلاقٍ مهذبَةٍ منها الثُّقى والثُّهى والحلمُ تنتسخُ^(١)

فهذا يدل على ما كان بينهما من محبة وتآلف أخوي .

وعُرِفَ - رحمه الله - بالأخلاق الفاضلة وحسن التعامل مع
الناس ويدل على ذلك قوله :

ارضَ للناسِ جميعاً مثلَ ما ترضي لنفسك
إنَّما الناسُ جميعاً كلهم أبناءُ جنسِك^(٢)

وما اتصف به - رحمه الله إيثاره للعزلة . فلقد حرص في آخر
حياته على العزلة والخلوِّ إلى نفسه، والبعد عما كثر في زمانه من
منكرات . فكان في آخر عمره قد استقرَّ في مدينة بُسْتِ بين أهله
وعشيرته؛ لكنه كان غريباً بينهم لا يجد من يشاكلة في الناس
ويأنس به وفي هذا يقول :

ما غربتُ الإنسان في شُقَّةِ النوى لكنها والله في عدم الشكل

(١) هذان البيتان نسبهما السِّلْفِي والبغدادِي للخطابي كما في خزنة الآداب

٢ : ١٢٥ - لكن يرى محقق الكتاب أن البيتين لأبي الفتح البستي في

مدح الثعالبي كما في يتيمة الدهر ٤ : ٢١٩ في ترجمة أبي الفتح

وقال: إن الذي أحدث هذا الخلط أن كلاً من أبي الفتح والخطابي

بُستيان، ونسبهما ياقوت الحموي للخطابي / معجم الأدباء ٤ : ٢٥٦ .

(٢) معجم الأدباء ٤ / ٢٥٧ .

إني غريبٌ بين بُسْتِ وأهلها وإن كان فيها أُسرتي وبها أهلي^(١)
وكان يحرص في عزلته على التفكير في ملكوت الله، والتأمل
في مخلوقاته .

يدل على ذلك أنه رأى طائراً على شجرة فنظر إليه ثم قال :
ياليتني كنت (ذاك) الطائر الغردا من البرية منحازاً ومنفرداً
ما إن يورقه فكرُّ لرزقِ غد ولا عليه حساب في المعاد غداً
طوباك من طائرِ طوباك ويحك طب من كان مثلك في الدنيا فقد سعدا^(٢)
ولكن يجب العلم أن عزلة الإمام الخطابي لا تعني هجر الناس
والبعد عنهم وعدم القيام بحقوقهم بل يوضح عزلته فيقول :

ولسنا نريد رحمك الله بهذه العزلة التي نختارها : مفارقة الناس
في الجماعات والجمُعات، وترك حقوقهم في العبادات، وإفشاء
السلام ورد التحيات . . إنما نريد بالعزلة ترك فضول الصحبة ونبذ
الزيادة منها، وحط العلاوة التي لا حاجة لك إليها^(٣) .

٧ - مهنته وأعماله :

أما عن مهنته، ومن أين كان يكسب قوت يومه؟ فإنه كان
- رحمه الله - يكسب قوته من التجارة، فكان يتجر في ملكه

(١) يتيمة الدهر ٣/٣٣٥ وخزانة الأدب ٢/١٢٤ .

(٢) معجم الأدياء ٤/٢٥٥ .

(٣) انظر كتاب العزلة للخطابي - ص ١١ و ١٢ .

الحلال، وينفق على الصلحاء من إخوانه^(١). ويظهر أنّ الإمام الخطابي كان متّصفاً بالزهد، والورع، والبعد عن السلاطين وعدم التقرب إليهم، ويتّضح ذلك جلياً في عدم إهدائه أي كتاب من كتبه لأحد من الولاة، بل كان تأليفه للكتب بناء على طلب تلاميذه، ولم أجد فيما رجعت إليه أنه ألف كتباً استجابةً لرغبة أحد الخلفاء، أو الولاة في زمانه؛ مع أنه كثر في ذلك القرن إهداء المؤلفات للخلفاء، وحرص الولاة على تقريب العلماء لهم، وأغدقوا على بعضهم الهبات الجوائز.

٨ - وفاته:

بعد حياة مفعمة بالجد والتحصيل العلمي؛ ملأ خلالها الإمام الخطابي العلم الإسلامية بعدد من المؤلفات القيّمة، تخرج على يديه عدد من فحول طلاب العلم، وجهابذة المعرفة؛ من المحدثين والفقهاء، واللغويين، والأدباء.. لقي وجه ربه في مدينة بئست في رباط على شاطئ هندمند^(٢) واختلف في تاريخ وفاته على أقوال أربعة:

(١) الوافي بالوفيات ٣١٧/٧.

(٢) خزانة الأدب ٢ : ١٢٣، وهند مند: بالكسر ثم السكون وبعد الدال ميم ونون ساكنة ودال مهملة أخرى وهو اسم لنهر مدينة سجستان، معجم البلدان ٥ : ٤١٨.

١ - قال الإمام القفطي^(١)، مات في بست في حدود سنة أربعمائة.

قلت: وفي هذا إطلاق دون تحديد السنة بعينها، قال ابن مكتوم^(٢): والصواب في وفاته أنها كانت في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، لا في حدود الأربعمائة كما ذكره القفطي أهـ

٢ - قال الإمام ابن الجوزي^(٣) أنه توفي سنة تسع وأربعين وثلاثمائة.

ونقل هذا القول الإمام ابن كثير^(٤) في الموضع الأول من ترجمته للإمام الخطّابي ولكن هذا القول مردد بأنه وهم من ابن الجوزي إذ أنّ القول الصواب غير هذا.

قال الإمام السيوطي^(٥) - رحمه الله - بعد أن نقل قول ابن الجوزي: وهو غلط.

وقال ياقوت عن قول ابن الجوزي: وهذا ليس بشيء^(٦).

٣ - وقيل: إنه توفي يوم السبت السادس [أو السادس عشر]

(١) أنباه الرواة ١ : ١٢٥ .

(٢) تلخيص ابن مكتوم - ص ٢٠ .

(٣) المنتظم ٦ : ٣٩٧ .

(٤) البداية والنهاية ١١ : ٢٣٧ .

(٥) بغية الوعاة ١ : ٥٤٧ .

(٦) معجم الأدباء ٤ : ٢٥٠ .

من ربيع الآخر سنة ست وثمانين وثلاثمائة في مدينة بست .
وقال بهذا الإمام عبد القادر البغدادي^(١) والسيوطي^(٢) وياقوت
الحموي^(٣) .

٤ - وقيل : إنه توفي - رحمه الله - سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة
وقال بهذا عدد كبير ممن ترجموا للإمام الخطابي .

واختلفوا في شهر وفاته فقال الذهبي^(٤) والسبكي^(٥) ،
والعراقي^(٦) إنه توفي في شهر ربيع الآخر ، وقال ابن خَلَّكان^(٧) ،
وابن كثير^(٨) في ربيع الأول .

وقال ياقوت عن هذا القول : إنه أصح^(٩) ، ونصَّ عليه ابن قُنفذ
القُسطنطيني^(١٠) ، والصفدي^(١١) .

(١) خزانة الأدب للبغدادي ٢ : ١٢٣ .

(٢) بغية الوعاة ١ : ٥٤٧ .

(٣) معجم الأدباء ٤ : ٢٥٠ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١٧ : ٢٧ . وتذكرة الحفاظ ٣ : ١٠٢٠ ، والعبر في
خبر من غبر ٢ : ١٧٤ .

(٥) طبقات الشافعية الكبرى ٣ : ٢٨٣ .

(٦) طرح التثريب ١ : ٤٤ .

(٧) وفيات الأعيان ٢ : ٢١٥ .

(٨) البداية والنهاية ١١ : ٣٢٤ .

(٩) معجم الأدباء ٤ : ٢٦٩ .

(١٠) كتاب الوفيات لابن العباس الشهير بابن قنفذ القسطنطيني - ص ٢٢٢ .

(١١) الوافي بالوفيات ٧ : ٣١٨ .

٩ - مراثيه (ودالاتها على مكانته):

ب وفاة الإمام الخطابي افتقد الناس عالماً جليلاً وإماماً عظيماً، استفادوا منه كثيراً في دروسه المفيدة، ومؤلفاته القيّمة، فرثاه عدد من الشعراء بمراثي رائعة، منها ما قاله صديقه أبو منصور الثعالبي:

انظروا كيف تُخمدُ الأنوارُ انظروا كيف تسقط الأعمارُ
انظروا هكذا نزول الرواسي هكذا في الثرى تغيضُ البحارُ^(١)

ورثاه أبو بكر عبد الله بن إبراهيم الحنبلي بقوله:

وقد كان «حَمْدًا» كاسمه حَمَدَ الوري شمائلُ فيها للثناء مَمَادِحُ
خلائقُ ما فيها معابٌ لعائبٍ إذا ذُكرت يوماً فُهَنَّ مَدَائِحُ
تغمدهُ الله الكريمُ بعفوه ورحمته والله عاف وصافحُ
ولا زال ريحان الإله وروحه قرى روحه ما حنّ في الأيك صادح^(٢)

ولا شك أنّ كل هذا دليل على مكانة الخطابي عند أهل زمانه ومن بعدهم.

وأما الحافظ أبو طاهر السلفي ت ٥٧٦ هـ فلقد أعجب كثيراً

(١) ديوان الثعالبي - ص ٥٥ .
ومعجم الأدباء ٤ : ٢٦٠ .
(٢) المرجع السابق ٤ : ٢٥١ .
والوافي بالوفيات ٧ : ٣١٧ .

بالإمام الخطابي فمدحه وأثنى عليه لشغفه بتأليفه، وفي هذا يقول أبو طاهر السلفي - رحمه الله :

«وقد قلت أنا فيه بثغر خيره لشغفى بتواليفه، ورغبتى في تحصيل تصانيفه سنة خمس وخمسمائة: ^(١)

ظنّ هذا الخطأ في الخطابي
من على كُتبه اعتماد ذوي الفضل
إن يحوز الفردوس إذ أتعب النفسَ
وتعنى في الأخذ جداً وفي التصنيف
نضر الله وجهه من إمام
ولعمري قد فاز بالرّوح والرّيحان
هو قد كان شمس متبعي الشرع

شيخ أهل العلوم والآداب
ومن قوله كفصل الخطاب
لذى العرش غاية الإتياب
من بعدُ رغبةً في الثوابِ
المعي أتى بكل صواب
من غير شبهة وارتياب
على الزائعين سوطُ عذابِ ^(٢)



(١) معالم السنن ٤ : ٣٨١، ومعجم الأدباء ٤ : ٢٥٦ و ٢٥٧.

(٢) معالم السنن ٤ / ٣٨١، ومعجم الأدباء ٤ / ٢٥٦ و ٢٥٧.

الفصل الثاني

شخصية الإمام الخطابي العلمية

- ☆ ١ - طلبه للعلم ورحلاته العلمية
- ☆ ٢ - شيوخه
- ☆ ٣ - تلاميذه، والرواة عنه
- ☆ ٤ - مذهبه الفقهي
- ☆ ٥ - الخطابي شاعراً وأديباً
- ☆ ٦ - شخصيته ومكانته العلمية وثناء العلماء عليه

١ - طلبه للعلم، ورحلاته العلمية:

لما بدأ الإمام الخطّابي في طلب العلم درس أولاً في مسقط رأسه مدينة «بُست» كما تقدم، ثم عَزَم على الرحلة في طلب العلم، والرواية عن أئمة السنة في زمانه. وفي هذا أمران:

أولهما: نَيْل أجر الرحلة في طلب الحديث، والخروج في طلب المزيد من العلم، كما جاءت أدلة الكتاب والسنة بذلك.

وثانيهما: طلب علو الإسناد في المرويات؛ حيث إنه من أهم دواعي الرحلة ليتمكن من ملاقة الشيوخ والرواية عنهم مباشرة دون وسائط.

ونظراً لكثرة رحلاته العلمية وصفه الذهبي^(١) بأنه: المحدث الرّحال - وقال الصفّدي^(٢): «وقد طَوَّفَ، وألَّفَ في فنون من العلم»؛ فلقد رَحَلَ أولاً إلى مكة المكرمة وسمع فيها من الإمام أبي سعيد بن الأعرابي شيخ الحرم في زمانه، وأكثر الخطّابي ملازمته حتى صار أكثر شيخ روى عنه^(٣). ثم اتَّجَه إلى بغداد^(٤)،

(١) تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠١٨ .

(٢) الوافي بالوفيات ٧ : ٣١٧ .

(٣) مسألة العلو والنزول - ص ٨٦، تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠١٩ .

(٤) لم يترجم الإمام الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد للإمام الخطّابي، رغم أنه دَخَلَ بغداد وتكلّم عنها في «معالم السنن» ٤ : ٣٤٠، وفي «غريب الحديث» ١ : ٤٢٨، وفي «أعلام الحديث» ٢ : ١٠٠٠، =

فسمع فيها من الإمام التَّحوي، مسند العراق: إسماعيل بن محمد الصفار، وطبقته، ثم سافر إلى البصرة فسمع فيها من أبي بكر بن داسة البصري - الذي هو آخر من حدَّث بسنن أبي داود - ثم يَمَّم وجهه نحو نَيْسابور فأقام فيها مدةً طويلة؛ حيث سمع من مُسند العصر، ورُحَلَة الوقت أبي العباس الأصم وطبقته، وجلس للتحديث فيها، فروى عنه فيها الإمام أبو عبد الله الحاكم النيسابوري^(١)، وحين إقامته في نيسابور أخذ يُصنّف، ويؤتى ثمار تحصيله العملي، فعمل عدداً من المؤلفات هي: كتاب «غريب الحديث»، وكتاب «معالم السنن»، وكتاب «شرح الأسماء الحسنى»، وكتاب «العزلة»، وكتاب «الغنية عن الكلام وأهله»^(٢). وقد تجول - رحمه الله - في خراسان، وخرج إلى ما وراء النهر^(٣)، وحدَّث في غزنة، حيث روى عنه فيها أبو بكر محمد بن الحسن المُقريء، وحدَّث في سجستان روى عنه فيها الفقيه أبو الحسن السجزي. . ورحل إلى فارس^(٤)، ومكث في بلخ مدة أملى خلالها كتابه «معالم السنن» - بعد أن أَلَّفَه في نَيْسابور، وألَّف

= فلعله لم يمكث بها طويلاً، أو لعلها سقطت ضمن التراجم الساقطة

من تاريخ بغداد، أو لسبب آخر لم نعرفه!!!

(١) تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠١٩، وانظر طرح التثريب ١ : ٤٤ .

(٢) تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠١٩، وانظر طرح التثريب ١ : ٤٤ .

(٣) الوافي بالوفيات ٧ : ٣١٧ .

(٤) معجم الأدباء ٤ : ٢٥٣ .

فيها كتابة «أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري»، حيث أشار إلى ذلك في مقدمته^(١).

هذا وبعد رحلات طويلة طوَّف فيها بمختلف المدن الإسلامية المشهورة بالعلم والعلماء عادَ - رحمه الله - إلى مدينة «بُست» فأقام بها حتى وافاه اليقين فيها - رحمه الله تعالى .

أثر رحلاته في شخصيته :

لا شك أن للرحلات - عموماً - أثراً كبيراً في إثراء من قام بها بمختلف الفوائد العلمية، والتجارب الشخصية والاطلاع عن كثب على أحوال الناس السياسية والاجتماعية . . واستفادته من ذلك كله، فلرحلات الإمام الخطَّابي أثرٌ كبير في اكتسابه عدداً من الفوائد منها:

١ - استفادته العلمية بالتلمذ على عددٍ من شيوخ أهل العلم في زمانه ممن سبق ذكرهم . . وكما سيأتي في تراجمهم - بإذن الله تعالى .

٢ - علوِّ سنده .

٣ - معرفته بأحوال عصره من الناحية العلمية والاجتماعية .

٤ - اطلاعه وروايته لبعض المصنَّفات الحديثية^(٢) التي لم

(١) أعلام الحديث ١ : ١٠١ .

(٢) معالم السنن ١ : ٦ .

تصلهم في بلاد الأفغان، مع الاستفادة من المكتبات الهامة في مختلف المدن الإسلامية التي رحل إليها، وتحذيره الناس من بعض الكتب المشتملة على كثير من الأخطاء والفساد كتحذيره من كتاب «ألف اسم»^(١)

٥ - معرفته بما يدور في زمانه من أفكار وبدع خاطئة، وإجابته عليها، وتفنيده ما يثار من شبهات حول بعض الأحاديث، من بعض المتكلمين في زمانه^(٢)،

٦ - معرفته بالمذاهب الفقهية في زمانه، وملاقاته لبعض فقهاء المذاهب، كما في قوله^(٣): أخبرني بعض أهل العلم من أهل الأندلس أنّ هذه القضية [وهي حكم شتم النبي] جارية فيما بينهم، وأن أمراءهم والقضاة يحكمون [بالقتل] على من فعل ذلك، وربما بقي أسراء الروم في أيديهم فيطول مقامهم بينهم، فيطلبون الخلاص بالموت. فيجاهرون بشتم النبي ﷺ فعند ذلك لا يمهلون أن يقتلوا، والغالب على بلاد الأندلس ونواحي المغرب رأي مالك. ونقل قبل ذلك رأي الإمام مالك أنه لا يرى لمن سب

(١) شأن الدعاء - ص ١٦، وهذا كتاب يشتمل على أدعية منكورة وأسماء لم يسم الله بها نفسه، ولم يذكر الخطابي اسم مؤلفه بل قال صنعه بعض المتكلمين من أهل الجهل.

(٢) تراجع رسالته في «الغنية عن الكلام وأهله»، ومقدمة «أعلام الحديث».

(٣) معالم السنن ٢ : ٢٨٢.

النبي ﷺ توبة، وأشار في مقدمته لمعالم السنن^(١) لما كان في زمانه من خلاف بين المحدثين والفقهاء.

٧ - روايته ونقله عن بعض فصحاء العرب في زمانه .

ومن ذلك قوله^(٢): قلت لأعرابي: اين نزلت؟ فقال: في قافية ذلك المكان وسمى لي مكاناً عرفته .

وقوله^(٣) عند تفسيره لكلمة «مَحَجِر»: قال لي كُعَيْدِنَةُ بن مَرْفَدٍ، رجل من أهل اليمن، إنها بلاد من حضرموت أقطعها النبي ﷺ إياهم، وقال لي: أنا أعرف مَحَجِر: وهي قرية معروفة فيها. وقال لي غيره من أهل حضرموت: بل هو المَحَجِرُ .

قوله^(٤): وأخبرني ابن مالك قال: استغسلتُ أعرابيةً ثوباً فقلتُ لها: نَقِيهِ وَبَيِّضِيهِ، فقالت: نعم، وأموصه لك موصةً ثانية .

٨ - اكتسابه ومعرفته بعادات وتقاليد بعض البلدان التي رحل إليها. ومن ذلك قوله^(٥) - واصفاً حال أهل الحجاز في الذهاب لصلاة الجمعة -:

«إِنَّهُمْ كَانُوا يَرُوحُونَ إِلَى الْجُمُعَةِ فِي الثِّيَابِ الَّتِي يَبَاشِرُونَ فِيهَا

(١) معالم السنن ١ : ٣ .

(٢) معالم السنن ١ : ٢٨٠ .

(٣) غريب الحديث ١ : ١٤٩ .

(٤) أعلام الحديث ١ : ٢٩٣ .

(٥) المرجع السابق ١ : ٥٧١ .

العمل والخدمة، وأرض الحجاز حارة، والعرق يُسرع إليهم فتتغير الروائح، فإنما أمروا بالغسل لقطع الرائحة . .

وقوله^(١): «والعامة في كثير من البلدان تفرش الخوص في قبور موتاهم . . وعندما تكلم عن المزارعة، وأنها جائزة إذا كانت الحصص معلومة بين الشريكين، قال^(٢): «هي عمل المسلمين من بلدان الإسلام، وأقطار الأرض شرقها وغربها، ولا أعلم أنني رأيت أو سمعت أهل بلد أو صقع من نواحي الأرض التي يسكنها المسلمون يطلون العمل بها.

وقوله^(٣): «وقد أبدع عوام الناس في أواخر الزمان لبس الخواتيم في اليدين، وليس ذلك بحميد في مذاهب أهل الفضل والنبل . . ، وكل ذلك مكروه ومستهجن في حميد العادات، ورَضِي الشَّمائل، وتكلم كثيراً في كتاب «العزلة» عما كان عليه أهل زمانه من فشو المنكرات فيهم، وإضاعة أوقاتهم.

٩ - معرفته ببعض مُفردات اللغات الرومية والفارسية ولهجة أهل اليمن والحبشة وغيرها كما أشار إلى ذلك في كتابيه: «أعلام الحديث»^(٤) «وغريب الحديث»^(٥).

(١) معالم السنن ١ : ١٨٠ .

(٢) المرجع السابق ٣ : ٩٥ .

(٣) أعلام الحديث ٣ : ٢١٥ .

(٤) أعلام الحديث - ص ٦٣٩ و ٩٩٤ و ١٣٦٣ و ١٧٦٨ و ١٨٠٠ و ٢٠٥٥ .

(٥) غريب الحديث ١ : ٢٨٠ و ٢٩٦ و ٥٤٨ و ٧٢٢ .

١٠ - معرفته بالنقود والمكايل والموازين ونحوها، واتَّضح ذلك جلياً في كتابه «معالم السنن»^(١).

١١ - معرفته بما كان من فتن ومصائب في بعض المدن الإسلامية. ومن ذلك كلامه على ما كان من الخوارج في زمانه^(٢)، والغلاء في بغداد والبصرة، وهلاك خلق كثير بسبب الجُود والجوع^(٣).

١٢ - ما سبق ذكره من الفوائد يدل على نفي عزلة الخطابي التامة عن الناس، فمعرفته بما سبق دليل على مخالطته لهم، واستفادته منهم، إلا أن تحمل عزلته على ما كان منه في آخر حياته - رحمه الله - حين عاد إلى «بُست» واستقرَّ بها وألف كتاب «العزلة» فيها. ولهذا مزيد تفصيل عند الكلام عن منهجه في كتاب «العزلة» بتوفيق الباري جل وعلا.

٢ - شيوخه :

تلقى الإمام الخطَّابي - رحمه الله - العلم على عدد كبير من الأئمة . . وساعده في ذلك كثرة رحلاته في طلب العلم، حيث طوَّف بعدد من المدن الإسلامية، منها مكة، وبغداد، والبصرة، والكوفة ونيسابور، وبُست التي حَتَمَ بها رحلاته، وأقام بها حتى

(١) معالم السنن ٣ : ٣٥ و ٥٥ و ٦٢ و ٦٣ و ٦٤ و ٢٠٩ .

(٢) أعلام الحديث ٣ : ١٥٣٤ .

(٣) معالم السنن ٤ : ٣٤٠، وغريب الحديث ١ : ٤٢٨ .

توفى - رحمه الله - قال الإمام السَّلَفِي^(١) : وفي شيوخه - رضي الله عنهم - سَفَرًا وحضراً كَثْرَةً، كما في تصانيفه .

وسأقتصر في هذه التراجم على أبرز شيوخه من الذين كان لهم تأثير في حياته العلمية . . وله رواية عنهم، في مختلف العلوم - ممن وقفت على تراجمهم - ومن أبرز هؤلاء الأئمة الذين روى عنهم من المحدثين الذين سأذكرهم بتقديم من أكثر الرواية عنهم وهم :

١ - الإمام ابن الأعرابي :

وهو أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن دِرْهَم البصرى المعروف بابن الأعرابي، الحافظ، شيخ الإسلام نزيل مكة، وشيخ الحرم، ولد سنة نيّف وأربعين ومائتين .

وخرّج عن مشايخه معجماً كبيراً، ورحل إلى الأقاليم، وحمل السنن عن أبي داود .

قال الإمام الذهبي : وكان ثقة، عارفاً، عابداً، ربانياً، كبيرَ القدر، بعيدَ الصيت^(٢)، وقال أيضاً : عالى الإسناد^(٣) .

وتوفى بمكة في شهر ذي القعدة وقيل : ذي الحجة سنة أربعين^(٤) ،

(١) معالم السنن ٤ : ٣٧٨ .

(٢) تذكرة الحفاظ ٣ : ٨٥٢ رقم ٨٣٠ .

(٣) و(٤) سير أعلام النبلاء ١٠ : ٤٠٨ .

وقيل: واحد وأربعين^(١) وثلاث مائة وله أربع وتسعون سنة وأشهر. رحمه الله.

ولقد تأثر الخطابي كثيراً بشيخه أبي سعيد ابن الأعرابي، واستفاد منه علماً غزيراً، وذلك لملازمته له في مكة، فأكثر الرواية عنه. فيغلب على ظني أن ابن الأعرابي^(٢) يعتبر هو أكثر شيخ روى عنه الخطابي، إذ لم أقف على كتاب حديثي مطبوع للإمام الخطابي إلا وجدته مليئاً بالرواية عن شيخه ابن الأعرابي^(٣). فلقد روى الخطابي من طريق ابن الأعرابي بعض سنن أبي داود في إحدى رواياتها المشهورة وهي رواية ابن الأعرابي.

كما أنه روى من طريقه كثيراً من الأحاديث المرفوعة.

(١) لسان الميزان ١ : ٣٠٩.

(٢) قال أبو الفضل بن القيسراني: ثم نظرنا فإذا أجلُّ شيخ روى [الخطابي] عنه: أبو سعيد ابن الأعرابي، انظر مسألة العلو والنزول - ص ٨٦.

(٣) تنبيه: أحياناً ينقل الخطابي بعض تفسيرات المفردات أو العبارات الغريبة أو يذكر بعض الأقوال اللغوية عن ابن الأعرابي - وليس المقصود به شيخه وإنما هو الإمام اللغوي أبو عبد الله محمد بن زياد ابن الأعرابي. المتوفى سنة إحدى وثلاثين ومائتين، بسرٍّ من رأى - رحمه الله. بدلالة تصريح الخطابي باسمه أحياناً للتفريق بينه وبين شيخه كقوله: قال ابن الأعرابي: محمد بن زياد. معالم السنن ٤ : ١٠٤، وللوقوف على ترجمته انظر بغية الوعاة ١ : ١٠٥ رقم ١٧٤.

٢ - أبو بكر بن داسة :

هو الإمام أبو بكر محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق بن داسة البصرى التمار. وهو آخر من حدث بالسنن كاملاً عن أبي داود، وقال عنه الذهبي: الشيخ، الثقة، العالم. . . راوي السنن. وتوفى - رحمه الله - سنة ست وأربعين وثلاثمائة^(١).

قد روى عنه الخطابي سنن أبي داود، وأكثر الرواية عنه في مؤلفاته الحديثية.

٣ - أبو بكر الإسماعيلي :

هو الإمام الحافظ، الحجة، الفقيه، شيخ الإسلام، أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الجرجاني الإسماعيلي الشافعي. ولد سنة سبع وسبعين ومائتين.

وصنّف تصانيف تشهد له بالإمامة في الفقه والحديث، عمل «مسند عمر»، والمستخرج على الصحيح، ومعجمه وغيرها.

قال الإمام الحاكم: كان الإسماعيلي واحد عصره، وشيخ المحدثين والفقهاء في الرئاسة والمروءة، والسخاء، ولا خلاف بين العلماء من الفريقين، وعقلائهم في أبي بكر^(٢).

وقال الإمام الذهبي: وابتهرت بحفظ هذا الإمام، وجزمت بأن

(١) سير أعلام النبلاء ١٥ : ٥٣٨ رقم ٣١٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٦ : ٢٩٢ رقم ٢٠٨.

المتأخرين على إياس من أن يلحقوا المتقدمين في الحفظ
والمعرفة^(١).

وقال حمزة السَّهْمِي^(٢): توفى يوم السبت غرة رجب، سنة
إحدى سبعين وثلاثمائة، وكان له أربع وتسعون سنة.

قلت: كثيراً ما يهمل الخطَّابي تقييد اسمه فيقول: حدثنا أحمد
بن إبراهيم، أو أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل، ولكنه قيَّده في
بعض المواضع من «غريب الحديث»^(٣). بقوله: حدثنا أبو بكر
الإسماعيلي.

٤ - أبو العباس الأصم:

هو الإمام المحدث، مُسْنِدُ العَصْرِ، رُحَلَّةُ الوَقْتِ، أبو العباس
محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان الأموي مولاهم
السناني المعقلي النيسابوري^(٤).

عُرِفَ بالأصم: وكان يكره أن يقال له ذلك، قال الحاكم: إنما
ظهر به الصَّمَمُ بعد مجيئه من الرحلة^(٥).

(١) تذكرة الحفاظ ٣ : ٩٤٨ .

(٢) تاريخ جرجان - ص ١٠٩ رقم ٩٨ .

(٣) غريب الحديث ١ : ٦٧١ و ٢ : ٦ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١٥ : ٤٥٢ رقم ٤٥٨ .

(٥) المرجع السابق ١٥ : ٤٥٥ .

ولد سنة سبع وأربعين ومائتين^(١).

وكان رحمه الله حسنَ الخلق، سخيَّ النفس، رَحِلَ إليه خلق كثير، قال الإمام الحاكم: وما رأينا الرحلة في بلاد من بلاد الإسلام أكثر منها إليه، فقد رأيت جماعة من الأندلس، وجماعة من أهل طَرَّاز وأسيبجاب على بابه، وكذا جماعة من أهل فارس، وجماعة من أهل المشرق^(٢).

ووثقه عدد من العلماء؛ منهم: الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة، وأبو نُعيم، وابن أبي حاتم^(٣).

قال الحاكم: حَدَّثَ في الإسلام ستاً وسبعين سنة فكان مُحدِّثَ العصر، ولم يختلف في صدقه وصحة سماعه^(٤).

وتوفى - رحمه الله - في الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة ست وأربعين وثلاثمائة^(٥).

٥ - أبو عمرو السَّمَاك:

هو الإمام المُحدِّثُ المُكثِرُ الصادق مسند العراق: أبو عمرو

(١) تذكرة الحفاظ ٣ : ٨٦٠ رقم ٨٣٥.

(٢) شذرات الذهب ٢ : ٣٧٣، وسير أعلام النبلاء ١٥ : ٤٥٦.

(٣) و(٤) و(٥) سير أعلام النبلاء ١٥ : ٤٥٧ و٤٥٨ و٤٦٠.

عثمان بن أحمد بن عبد الله بن يزيد البغدادي الدقاق المعروف
بابن السمّاك. (١)

اعتنى به والده فطلب العلم صغيراً.

قال الخطيب البغدادي (٢): وتوفى - رحمه الله - يوم الجمعة
لأربع بقين من ربيع الأول سنة أربع وأربعين وثلاثمائة. وحزر من
حضر جنازته بخمسين ألف إنسان ودفن في مقابر باب الدَيْر.

٦ - مُكْرَم البغدادي البزار:

هو الإمام القاضي المحدث أبو بكر مُكْرَم بن أحمد بن محمد
بن مُكْرَم البغدادي البزار (٣).

وتوفى في يوم الخميس لخمس خلون من جمادى الأولى سنة
خمس وأربعين وثلاثمائة (٤) - رحمه الله - .

٧ - أبو بكر النجّار:

هو الإمام المحدث الحافظ الفقيه المفتي شيخ العراق: أبو
بكر أحمد بن سليمان بن الحسن بن إسرائيل البغدادي الحنبلي
النجّاد.

ولد سنة ثلاث وخمسين ومائتين.

(١) سير أعلام النبلاء ١٥ : ٤٤٤ رقم ٢٥٥ .

(٢) المرجع السابق ١١ : ٣٠٣ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٥ : ٥١٨ رقم ٢٩٤ ، والعبر ٢ : ٧١ .

(٤) تاريخ بغداد ١٣ / ٢٢١ .

سمع من أبي داود السجستاني - حيث ارتحل إليه وهو خاتمة أصحابه .

قال الخطيب : وكان صدوقاً عارفاً، جمع الهند، وصنّف في السنن كتاباً كبيراً. (١)

وتوفى النجّاد في يوم الثلاثاء لعشر بقين من ذي الحجة سنة ثمان أربعين وثلاثمائة، ودفن في مقبرة باب حرب (٢).

٨ - حمزة العُقبي :

هو الشيخ العالم الصدوق، أبو أحمد حمزة بن محمد العباس البغدادي العُقبي الدهقان، سكن بالعقبة (٣) فنسب إليها.

وتوفي في ذي القعدة سنة سبع وأربعين وثلاثمائة (٤).

٩ - الأبرّي :

هو الشيخ، الإمام، الحافظ، أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم السجستاني الأبرّي (٥) - بالمدثم بالضم -

(١) تاريخ بغداد ٤ : ١٩٠ رقم ١٨٧٩ .

(٢) المرجع السابق ٤ : ١٩٢ .

(٣) العقبة: محلة ببغداد تقع وراء نهر عيسى بن [على] قرية من دجلة .

انظر معجم البلدان ٤ : ١٣٤ ، وتاريخ بغداد ٨ : ١٨٣ .

(٤) تاريخ بغداد ٨ : ١٨٣ رقم ٤٣٠٦ .

(٥) الأبري: نسبة إلى قرية أبر: بفتح الهمزة، وسكون الألف، وضم الباء

الموحدة وهي من قرى سجستان . معجم البلدان ١ : ٤٩ - أبر .

ارتحل في طلب العلم وسمع من الإمام ابن خزيمة، وأبى العباس الثقفي، وغيرهم.

مات في شهر رجب سنة ثلاث وستين وثلاثمائة. له من المؤلفات: «مناقب الإمام الشافعي».

قال عنه ياقوت^(١): شيخ من أئمة الحديث، له كتاب نفيس في أخبار الإمام الشافعي، أجاد فيه كل الإجابة، رحل إلى مصر والشام، والحجاز، والعراق، وخراسان، وكان يُعدُّ من الحفاظ.

١٠ - جعفر البغدادي:

الشيخ الإمام القدوة المحدث شيخ الصوفية أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير بن قاسم البغدادي.

ولد سنة اثنتين أو ثلاث وخمسين ومائتين.

قال الخطيب^(٢): وكان سافر الكثير ولقى المشايخ الكبراء من المحدثين والصوفية، ثم عاد إلى بغداد فاستوطنها، وروى بها علماً كثيراً.

وتوفى يوم الأحد لسبع خلون من شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة^(٣).

(١) معجم البلدان ١ : ٤٩ .

(٢) و(٣) تاريخ بغداد ٧ : ٢٦٦ رقم ٣٧١٥ .

١١ - عبد الله بن شاذان الكراني :

قال ياقوت: ^(١) هو أبو محمد عبد الله بن شاذان الكراني .

روى عنه الخطابي أبو سليمان أحمد بن محمد في كتاب «صفة أسماء الله تعالى» أهـ .

وقال الذهبي ^(٢) : ونقله عنه ابن حجر ^(٣) : الكراني : بالضم والتخفيف : عبد الله بن شاذان الكراني شيخ للخطابي .

١٢ - أبو عمرو الحيري :

هو محمد بن أحمد بن حمدان أبو عمرو الحيري ^(٤) - مسند خراسان . سمع جماعة من العلماء، وصحب جماعة من الزهاد، وكان عالماً بالقراءات، والنحو، وكان متعبداً، وكان المسجد منزله نيفاً وثلاثين سنة، روى عن الحسن بن سفيان، وزكريا الساجي - وغيرهم .

توفى في ذي القعدة سنة ست وسبعين وثلاثمائة . وله ثلاث وسبعون سنة - رحمه الله ^(٥) .

(١) معجم البلدان ٤ : ٤٤٤ .

(٢) المشتبه في الرجال للذهبي ٢ : ٥٤٦ .

(٣) تبصير المتنبه بتحريр المشتبه ٣ : ١٢٠٨ .

(٤) قال الحافظ ابن حجر: منسوب إلى حيرة نيسابور . تبصير المتنبه ٣٦٦/١ .

(٥) للاستزادة عن ترجمته، انظر المنتظم ٧/١٣٤ رقم ٢٠١ والعبر .

١٣ - سعيد بن سلام :

هو أبو بكر سعد بن سلام وقيل : أبو سالم ابن عثمان المغربي الصوفي^(١). كان قد سكن بغداد ثم انتقل إلى خراسان، وله كرامات مذكورة وكان من كبار المشايخ، وقد جاور بمكة.

توفي في نيسابور سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة^(٢). ولما بلغ خبر وفاته أبو سليمان الخطابي قال: إن كان في هذا العصر من المحدثين أحد فأبو عثمان^(٣) المغربي.

وقال الصفدي عنه^(٤): نزيل نيسابور، مولده القيروان، لقي الأشياخ بمصر والشام وجاور بمكة، وكان لا يظهر في الموسم. قال الحاكم: أنا ممن خرج من مكة متحسراً على رؤيته...؟؟

١٤ - أبو الطيب التمار:

هو الحسين بن علي بن محمد، أبو الطيب النحوي، المعروف بالتمار، حدث عن محمد بن أيوب الرازي.

= ١٤٨/٢ وشذرات الذهب ٨٧/٣.

(١) تاريخ بغداد ٩ : ١١٢ و ١١٣ وذكر بعض كراماته.

(٢) تاريخ بغداد ٩ : ١١٢ و ١١٣ وذكر بعض كراماته.

(٣) المنتظم ٧ : ١٢٢ و ١٢٣.

(٤) الوافي بالوفيات ١٥ : ٢٢٥ رقم ٣١٤.

١٥ - خلف الخيام:

قال عنه الإمام الذهبي^(١):

الخيام: خلف بن محمد بن إسماعيل، أبو صالح البخاري، محدث ما وراء النهر، روى عن صالح جزرة وطبقته ولم يرحل.

لَيْتَهُ الإِدْرِيْسِي، وعاش ستاً وثمانين سنة.

وذكره فيمن توفي سنة إحدى وستين وثلاثمائة.

ونقل هذا بنصه ابن العماد الحنبلي^(٢).

والخيام هذا هو الذي روى عنه الخطابي صحيح البخاري

برواية النسفي^(٣).

وممن روى عنهم من الفقهاء:

١٦ - الإمام القفال: ^(٤)

هو الإمام الفقيه محمد بن علي بن إسماعيل القفال الكبير

الشاشي الشافعي، ولد بالشاش سنة إحدى وتسعين ومائتين.

كان إماماً في التفسير والحديث والكلام والأصول والفروع

(١) العبر ٢: ١١١. وليته: أي ضعفه من قولهم: فلان لين الحديث.

(٢) شذرات الذهب ٣: ٣٩.

(٣) أعلام الحديث ١: ١٠٦.

(٤) اختصرت ترجمته من طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣: ٢٠٠ رقم

١٥٩٠، وطبقات الشافعية للاستنوي ٢: ٧٩ رقم ٦٦٨.

واللغة والشعر، قال فيه الإمام الحاكم: هو الفقيه، الأديب، إمام عصره بما وراء النهر للشافعيين وأعلمهم بالأصول وأكثرهم رحلة في طلب الحديث.

عنه انتشر فقه الشافعي بما وراء النهر وتوفى - رحمه الله - في ذي الحجة آخر سنة خمس وستين وثلاثمائة بالشاش.

١٧ - ابن أبي هريرة:

هو الإمام الجليل الفقيه القاضي أبو علي الحسن بن الحسين المعروف بابن أبي هريرة البغدادي.

وقال ابن خلكان^(١): درس ببغداد، وتخرج عليه خلق كثير، وانتهت إليه إمامة العراقيين، وكان معظماً عند السلاطين والرعايا إلى أن توفى في بغداد في شهر رجب سنة خمس وأربعين وثلاثمائة^(٢).

ومن شيوخه في اللغة الأدب:

١٨ - غلام ثعلب:

هو الإمام الأوحى العلامة اللغوي المحدث: أبو عمر محمد ابن عبد الواحد بن أبي هاشم البغدادي الزاهد المعروف بغلام ثعلب^(٣). ولد سنة إحدى وستين ومائتين ولازم «ثعلباً» في

(١) وفيات الأعيان ٧: ٢٩٨ رقم ٣٨٠٨.

(٢) تاريخ بغداد ٧: ٢٩٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٥: ٥٠٨ رقم ٢٨٨.

العربية فأكثر عنه إلى الغاية، حتى عرف بغلام ثعلب^(١).

قال الخطيب البغدادي^(٢): فاما الحديث فرأينا جميع شيوخنا يوثقونه فيه ويصدقونه. وتوفى - رحمه الله - في يوم الأحد، ودفن في يوم الاثنين لثلاث عشر ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وأربعين وثلاثمائة^(٣).

قلت: وهو التالي لابن الأعرابي في كثرة روايات الخطابي عنه، إذ لم يخلو كتاب حديثي مطبوع للخطابي من روايات لغوية كثيرة عنه.

١٩ - الأزهري:

هو العلامة اللغوي: أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري، الهروي الشافعي^(٤). مولده سنة اثنتين وثمانين ومائتين^(٥).

وقد روى عنه الخطابي كثيراً في كتابه «غريب الحديث»^(٦)

(١) سير أعلام النبلاء ١٥ : ٥٠٨ رقم ٢٨٨.

(٢) تاريخ بغداد ٢ : ٣٥٧ رقم ٨٦٥.

(٣) تاريخ بغداد ٢ : ٣٥٩.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٦ : ٣١٦ رقم ٢٢٢.

(٥) بغية الوعاة ١ : ٢٩.

(٦) للوقوف على رواياته عنه، انظر فهرس الإعلام لغريب الحديث ٣ :

وكتبه مرة لسؤاله عن معنى «البرهرة»^(١)، أثنى عليه الذهبي فقال: ^(٢) كان رأساً في اللغة والفقه، ثقة ثبتاً ديناً.

وقال ابن خلكان^(٣): وكان أبو منصور جامعاً لشتات اللغة، مُطَّلِعاً على أسرارها ودقائقها.

وقال فيه السيوطي^(٤): كان عارفاً بالحديث، عالي الإسناد، كثير الورع، وكانت وفاته^(٥) في ربيع الآخر سنة سبعين وثلاثمائة بهرة.

٢٠ - إسماعيل الصَّفَّار:

هو الإمام النحوي الأديب مُسند العراق أبو علي بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن صالح البغدادي الصَّفَّار المُلْحِي^(٦). ولد سنة سبع وأربعين ومائتين^(٧) وقال عنه الذهبي:

-
- (١) غريب الحديث ١/٦٧٥.
 - (٢) سير أعلام النبلاء ١٦/٣١٦ رقم ٢٢٢.
 - (٣) وفيات الأعيان ٤: ٣٣٤ و٣٣٥ رقم ٦٣٩.
 - (٤) بغية الوعاة ١: ٢٩.
 - (٥) وفيات الأعيان ٤: ٣٣٤ و٣٣٥ رقم ٦٣٩.
 - (٦) المُلْحِي: نسبة إلى الملح والنوادر، كما قال الذهبي في سير أعلام أعلام النبلاء ١٥: ٤٤٠ رقم ٢٥٠.
 - انظر لسان العرب مادة ملح ٣: ٥٢١ والمعجم الوسيط مادة ملح ٢: ٨٨٣.
 - (٧) تاريخ بغداد ٦/٣٠٢ رقم ٣٣٤٤.

الإمام النحوي الأديب مسند العراق وقال: انتهى إليه علو الإسناد، وله شعر وفضائل وكان مُقَدِّمًا في العربية^(١)، وقال ياقوت الحموي: صحب المبرد صحبة اشتهر بها^(٢)، وقال السيوطي: علامة بالنحو واللغة، ثقة أمين^(٣) وتوفى - رحمه الله - ببغداد سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة^(٤).

٣ - تلاميذه والرواة عنه :

بعد أن تأهل الإمام الخطابي للتعليم، وصار مستحقاً للرواية عنه، جلس للتعليم، فتلمذ عليه عدد كبير من طلاب العلم في زمانه.

وقد عُرف الإمام الخطابي بمحبته لطلابه، وتواضعه لهم، حين تعامله معهم. ويدل على ذلك أنه في كل مؤلفاته ذكر في مقدماتها أنه ألفها استجابة لرغبة طلابه، وإخوانه.

كما أنه في عدد من مؤلفاته استعمل عبارات لطيفة في مخاطبته طلابه. منها قوله^(٥): أكرمكم الله، وقوله^(٦): نفعنا الله وإياكم

(١) سير أعلام النبلاء ١٥ / ٤٤١ رقم ٢٥٠.

(٢) معجم الأدباء ٧ : ٣٣.

(٣) بغية الوعاة ١ : ٤٥٤ رقم ٩٢٨.

(٤) تاريخ بغداد ٦ : ٣٠٤.

(٥) معالم السنن ١ / ص ٢ و ٥ وشأن الدعاء - ص ٢ و ٣.

(٦) معالم السنن ١ : ٨.

برحمته . وقوله: (١) ألهمك الله الصواب، وأراك المحاب،
وقوله (٢): أحي: وليك الله بالحسنى، وأدام الله سعادتك . .
وغيرها من العبارات المشرقة التي تمثل القدوة الحسنة لطلاب
العلم اليوم ليتعاملوا بها مع شيوخهم وتلاميذهم . . لتتحقق
الاستفادة منهم علماً وخُلُقاً.

هذا وسأقتصر على بعض من تلاميذ الإمام الخطابي - ممن
انتفعوا به كثيراً ممن وقفت على تراجمهم وهم:

١ - الإمام الحاكم:

قال عنه الذهبي (٣): الحافظ الكبير إمام المحدثين أبو عبد الله
محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدوية بن نعيم الضبي الطهماني
النيسابوري المعروف «بابن البيع» صاحب التصانيف . ولد سنة
إحدى وعشرين وثلاث مائة في ربيع الأول .

وطلب الحديث من الصغر باعتناء خاله فسمع سنة ثلاثين،
ورحل إلى العراق وهو ابن عشرين، ثم جال في خراسان وما وراء
النهر وسمع بالبلاد من ألفي شيخ أو نحو ذلك .

(١) العزلة - ص ٥١ .

(٢) الغنيمة عن الكلام وأهله، المطبوع ضمن «صون المنطق والكلام
للسيوطي» ص ٩٢ .

(٣) تذكرة الحفاظ ٣: ١٠٣٩ رقم ٩٦٢ . سير أعلام النبلاء ١٧ : ٢٤

وقال الذهبي^(١): وحدث أبو عبد الله الحاكم عنه - أي الخطابي - فكان من أقرانه في السن والسند.

قال فيه الخطيب^(٢) البغدادي: كان من أهل الفضل والعلم والمعرفة والحفظ، وله في علوم الحديث مصنفات عدة.. وكان ثقة.

وقال الذهبي^(٣): وَصَنَّفَ، وَخَرَّجَ، وَعَدَّلَ، وَصَحَّحَ، وَعَلَّلَ، وكان من بحور العلم.

وتوفى الحاكم في صفر سنة خمس أربعمائة^(٤) - رحمه الله -

٢ - أبو حامد الاسفراييني: ^(٥)

هو الإمام أبو حامد: أحمد بن محمد بن أحمد الإسفراييني. ولد سنة أربع وأربعين وثلاثمائة.

وقدم بغداد شاباً فتفقه على الشيخين: أبي الحسن بن المرزبان وأبي القاسم الداركي.. حتى صار أحد أئمة وقته.

قال فيه الخطيب البغدادي: وكان ثقة، وسمعت من يذكر أنه

(١) سير أعلام النبلاء ١٧ : ٢٤ .

(٢) تاريخ بغداد ٧٣/٥ رقم ٣٠٢١ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٧ / ١٦٥ رقم ١٠٠ .

(٤) تذكرة الحفاظ ٣ / ١٠٤٥ .

(٥) تاريخ بغداد ٤ : ٣٦٨ رقم ٢٢٣٩ .

طبقات الشافعية للسبكي ٦١/٤ رقم ٢٧٠ ..

كان يحضر درسه سبعمائة متفقه، وكان الناس يقولون: لو رآه الشافعي لفرح به.

وقال فيه الشيخ أبو إسحاق: انتهت إليه رئاسة الدين والدنيا ببغداد، وعلق عنه تعاليق في شرح المزني، وطبق الأرض بالأصحاب، وجمع مجلسه ثلاثمائة متفقه، اتفق الموافق والمخالف على تفضيله وتقديمه في وجوه الفقه، وحسن النظر ونظافة العلم.

وتوفى في ليلة السبت إحدى عشرة ليلة بقين من شوال سنة وأربعمائة، وكان يوماً مشهوداً بكثرة الناس، وعظم الحزن، وشدة البكاء ودُفن في داره، إلى أن نُقل منها ودفن بباب حرب سنة عشر وأربعمائة.

٣ - أبو عبيد الهروي:

هو العلامة أبو عبيد أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الهروي الشافعي اللغوي المؤدّب، وصاحب «الغريبين» غريب القرآن والحديث^(١).

وقال السلفي: وحدّت [الهروي] عنه [أي الخطابي] في كتاب الغريبين^(٢)، وقال ياقوت: قرأ على جماعة منهم أبو سليمان الخطابي، وكان اعتماده وشيخه الذي يفتخر به أبا منصور محمد

(١) سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٤٦ و ١٤٧ رقم ٨٨.

(٢) معالم السنن ٤/ ٣٧٩.

بن أحمد الأزهري صاحب كتاب التهذيب في اللغة^(١).

قال الذهبي: توفي في سادس رجب سنة إحدى وأربعمائة^(٢).
وقال ابن خلكان^(٣): وكتابه المذكور (يعني كتاب الغريبين) جمع
فيه بين تفسير غريب القرآن الكريم والحديث النبوي، وسار في
الآفاق وهو من الكتب النافعة^(٤).

٤ - أبو ذر الهروي:

هو الإمام العلامة الحافظ أبو ذر عبد بن أحمد بن محمد بن
عبد الله بن غفير الأنصاري المالكي بن السّمَاك شيخ الحرم.

قال الخطيب: وكان يذكر أنّ مولده في سنة خمس أو ست
خمسين وثلاثمائة، يشك في ذلك وقال الذهبي: صاحب
التصانيف وراوي الصحيح عن الثلاثة: المستملي، والحموي،
والكُشميهني^(٥).

ونقل أيضاً عن عبد الغافر بن إسماعيل في «تاريخ نيسابور» أنه
قال: كان أبو ذر زاهداً، ورعاً، عالماً، سخيّاً لا يدخر شيئاً،

(١) معجم الأدباء ٤/٢٦٠ رقم ٥٩، وبغية الوعاة ١/٣٧١ رقم ٧٢١.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٧ : ١٤٧ ..

(٣) وفيات الأعيان ١ : ٩٦ رقم ٣٦.

(٤) كتاب الغريبين لأبي عبيد الهروي طبع الجزء الأول منه بتحقيق /د/ محمود

محمد الطناحي في القاهرة سنة ١٣٩٠هـ. ثم طبع كاملاً في الهند.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٧ : ٢٤.

الصحيحين تخرجاً حسناً، وكان حافظاً كثير الشيوخ.
ومات بمكة لخمس خلون من ذي القعدة سنة أربع وثلاثين
وأربعمائة - رحمه الله .

٥ - عبد الغافر بن محمد الفارسي :

هو عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر بن أحمد بن محمد بن
سعيد أبو الحسن الفارسي ثم النيسابوري^(١) .
ولد سنة نيف وخمسين وثلاثمائة .
ومن مؤلفاته «السياق لتاريخ نيسابور»^(٢) .
وكانت وفاته في خامس شوال سنة ثمان وأربعمائة بنيسابور .
وقال الذهبي: كمل خمسا وتسعين سنة وكان عدلا جليل
القدر^(٣) .

قلت: وقد روى عن الخطابي عدداً من مؤلفاته^(٤) منها:
«غريب الحديث» كما تقدم، «وأعلام الحديث» و«معالم السنن»،
و«تفسير الأدعية الماثورة» المطبوع باسم «شأن الدعاء» .

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ١٩ - ٢٠ .

(٢) معجم الأدباء ٢٦٨/٤ .

(٣) العبر ٢/٢٩٢ وشذرات الذهب ٣: ٢٧٨ .

(٤) فهرسة ابن خير - ص ٢٠١ .

٤ - مذهبه الفقهي :

الإمام الخطّابي شافعي المذهب .

وإن كنت لم أفق على تصريح منه بذلك في مؤلفاته المطبوعة، ولكن يدل على ذلك مايلي :

١ - ذكره في تراجم الفقهاء الشافعية^(١) .

ولم أفق على من ترجم له في كتب طبقات الفقهاء غيرهم .

٢ - نصّ على ذلك بعض الأئمة ومنهم :

☆ الإمام النووي وصف الخطّابي بقوله^(٢) : الفقيه الشافعي، وكذا شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣)

☆ الحافظ ابن حجر قال^(٤) : والخطّابي من الشافعية .

٣ - عنايته كثيراً بفقهِ الإمام الشافعي وأصحابه، وذكره لأقوالهم غالباً عند عرضه للخلاف في المسائل الفقهية أثناء شروحه للأحاديث، وكذلك شرحه للألفاظ الغريبة في «مختصر

(١) انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢٨٢/٣ رقم ١٨١، وطبقات الشافعية للإسنوي ٤٦٧/١ رقم ٤٢٠، وطبقات الشافعية لابن قاضي شُهبة الدمشقي ١٥٦/١ رقم ١١٦، وطبقات الشافعية للعبّادي ص ٩٤ .

(٢) شرح صحيح مسلم ٢٧/١ و ١٤٤ .

(٣) مجموع الفتاوى ١٧٧/٣٣ .

(٤) فتح الباري ٥٨٥/١٠ .

المزني»^(١) وتأليفه كتاباً مستقلاً في «مناقب الإمام الشافعي»^(٢).

٤ - قال الإمام الذهبي^(٢): وأخذ الفقه على مذهب الشافعي، عن أبي بكر القفال الشاشي، وأبى علي بن أبي هريرة، ونظرائهما. ومما تجدر الإشارة إليه أن الخطابي لم يكن مُقلداً صِرفاً، بل كان له إجهاده في كثير من المسائل، وله ترجيحاته التي يخالف فيها أحياناً الإمام الشافعي رحمه الله.

وذلك لتمكنه من الأخذ بوسائل الاجتهاد، وأهليته لذلك.

٥ - الخطابي شاعراً وأديباً:

الإمام الخطابي أحد أئمة اللغة العربية، وأحد البارعين في علم غريب الحديث، لذا كان له اهتمامه بالأدب والشعر ولهذين أهميتها لدى العلماء قديماً وحديثاً، لما لهما من أثر في سلاسة الألفاظ العلمية، وما يترتب عليهما من حُسن سبك التراكيب والجمل اللفظية. إضافة لما يحدثه الأدب والشعر في النفس من تحريك للوجدان وإشعال للعواطف وإرهاف للحس فتتنشط معه النفس لتلقى العلوم.

وعُرِف الإمام الخطابي بشعره الجميل ونثره الرائع، ويتمثل

(١) و (٢) انظر الكلام عن هذين الكتابين في المبحث المتعلق بمؤلفاته.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٧: ٢٤.

ذلك جلياً في مختلف مؤلفاته، حيث تتميز بسهولة الأسلوب،
وحسن الكتابة، وإيجاز العبارة.

واشتهر الإمام الخطابي كثيراً بالشعر، وأثنى عددٌ من العلماء
على شعره، من ذلك ما نقله الإمام الذهبي عن أحد الأدباء أنه
قال: وله - رحمه الله - شعرٌ هو سحر^(١) أهـ.

قال الإمام الثعالبي عنه . . إنه كان يقول شعراً حسناً^(٢).

وقال ياقوت: . . كان . . . أديباً شاعراً لغوياً^(٣).

وقال الصَّفدي: وشعره كثيرٌ جيد، وللحافظ السَّلفي فيه أمداح
كثيرة ولغيره^(٤).

وكانت أغراض الشعر لديه محصورة في الزهد، والحكم
والورع، ووصف الدنيا ونحو ذلك.

وطريقته في ذلك طريقة العلماء حيث يسخرون شعرهم لما فيه
خير للناس، وترقيق لقلوبهم بأبيات تصل إلى أفئدتهم . . وتؤثر
فيهم.

وكان له ذوق شعري في انتقاء الأبيات التي يستشهد بها في
الأبيات التي ذكرها في ثنانيا كتاب «العزلة» حيث ينتخب الأبيات

(١) سير أعلام النبلاء ٢٦/١٧.

(٢) يتيمة الدهر ٣: ٣٣٤.

(٣) معجم الأدباء ١٠: ٢٦٨.

(٤) الوافي بالوفيات ٧: ٣١٨.

الرائعة لعدد من الشعراء الفحول، وأكثر شعر الخطابي منصباً على أهمية العزلة، والبعد عن الدنيا والتركيز على الآخرة مع ما يصحب ذلك من تأملات مختلفة لآيات الله في كونه العظيم.

فمن شعره في مدح العزلة قوله^(١):

أَنِسْتُ بِوَحْدَتِي وَلَزِمْتُ بَيْتِي فِدَامِ الْأُنْسِ لِي وَنَمَا السَّرُورُ
وَأَدَّبَنِي الزَّمَانُ فَلَا أَبَالِي هَجِرْتُ فَلَا أَرَارُ وَلَا أَزُورُ
وَلَسْتُ بِسَائِلٍ مَا دَمْتُ حَيًّا أَسَارَ الْخَيْلِ، أَمْ رَكِبَ الْأَمِيرُ

وقال أيضاً واصفاً عزلته ومادحاً لها:

إِذَا خَلَوْتُ صَفَا ذَهْنِي وَعَارَضْتَنِي خَوَاطِرُ كَطَرَاذِ الْبُرْقِ فِي الظُّلَمِ
وَإِنْ تَوَالَى صِيَاحُ النَّاعِقِينَ عَلَيَّ أَذْنِي عَرْتَنِي مِنْهُ لَكِنَّةَ الْعَجْمِ^(٢)

(١) هذه الأبيات ذكرها الإمام شمس الدين القرطبي في كتاب «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» - ص ٦١٣، وعزاها للخطابي، وكذلك ذكرها محمد بن الحسن السمان الحموي في كتاب «جمال الخواطر في الأدب والنوادر» ونسبت للخطابي ١ : ٥٣ و ٥٤، وذكرها الخطابي في كتاب العزلة - ص ١٠٨، وقال أنشدنا بعضهم فلا أدري لم أبهم اسم قائلها؟ أم أنها له ولم يذكر اسمه تواضعاً ورغبة في عدم الشهرة، لأنه في الغالب في هذا الكتاب ذكر أسماء الشعراء الذين يستشهد بهم ويروى شعرهم.

انظر كتاب العزلة - ص ١٠٧ و ١٠٨ و ١٠٩ و ١١٢ و ١١٣ وغيرها.

(٢) معجم الأدباء ١٠ / ٢٧٠.

وقال واصفاً حال أبناء زمانه، وتغيّرهم أنه لا يجد من يشاكله منهم:

وما غمة الإنسان في شقة النوى ولكنها والله في عدم الشكل
وإني غريب بين بُستِ وأهلها وإن كان فيها أُسرتي وبها أهلي^(١)

وقال في وصفه للحياة، حاثاً الناس على عدم الانغماس في ملذاتها الاهتمام بأمور الآخرة:

لعمرك ما الحياة وإن حرصنا عليها غير ریح مُستعاره
وما للريح دائمة هبوب ولكن تارة تجري وتاره^(٢)

وقال متفكراً في خلق الله واصفاً طائراً على شجرة:

ياليتني كنتُ ذاك الطائر الغردا من البرية منحازاً ومنفرداً
خلو الهموم سوى حب تلمسه في التُّرب، أو نفية^(٣) يروي بها كبدا
ما إن يؤرقه فكرٌ لرزق غدٍ ولا عليه حسابٌ في المعاد غدا
طوباك من طائرٍ طوباك ويحك طب من كان مثلكُ في الدنيا فقد سعدا^(٤)

(١) يتيمة الدهر ٣ : ٣٣٥، وفي خزانة الأدب ٢ : ١٢٤ وجعل غربة بدل غمة، وكذا في وفيات الأعيان ٢ : ٢١٤.

وفي طبقات الشافعية للاسنوي ١٠ : ٤٦٨، وسير أعلام النبلاء ١٧ : ٢٨ وشذرات الذهب ٣ : ١٢٨، والوافي بالوفيات ٧ : ٣١٨.

(٢) معجم الإدياء ١٠ : ٢٧٠، ويتيمة الدهر ٣/٣٣٥.

(٣) النفية: الماء القليل - بتصرف من لسان العرب - نفى - ٦٩٧/٣.

(٤) معجم الأدباء ٤/٢٥٥.

وقال واصفاً الأسلوب الذي ينبغي اتباعه في التعامل مع الناس،
وأهمية الاحسان إليهم:

ارضَ للناس جميعاً مثل ما ترضى لنفسك
إنما الناس جميعاً كلهم أبناء جنسك
غير عدلٍ إن توخى وحشة الناس بأنسك
فلهم نفسٌ كنفسك ولهم حسنٌ كحسك
قال أيضاً:

ما دمت حياً فدارِ الناس كلهم
فإنما أنت في دار المداراة
من يدر داري ومن لم يدر سوف يرى
عما قليل نديماً للندامات^(١)

وقال أيضاً:

تسامح لا تسوّف حَقك كله
ابقَ فلم يَسْتَقْصِ قَطُ كريم
لا تغل في شيء من الأمر واقتصد
كلا طرفي قصد الأمور ذميم^(٢)

(١) خزانة الأدب ٢ : ١٢٤ .

معجم الأدباء ٤ : ٢٥٨ .

يتيمة الدهر ٣ : ٣٣٥ .

والوفاي بالوفيات ٧ : ٣١٨ .

(٢) العزلة للخطابي - ص ٢٣٧ .

وقال أيضاً:

وإني لأعرف كيف الحقوق وكيف يئر الصديق الصديق
ورحب فؤاد الفتى محنة عليه إذا كان في الحال ضيق^(١)

فبهذه الأشعار استحق أن يوصف كما قال الذهبي^(٢): بأنه
الفقيه الأديب.

هذا ولقد ذكر الأستاذ العلامة/ عبد الله كنون - رحمه الله -
الإمام الخطابي مع الفقهاء الأدباء في مقال له بعنوان «أدب
الفقهاء» بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق^(٣).

وذكر نماذج من شعره، مما ذكرته قريباً. ثم قال: وليس أدل
على شاعرية المرء من أن يسير كلامه بين الناس مسير المثل،
ويتقبلونه، ويستشهدوا به في مثل المناسبة التي قيل فيها. ثم
قال: هذا ينبىء عن عارضة قوية، ولا يستطيع ناقد أن يلمزه بعيب
فني لأن قائلها فقيه أهـ

ومما تجدر الإشارة إليه أن أكثر من أورد نماذج من شعر

= ومعجم الأدباء ٤ : ٢٥٩ .

وفيات الأعيان ٣ : ٢١٥ ، وخزانة الأدب ٢ : ١٢٣ .

(١) كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة - ص ١٢٠ .

(٢) العبر ٢ : ١٧٤ .

(٣) انظر مجلة المجمع العلمي بدمشق عدد رقم ٤٠ - ص ٣٨٠ . بتصرف

يسير .

الخطابي هو الإمام الثعالبي في «يتيمة الدهر»^(١) ونقلها عنه ياقوت في «معجم الأدباء»^(٢)

شخصيته العلمية:

تميزت شخصية الإمام الخطابي العلمية بتعدد جانبها وإلمامه بالعديد من فنون العلم، مع استقلاله باجتهادات وآراء كثيرة. فهو في مجال الحديث وعلومه: محدّث بارع له منهجه الحديثي، وفي مجال الفقه: فهو فقيه، جهّذ، له اجتهاداته العديدة في كثير من المسائل الفقهية، واعتنى بالعميقة في كثير من شروحه، وله فيها عدة مؤلفات كما سيأتي، أما في مجال اللغة العربية فله اليد الطولى في ذلك حيث اعتنى باللغة العربية كثيراً. وسخرها لخدمة حديث رسول الله ﷺ بشروح غريبه.

وفيما يتعلق بالشعر والأدب، فهو صاحب عبارة مُشرقة، وأسلوب جميل في أشعاره، وفي كتاباته في مؤلفاته.

وله عناية أيضاً بالطب، والتداوى بالأعشاب والنباتات، يتضح ذلك جلياً في كتابه: «أعلام الحديث» وفي تأليفه كتاباً مستقلاً في الطب وسيأتي تفصيل لهذا عند الكلام على مؤلفاته بتوفيق العلي الكريم.

(١) يتيمة الدهر ٣ : ٣٣٤ و ٣٣٥ .

(٢) معجم الأدباء ٤ : ص ٢٥٤ حتى ص ٢٦٠ .

معجم الأدباء ١٠ : ص ٢٧٠ إلى ٢٧٢ .

مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه :

حظى الإمام الخطّابي - رحمه الله - بثناء العلماء عليه، وتقديرهم له، سواء من أهل عصره أو من بعدهم، ممن استفادوا من آثاره العلمية، وإليك بعض المقولات الدالة على ذلك :

١ - قال الإمام الحاكم - ت ٤٠٥هـ^(١) : الفقيه الأديب، أقام عندنا بنيسابور سنين وحدث بها، وكثرت الفوائد من علومه .

٢ - قال الإمام الثعالبي - ت ٤٢٩هـ^(٢) : كان يشبه في عصرنا بأبي عبيد القاسم بن سلام في عصره، علماً وأديباً، وزهداً، وورعاً وتدريساً، وتأليفاً، إلا أنه كان يقول شعراً حسناً وكان أبو عبيد مُفحماً^(٣) .

٣ - وقال السمعاني - ت ٥٦٢هـ^(٤) : إمام فاضل، كبير الشأن، جليل القدر، صاحب التصانيف الحسنة .

٤ - وقال أبو طاهر السلفي - ت ٥٧٦هـ^(٥) : وأما أبو سليمان

(١) الأنساب ٥ : ١٥٩ .

(٢) يتيمة الدهر ٤ : ٣٣٤ .

(٣) مفحماً أي لا يقدر على قول الشعر .

انظر مادة (فحم) في القاموس المحيط - ص ١٤٧٧ ولسان العرب ٢ : ١٠٥٨ والصحاح ٥ : ٢٠٠٠ ومعجم مقاييس اللغة ٤ : ٤٧٩ .

(٤) الأنساب ٥ : ١٩٥ .

(٥) مقدمة إملاء معالم السنن المطبوعة في آخر السنن ٤ : ٣٧٥ و٣٧٦ .

الشارح لكتاب [أبو داود] إذ وقف مُنصفٌ على مُصنفاته، واطَّلَعَ على بديع تصرفاته في مؤلفاته تحقَّق إمامته وديانته فيما يورده، وأمانته، وكان قد رحل في طلب الحديث وقرأ العلوم وَطَّوَّفَ ثم أَلَفَ في فنون العلم وصَّنَفَ.

٥ - وقال الإمام ابن الجوزي - ت ٥٩٧هـ^(١): له فهم مليح، وعلمٌ غزير، ومعرفة باللغة والمعاني، والفقهِ، وله أشعار جيدة وقال الإمام فخر الدين الرازي - ت ٦٠٦هـ: ^(٢) كان بَحْرًا في علم الحديث. وقيل في صفته: جُعِلَ الحديث لأبي سليمان كما جعل الحديد لأبي سليمان يعني داود عليه السلام.

٦ - وقال ياقوت الحموي - ت ٦٢٦هـ: كان محدِّثًا^(٣)، فقيهاً، أديباً، شاعراً، لغوياً، كان من الأئمة الأعيان^(٤).

٧ - ونقل عن أبي المظفر السَّمْعاني أنه قال: ^(٥) كان حجة صدوقاً.

٨ - أما الإمام النووي - ت ٦٧٦هـ: فلقد أثنى على الخطابي كثيراً، وأعجب به في عدد من مؤلفاته ومن ذلك:

(١) المنتظم ٦ : ٣٩٧.

(٢) مناقب الإمام الشافعي للرازي ص ٢٢٥.

(٣) معجم الأدباء ١٠ : ٢٦٨.

(٤) معجم البلدان «بست» ١ : ٤١٥.

(٥) معجم الأدباء ١٠ : ٢٦٨ و ٤ : ٢٥٠.

قوله: (١) الفقيه، الأديب، صاحب التصانيف المتداولة . .

وقوله (٢): الفقيه الشافعي، المتفتن .

وقوله: (٣) الفقيه، الأديب، الشافعي، المحقق .

وقوله: (٤) الإمام المجمع على إمامته وتفننه في العلوم، وإتقانه وإطلاعه، وتحريه وإنصافه .

وقوله: (٥) هذا آخر كلام الخطابي، ومحلّه من العلم مُطلقاً، ومن اللغة خصوصاً بالغاية العليا .

٩ - وقال ابن خَلَّكان - ت ٦٨١هـ: (٦) كان فقيهاً، أديباً، محدثاً، له التصانيف البديعة .

١٠ - وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - ت ٧٢٨هـ: (٧) هو إمام من أصحاب الشافعي متفق على علمه بالنقل وبالمعاني .

١١ - أما الإمام الذهبي - ت ٧٤٨هـ: فلقد ذكره ضمن حفاظ

(١) طبقات الشافعية للنووي - مخطوط - نقلاً عن ترجمة الخطابي في مجلة الرسالة عدد ٩٨ - ص ٨٢٢ .

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ١ : ٢٧ .

(٣) المرجع السابق ١ : ١٤٤ .

(٤) الترخيص بالقيام لذوي الفضل والمزية من أهل الإسلام - ص ٥٢ .

(٥) تهذيب الأسماء واللغات ٤ : ١٩٩ .

(٦) وفيات الأعيان ٢ : ٢١٤ .

(٧) مجموع الفتاوى ٣٣ : ١٧٧ .

الحديث الذين يعتمد عليهم في الجرح التعديل، حيث ذكره في كتابه: «تذكرة الحفاظ»^(١) في الطبقة الثالثة عشرة. وقال: ^(٢) كان ثقة، مُثبتاً، من أوعية العلم.

وقال: ^(٣) الإمام العلامة الحافظ اللغوي - صاحب التصانيف.

وقال: ^(٤) كان علامة محققاً.

١٢ - وقال الإسنوي - ت ٧٧٢ هـ: كان فقيهاً رأساً في علوم العربية والأدب، وغير ذلك ^(٥).

١٣ - قال السُّبكي - ت ٧٧١ هـ: كان إماماً في الفقه والحديث اللغة. وذكره الإمام أبو المظفر السمعاني في كتاب «القواطع في أصول الفقه» عند الكلام على العلة، السبب، والشرط، وقال: قد كان من العلم بمكان عظيم، هو إمام من أئمة السنة، صالح للاقتداء به، والإصدار عنه ^(٦).

١٤ - وقال ابن كثير - ت ٧٧٤ هـ: أحد المشاهير الأعيان، والفقهاء المجتهدين من المكثرين، سمع الكثير، وصنف

(١) تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠١٩ .

(٢) تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠١٩ .

(٣) العبر في خبر من غير ٢ : ١٧٤ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١٧ : ٢٤ و ٢٥ .

(٥) طبقات الشافعية للإسنوي ١ : ٤٦٧ رقم ٤٢٠ .

(٦) طبقات الشافعية للسبكي ٣ : ٢٨٢ و ٢٨٣ .

التصانيف الحسان، وله فهم مَلِيح، وعلم غزير، ومعرفة باللغة والمعاني والفقهِ^(١).

١٥ - وقال الشيخ شرف الدين البَهْئِسي - ت نحو ٨٢٠ هـ: أبو سليمان الخطابي من الأئمة الأعلام المجتهدين في قواعد الأحكام: وكان - رحمه الله - فقيهاً محدثاً أصولياً، جمع بين الحديث والفقهِ، ومد في تحقيق العلم باعاً مديداً، وأحكم من مبانيه رُكناً شديداً، حتى قلد أعناق أهل العلم المنن^(٢).

١٦ - قال الإمام الفيروزآبادي - ت ٨١٧ هـ: المحدث اللغوي الأديب المحقق المتقن من الأئمة الأعيان^(٣).

١٧ - وقال الإمام العراقي (٨٠٦ هـ) لكن الخطابي نقل التقسيم [أي تقسيم الحديث إلى ثلاثة أقسام، حديث صحيح وحسن وسقيم] عن أهل الحديث، وهو إمام ثقة^(٤)، قال أيضاً: كان رأساً في العربية والأدب الغريب.

١٨ - قال ابن قاضي شُهبة - ت ٨٥١ هـ: كان رأساً في علم

(١) البداية والنهاية ١١ : ٢٣٦ و ٣٢٤.

(٢) الكافي في معرفة علماء مذهب الشافعي قال الزركلي في الأعلام ٢ : ١٩٣ - إنه مخطوط. ونقلت كلام البهسي من مقدمة كتاب اصلاح غلط المحدثين ضمن كتاب الرسائل الكمالية - ص ٤٠.

(٣) البلغة ١ : ٩٤ رقم ١١٦.

(٤) التقييد والإيضاح - ص ١٩ وطرح التثريب ١/ ٤٤.

العربية والفقہ والأدب وغير ذلك^(١).

١٩ - وقال الإمام السيوطي - ت ٩١١ هـ الإمام العلامة المفيدُ المحدث الرَّحال أبو سليمان . . وكان ثقة مُثبتاً من أوعية العلم^(٢).

٢٠ - وقال العلامة أحمد مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده - ت ٩٦٨^(٣) هـ الإمام المشار إليه في عصره، والعلامة فريد دهره في الفقه والحديث والأدب، ومعرفة العرب له التصانيف المشهورة، والتأليفات العجيبة.

٢١ - وقال الإمام عبد الحي بن العماد الحنبلي^(٤) - ت ١٠٨٩ هـ: كان أحد أوعية العلم في زمانه، حافظاً فقيهاً مبرزاً على أقرانه.



(١) طبقات الشافعية - ص ١٠٦ .

(٢) طبقات الحفاظ - ص ٤٠٤ .

(٣) مفتاح السعادة ٢/ ١٢٨ .

(٤) شذرات الذهب ٣/ ١٢٨ .

الفصل الثالث

مؤلفات الإمام الخطابي

☆ تمهيد

☆ مؤلفاته في الفنون المختلفة عدا
الحديثية

☆ ما عُدَّ من مؤلفاته ولم تثبت نسبته إليه

☆ مؤلفاته الحديثية - غير المطبوعة

مؤلفات الإمام الخطّابي

«تمهيد»

حرص الإمام الخطّابي - رحمه الله - على أن يعم النفع بعلمه، وأن لا يحرم من جاء بعده من الاستفادة من علومه وآرائه واجتهاداته فألّف عدداً من المؤلفات العلمية استجابةً لرغبات طلابه؛ فبقيت بعده مشاعل يستضيء بها العلماء، ويستنير بها طلاب العلم وروّاد المعرفة. كما أشار إلى ذلك في مقدمات بعض كتبه أو مؤلفاته الآتي ذكرها.

ولقد عرف عنه - رحمه الله - جودة التصنيف وحرصه على تسيير انتفاع الناس بمؤلفاته.

قال الإمام ابن قاضي شُهبة «صنّف التصانيف النافعة المشهورة»^(١) وكذا قال الإسنوي^(٢)، والعراقي^(٣).

(١) طبقات الشافعية لابن قاضي شُهبة ١ : ١٥٦ .

(٢) طبقات الشافعية للأسنوي ١ : ٤٦٧ .

(٣) طرح الشريب ١ : ٤٤ .

قال ابن العماد الحنبلي: صاحب التصانيف النافعة
الجامعة^(١).

وهكذا وصف - رحمه الله - بأنه صاحب التصانيف من قبل
عدد من الأئمة كالذهبي^(٢)، وابن الجوزي^(٣) والسيوطي^(٤).

وكانت مؤلفاته - رحمه الله - في فنون مختلفة من العلم فلم
يقصرها على فن دون غيره، فهو إمام فقيه، محدث لغوي،
أديب.

كما قال أبو طاهر السلفي: وأما أبو سليمان فإذا وقف منصف
على مصنفاته، وأطلع على بديع تصرفاته، في مؤلفاته تحقق إمامته
واديانته. وكان قد رحل في طلب الحديث، وقرأ العلوم وطوّف،
ثم ألفت في فنون العلم وصنّف^(٥). وحظيت مؤلفاته - رحمه الله -
بالقبول والانتشار كما قال عنه الإمام النووي: أبو سليمان
الخطابي صاحب التصانيف^(٦) المتداولة.

(١) شذرات الذهب ٣ : ١٢٨ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٧ : ٢٣ .

(٣) المنتظم ٦ : ٣٩٧ .

(٤) طبقات الحفاظ للسيوطي - ص ٤٠٤ .

(٥) معالم السنن ٤ / ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

(٦) طبقات الشافعية للنووي وهو مخطوط، ونقلت النص السابق من
ترجمة برهان الدين الداغستاني للإمام الخطابي في مجلة الرسالة عدد
٩٨ - ص ٨٢٣ ، المجلد الثالث .

وقال ابن طاهر القيسراني - عن تصانيف الخطابي -: كثرت المنفعة بها^(١).

والظاهر - والله أعلم - أن أكثر مؤلفاته كتبها في نيسابور حيث أقام بها مدة من الزمن . . ويدل على ذلك قول الإمام الذهبي: أقام مدة بنيسابور يصنّف، فعمل غريب الحديث، وكتاب معالم السنن، وكتاب شرح الأسماء الحسنى، وكتاب العزلة، وكتاب الغنية عن الكلام وأهله^(٢).

فمؤلفاته متنوعة في عدة علوم منها العقيدة، وعلوم القرآن، والحديث وعلومه، والفقه، واللغة، والكلام، والطب، والزهد، والسلوك والمناقب، والمواعظ وغيرها كما سيأتي تفصيله قريباً بتوفيق الله تعالى.

هذا وقد تبين لي بعد البحث والمراجعة أن تلك المؤلفات منها المطوّل، ومنها المختصر، ومنها المخطوط، ومنها المطبوع، ومنها المُفتقد. وسأسرد أولاً قائمة بأسماء مؤلفاته، ثم أعرج على الكلام المفصّل على كل منها بحسب ما توصّلت إليه في بحثي عنه . . هي:

١ - إصلاحُ غَلَطِ المُحدّثين.

(١) مسألة العلو والنزول - ص ٨٦.

(٢) تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠١٩

- ٢ - أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، وسمّاه بعضهم: «أعلام السنن».
- ٣ - ابن الصياد.
- ٤ - الأمالي.
- ٥ - بيان إعجاز القرآن.
- ٦ - تفسير اللغة التي في مختصر المزني.
- ٧ - التوحيد.
- ٨ - جمع القرآن.
- ٩ - الجهاد.
- ١٠ - دلائل النبوة.
- ١١ - الرسالة الناصحة.
- ١٢ - السراج.
- ١٣ - شأن الدعاء.
- ١٤ - الشَّجَاج.
- ١٥ - شرح أسماء الله الحسنى.
- ١٦ - شرح (كتاب الدعوات لابن خزيمة)
- ١٧ - شعار الدين، وبراہین المسلمین.
- ١٨ - الطب.
- ١٩ - العروس.

- ٢٠ - العزلة - الكبير - ولم يتمه .
- ٢١ - العزلة الصغير وهو المطبوع .
- ٢٢ - علم الحديث .
- ٢٣ - غريب الحديث .
- ٢٤ - الغنية عن الكلام وأهله .
- ٢٥ - الفطرة .
- ٢٦ - الكلالة .
- ٢٧ - معالم السنن في شرح سنن أبي داود .
- ٢٨ - معرفة السنن والآثار .
- ٢٩ - مناقب الإمام الشافعي .
- ٣٠ - منتخب الموطأ .

ومما عُدَّ من مؤلفاته، ولكن لم تثبت نسبته إليه مايلي :

- ١ - عَجَالَة الْعَالَم .
- ٢ - معالم التنزيل .
- ٣ - من روى عن النبي ﷺ هو وأبوه .
- ٤ - عقيدة الخطابي .

وأقول بعد عرض أسماء مؤلفاته :

إن الناظر في تلك المؤلفات ليظهر له جلياً إخلاص الخطابي -
 النية لله عز وجل - في تأليفها ويتضح ذلك في :

١ - أن أكثر تلك المؤلفات ألفتها بناء على رغبة طلابه، ولم يعرف أنه ألف كتاباً ليهديه لأحد الولاة في زمانه، أو ليرد أو يجارى أحد العلماء من أقرانه.

٢ - حرصه على ملء مؤلفاته بالفوائد العلمية، ودقته وتحريز عبارته، دليل على رغبته في إفادة الناس بما هم في حاجة له، وترك الزبد عنهم جانباً، كما سيأتي في مميزات مؤلفاته الحديثية.

٣ - ما حظيت به مؤلفات الخطابي من ذبوع وانتشار وقبول لدى العلماء وطلاب العلم منذ زمن تأليفها إلى عصرنا الحاضر.

ويتمثل ذلك في توافر الناس عليها، ونهلهم منها، وكثرة نقولهم عنها، وروايتهم لها، فكتابه «غريب الحديث» يعتبر من الأمهات في هذا الفن. واستفاد منه خلق كثير في كتبهم كما يأتي في أثره في غيره. وكتابه «معالم السنن» يعتبر المرجع الأول لكل من أراد شرح سنن أبي داود، وكذلك «أعلام الحديث» لمن رام شرحاً لحديث في «صحيح البخاري» فهو عالة عليه غالباً. فكل من ألف في شرح هذين الكتابين فغالباً ما يعتمد على شرح الخطابي لهما ويعتبر كتاب «إصلاح غلط المحدثين» من أفضل ما أُلّف في التصحيف والتحريف. أما كتابه «العزلة» فهو من الكتب الحافلة لمن رغب المراجعة في الزهد والأخلاق والآداب، وكذلك كتابه «شأن الدعاء» فهو من الكتب الهامة لدى الباحثين فيما يتعلق بالدعوات والأذكار، وشرح أسماء الله الحسنی وما يتعلّق بذلك.

كذلك يقال عن كتابه «بيان إعجاز القرآن» من جودة تأليفه،
وحسن آرائه فيه رغم صغر حجمه.
وما كثرة نقول العلماء عن الخطابي في مؤلفاتهم في العقيدة
إلا دليل على جودة تصنيفه فيها.



مؤلفاته في الفنون المختلفة

١ - مسألة في ابن الصياد:

ذكره في كتاب أعلام الحديث^(١)، عند كلامه عن ابن الصياد فقال: «قد اختلف الناس في امره (أي ابن الصياد) اختلافاً شديداً هل هو الدجال أم لا؟»، واضطربت فيه الروايات، والآراء من العلماء، وقد جمعتها في مسألة مفردة، وذكرت فيها تلك الأخبار بأسانيدھا . الخ .

٢ - بيان اعجاز القرآن:

اسمه وتوثيق نسبه للمؤلف:

أشار الإمام الخطابي إلى هذه الرسالة (أو الكتاب) في مقدمته لكتابه «شعار الدين»^(٢) فقال: «أما بعد: فإن أخصاً من إخواني سألني بيان ما يجب على المسلمين علمه، ولا يسعهم جهله؛ من أمر الدين وشرح أصوله: في التوحيد، وصفات الباري تعالى،

(١) أعلام الحديث ٧١١/١ .

(٢) انظر ما نقله عنه ابن تيمية في بيان تلبس الجهمية ٢٤١/١ .

والكلام في القضاء والقدر، والدلالة على نبوة محمد ﷺ، وبيان إعجاز القرآن، والقول في ترتيب الصحابة.

ولم يذكر هذا الكتاب أحد من المتقدمين الذين ترجموا للمؤلف حسب ما رجعت إليه، إنما ذكره بعض من ألف في علوم القرآن فيما يتعلق بإعجاز القرآن.

وممن ذكره من المؤلفين في علوم القرآن الكريم:

- الإمام الزركشي^(١) في حديثه عن معرفة إعجاز القرآن فذكر أن ممن أفردته بالتصنيف: الإمام الخطابي، ونقل من كلامه في هذا الكتاب ما يتعلق ببلاغة القرآن وشدة تأثيره في النفوس.

- وذكره الإمام السيوطي^(٢) في «الإتقان» في النوع «الرابع والستون» في باب إعجاز القرآن، فقال: أفردته بالتصنيف خلائق منهم الخطابي . . . ونقل من كلامه ما يتعلق ببلاغة القرآن.

وبالرغم من قلة من ذكروا الكتاب إلا أن الكتاب قد روى مسنداً في كل طبعته حيث إن نسخته مروية بالإجازة سنة ٥٦٦هـ برواية الشيخ أبي عبد الله محمد بن حيان الفهري بسنده حتى روايته عن أبي الحسن السجزي عن المؤلف الخطابي - ص ١١ .

(١) البرهان في علوم القرآن ٢ : ٩٠ و ١٠١ - ١٠٦ .

(٢) الإتقان ٤ : ٣ و ١٢ و ١٣ .

موضوع الكتاب :

الحديث عن إعجاز القرآن، ووجوهه، والراجح منها.

عرض موجز لمضمون الكتاب :

يعتبر الإمام الخطابي أحد الأئمة المعروفين باهتمامهم بإعجاز القرآن الكريم، ولا غرابة في ذلك فهو إمام جليل، جمع الله له بين عدة علوم أهمها الحديث، والفقه، واللغة العربية، فسخرها للاستفادة من كتاب الله وخدمته فاستفاد من آيات القرآن كثيراً في الاستدلال على أحكامه في شروحه الحديثية، واستفاد من معرفته اللغوية في فهم أي القرآن، ومعرفة بلاغتها، وجزالة ألفاظها.

ومن اهتمامه بإعجاز القرآن أنه لم يكتف بتأليف هذا الكتاب الموجز فيه. بل إنه يشير لإعجاز القرآن في مؤلفاته الأخرى.

ففي كتاب «شأن الدعاء» قال: يريد بقوله (هن من القرآن) أن هذه الكلمات موجودة في القرآن، وليست بقرآن من جهة النظم فيكون آية متلوة، وهذا يدل على أن إعجاز القرآن إنما هو في لفظه ونظمه معاً، لا في لفظه فحسب. أهـ

وهو في كتابه «بيان إعجاز القرآن» على ما فيه من إيجاز، إلا أنه استوفى جوانب الموضوع، فبدأ الكتاب دون ذكر مقدمة مستقلة، على خلاف عادته في مؤلفاته. . وقد يكون له مقدمة ساقطة من كل الطباعات أو أن الكتاب جزء من كتاب كبير فلا داعي للمقدمة، بل عنون بقوله: القول في بيان إعجاز القرآن فقال: قد أكثر الناس الكلام في هذا الباب قديماً وحديثاً، وذهبوا فيه كل

مذهب من القول، وما وجدناهم بعد صدروا عن ربي من القول، وذلك لتعذر معرفة الإعجاز في القرآن، وصعوبة الأمر في الوقوف على كفيته .

ثم ذكر آراء بعض أهل العلم في وجوه إعجاز القرآن . واختار أن إعجاز القرآن من جهة البلاغة، فلا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ثم استطرده قائلاً: فتفهم الآن وأعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظم التأليف، مضمناً أصح المعاني .

وأطال الكلام في الحديث عن بلاغة القرآن وعن ألفاظه وأساليبه، وضرب على ذلك عدة أمثلة من آيات القرآن، استشهد (للدلالة على معناها) بعدد من الآيات الشعرية، وأورد ذلك في تحليل أدبي، وأسلوب بلاغي يدل على جزالة ألفاظ كتاب الله عز وجل ويكشف بحق عما تميز به قلم الإمام الخطابي من تذوق فني، وحس أدبي تجاه آيات كتاب الله الكريم .

عناية الباحثين به :

وحظي كتاب «بيان إعجاز القرآن للخطابي» باهتمام عدد من الباحثين المعاصرين، حيث قاموا بدراسته، وتناول منهجه وآرائه في إعجاز القرآن الكريم . وتقدم بيان أسماء عدد من العلماء الذين ذكروه في مؤلفاتهم المتعلقة بعلوم القرآن الكريم .

وممن اهتم به من الباحثين المعاصرين وأفرد له كتاباً مستقلاً الأستاذ صباح عبّيد دراز في كتابه «البلاغة القرآنية عند الإمام

الخطابي» المطبوع في مطبعة الأمانة بالقاهرة سنة ١٤٠٦هـ^(١).

وكثر النقل منه لدى المؤلفين في إعجاز القرآن سواء من المتخصصين في علوم القرآن^(٢) أو في علم البلاغة قديماً وحديثاً^(٣).

وقام المستشرق كلود أود بير الفرنسي بترجمته إلى الفرنسية، ونشره المعهد الفرنسي بدمشق^(٤) عام ١٩٨٢م.

طبقات الكتاب:

طبع الكتاب عدة مرات بتحقيقات مختلفة وقفت على ثلاث طبقات منها وهي:

١ - طبع الكتاب في الجامعة الإسلامية بعليكره في الهند سنة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣م بعنوان بيان إعجاز القرآن. وقد عنى بهذه الطبعة ضبطاً وتصحيحاً للدكتور/ عبد العليم - عميد القسم العربي في الجامعة الإسلامية بعليكره وبذل جهداً مشكوراً في إخراج

-
- (١) انظر نشرة أخبار التراث العربي - العدد رقم ٣٣ - ص ٢١.
 - (٢) انظر مباحث في علوم القرآن - ص ٢٦٣.
 - (٣) وانظر ما كتبه الأستاذ نعيم الحمصي في مقال: تاريخ فكرة إعجاز القرآن بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٢٧ : ٤٣٠.
 - انظر البلاغة تطور وتاريخ - ص ١٠٢ و ١٠٣.
 - وإعجاز القرآن والبلاغة القرآنية للرافعي - رحمه الله - ص ١٥٠.
 - والإعجاز والقراءات - د/ فتحي فريد - ص ١١.
 - (٤) انظر نشرة أخبار التراث الإسلامي عدد ١٨ ص ١٩.

الكتاب وتصحيحه، وتفسير الألفاظ الغريبة، وتخريج بعض الأبيات الشعرية.

وكانت هذه الطبعة على نسخة وحيدة موجودة في مكتبة ليدن بهولندا^(١).

٢ - وطبع أيضاً في مطبعة التأليف بالقاهرة سنة ١٣٧٢هـ، ١٩٥٣م بعنوان «بيان إعجاز القرآن» وذلك بشرح وتعليق الشيخ/ عبد الله الصديق العُمّاري رحمه الله تعالى. وأطال النفس في التعليق والشرح لبعض المواضع في الكتاب.

وكان طبع الكتاب على نسخة وحيدة من المكتبة الصديقية بطنجة وخطها مغربي^(٢).

هذا وقد ألحق بهذه الطبعة فصل في إعجاز القرآن نقل من كتاب «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض - رحمه الله - ت ٥٤٤هـ.

٣ - وطبع بعد ذلك في دار المعارف في القاهرة سنة ١٣٧٤هـ، ١٩٥٥م بتحقيق وتعليق كل من: محمد خلف الله

(١) و (٢) من الطريف في الأمر أن كلا المحققين كان يبحث بحرص شديد عن النسخة الثانية التي في يد الآخر، ولم يستطع كل منهما الظفر بها. فالحمد لله أن الكتاب طبع مرتين على نسختين مختلفتين لتعم فائدته.

أحمد، والدكتور/ محمد زغلول سلام مع رسالتين في إعجاز القرآن لابن الرُّمّاني - ت ٣٨٦هـ ولعبد القاهر الجرجاني - ت ٤٧١هـ وهو وسمى الكتاب: «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن».

وتعتبر هذه الطبعة هي أفضل طبعات الكتاب، حيث تلافي المحققان ما في الطبعات السابقة من الأخطاء، وأجادا في التعليق على بعض النصوص، وتفسير بعض المفردات الغريبة، وتخريج الأبيات الشعرية. . . وتذييل الكتاب بفهارس متعددة لمحتويات الكتاب، والأعلام، والبلدان، والقوافي، والأسماء الكتب الواردة في الكتاب^(١).

٣ - تفسير اللغة التي في مختصر المزنّي:

ذكره الإمام السبكي^(٢) ونسبه إليه بقوله: «قال الخطابي في كتابه «تفسير اللغة التي في مختصر المزنّي».

وذكره الإمام النووي^(٣)، وسماه: «الزيادات في شرح الفاظ مختصر المزنّي»، للإمام أبي سليمان الخطابي. ونقل منه شرح بعض المفردات الغريبة.

قلت: لعل تسميته بالزيادات للدلالة على ما زاده الخطابي من

(١) للاستزادة: انظر ما كتب عن هذه الطبعة في مجلة المجمع العلمي

العربي بدمشق - عدد ٤٦ - ص ١٦٠ و ١٦١.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٣ : ٢٩٠.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٣٠ مادة: بغى.

ألفاظ في شرح مختصر المزني، على غيره ممن شرحوا ألفاظ «مختصر المزني» كالإمام الأزهري - ت ٣٧٠هـ.

ويتضح من قول السبكي: «في باب الشفعة» بأن الخطابي قد رتب كتابه على الأبواب الفقهية، ويذكر في كل باب ما يقع فيه من ألفاظ وعبارات غريبة لها تعلق به.

٤ - التوحيد:

ذكر هذا الكتاب الإمام ابن رجب الحنبلي - ت ٧٩٥هـ - رحمه الله - في كتابه القيم: «جامع العلوم والحكم». في آخر شرحه للحديث الثاني والعشرين حيث قال: ^(١)

«ويشهد لهذا المعنى حديث معاذ عن النبي ﷺ قال: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» ^(٢)، فإنَّ المحتضر لا يكاد يقولها إلا بإخلاص وتوبة، وندم على ما مضى، وعزم على أن لا يعود لمثله، ورجح هذا القول: الخطابي في مصنف له في التوحيد ^(٣)، وهو حسن. أهـ.

(١) جامع العلوم والحكم - ص ١٨٥.

(٢) أخرجه أحمد ٥ : ٢٤٧، وأبو داود في الجنائز رقم ٣١١٦.

والحاكم في الجنائز، باب من كان كلامه... - ١ : ٣٥١.

وقال: هذا حديث صحيح الاسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي عليه.

(٣) قلت: لا أدري هل للخطابي كتاب مستقل في التوحيد، أم أنه ذكر ذلك القول في كتابه «شعار الدين وبراهين المسلمين» حيث أنه مصنف في التوحيد كما سيأتي.

٥ - مسألة في جمع القرآن الكريم :

ذكرها الخطابي في كتابه «أعلام الحديث»^(١) فقال : متحدثاً عن جمع القرآن : «وقد كتب إليَّ بعض إخواني من بلخ في هذا الباب ، فأخرجت لهم مسألة مستوفاة تشتمل على ذكر أكثر ما يلزم معرفته منه . . ثم تكلم عن جمع القرآن في زمن الرسول الله ﷺ ثم في زمن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ثم في زمن عثمان بن عفان - رضي الله عنه^(٢) .

٦ - الجهاد :

ذكره حاجي خليفة^(٣) ، وإسماعيل باشا^(٤) ، وسمياه كتاب الجهاد . وقال محقق كتاب «غريب الحديث» للخطابي : إنه مخطوط ولم يبيِّن مكان وجوده .

وكذا قال الدكتور/ حاتم صالح الضامن^(٥) في مقدمة تحقيقه لكتاب «إصلاح غلط المحدثين» .

(١) أعلام الحديث ٣ : ١٨٥١ و ١٨٥٢ .

(٢) المرجع السابق من ٣ : ١٨٥٢ إلى ١٨٥٩ .

(٣) كشف الظنون ٢ : ص ١٤١٠ .

(٤) هدية العارفين ٥ : ٦٨ .

(٥) إصلاح غلط المحدثين - ص ٨ .

٧ - دلائل النبوة:

ذكره الإمام الخطابي^(١)، ونسبه لنفسه في كتابه «أعلام الحديث» فقال: «والخبر مشهور قد أملىناه في «دلائل النبوة»، وأشار إليه أيضاً في كتابه «شعار الدين» فقال: ^(٢)

فإنَّ أخاً من إخواني سألني بيان ما يجب على المسلمين علمه ولا يسعهم جهله، من أمر الدين، وشرح أصوله في التوحيد، وصفات البارئ تعالى، والكلام في القضاء والقدر، والمشئة (والدلالة على نبوة محمد ﷺ).

فلا أدري هل كلامه في «دلائل النبوة» جعله في كتاب مستقل أم ضمن كتاب «شعار الدين»؟؟

٨ - الرسالة الناصحة:

ذكرها محقق كتاب «أعلام الحديث»^(٣) للخطابي، وسماها «الرسالة الواضحة فيما يعتقد في الصفات».

وذكرها محقق^(٤) «إصلاح غلط المحدثين» في مقدمة التحقيق سماها: «الرسالة الناصحة».

(١) أعلام الحديث للخطابي ٢ : ١٣٨٤ .

(٢) بيان تلبس الجهمية لابن تيمية - ص ٢٤٩ .

(٣) أعلام الحديث ١ : ٤٢ .

(٤) اصلاح غلط المحدثين - تحقيق عبد الكريم الرديني - ص ٢٢ .

وذكرت في ترجمة^(١) الخطابي في الرسائل الكمالية، وسميت الرسالة الناصحة فيما يعتقد في الصفات.

وذكرها برهان الدين الداغستاني^(٢) في ترجمته للخطابي وسمّاها الرسالة الناصحة فيما يعتقد في الصفات.

٩ - السراج:

ذكره الإمام الخطابي في كتابه «أعلام الحديث»^(٣)، فقال: وقد أشبعنا الكلام في بيان زيادة الإيمان ونقصانه وسائر أحكامه، فمن أحب أن يستوفي ما ذكرناه من علمه فليأخذه من كتاب «السراج» فالقدر الذي ذكرناه هاهنا كافٍ على شرط ما أنشئ له هذا الكتاب - إن شاء الله - أهـ.

وقال في الموضع الآخر: وسنذكر فيما بعد فرق ما بين الإيمان بالله، والإيمان لله فيزول معه الشبه في هذا الباب، وليس هذا موضع استقصائه وقد أشبعت بيان هذا الباب في كتاب «السراج» أهـ.

١٠ - الشجاج:

اختلف في اسم الكتاب، فسماه الإمام القفطي^(٤)، وياقوت

(١) الرسائل الكمالية - قسم الحديث - ص ٤١.

(٢) انظر مجلة الرسالة - العدد ٩٩ - ص ٨٦٥ - المجلد الثالث.

(٣) أعلام الحديث ١: ١٤٥ و ١٥٩.

(٤) أنباه الرواه ١: ١٢٥.

الحموي^(١)، «كتاب الشجاج» - «بالشين والجيم» - وسماه ابن خلّكان^(٢) كتاب الشحاح - بالحاء -، وسماه إسماعيل باشا^(٣) «كتاب النجاج» بالنون.

والذي يترجح - والله أعلم - أن اسمه كتاب الشجاج بالجيم لأنه اختيار عدد ممن ترجموا للمؤلف، وذكروا مؤلفاته، ولعل ما في الكتب الأخرى من تحريف لاسمه إنما هو تحريف نسخ أو طباعة ثم إنّ هذا الاسم هو الأقرب لكتب العلم حيث إنّ الشجاج يقصد بها: جمع شجة وهي الجراحة وتسمى بذلك إذا كانت في الوجه أو الرأس، فمن اعتُدّي عليه فيجب له القصاص، أو التعويض المالي المسمى «أرش الجناية»^(٤)

ويتناول هذا الفقهاء في أبواب القصاص والديات. لا سيما أنّ الإمام الخطابي فقيه شافعي فحريٌّ به أن يتناول هذا الباب من الفقه.

(١) معجم الأدباء ١٠ : ٢٦٩ .

(٢) وفيات الأعيان ٢ : ٢١٤ .

(٣) هدية العارفين ٥ : ٦٨ .

(٤) المصباح المنير للفيومي مادة شج ١ : ص ٣٠٥ .

١١ - شرح كتاب الدعوات لابن خزيمة .

أو شرح الأدعية المأثورة .

أو الدعوات وتفسيرها .

سيأتي الكلام عليها بالتفصيل عند كلام عن كتاب «شأن الدعاء» .

١٢ - شرح الأسماء الحسنى :

سيأتي الكلام عليه مفصلاً، عند الكلام عن كتاب «شأن الدعاء» .

١٣ - شعار الدين وبراهين المسلمين :

ذكره ونقل منه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في كتابه «درء تعارض العقل والنقل» .

فقال - رحمه الله - وهكذا ذكر الخطابي في كتاب «شعار الدين»^(١) وقال في موضع آخر من الكتاب . . وقال الخطابي فيما ألحقه بكتاب «شعار الدين وبراهين المسلمين»^(٢) .

ونقل منه أيضاً في كتاب «بيان تلبيس الجهمية»^(٣) فقال قال الشيخ أبو سليمان الخطابي في كتاب «شعار الدين» أما بعد: فإنَّ

(١) درء تعارض العقل والنقل ٧ : ٢٩٤ .

(٢) المرجع السابق ٧ : ٣١٦ .

(٣) بيان تلبيس الجهمية ١ : ٢٤٩ .

أخاً من إخواني سألني بيان ما يجب على المسلمين علمه، ولا يسعهم جهله من أمر الدين وشرح أصوله: في التوحيد، وصفات البارئ تعالى، والكلام في القضاء والقدر والمشية، والدلالة على نبوة محمد ﷺ وبيان إعجاز القرآن، والقول في ترتيب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وما يتصل به من الكلام وطلب إليّ أن أورد في كل شيء منها أوضح ما عرفه من الدلالة، وأقربها إلى الفهم يتنفع به من لا يرضى بالتقليد فيما يعتقد من أصول الدين، وكان مع ذلك ممن لا يحب النظر في الكلام، ولا يجرد القول على مذهب المتكلمين - قال ابن تيمية - وذكر تمام الكلام، وذكر عدة أصول من الاستدلال بخلق الإنسان، والاستدلال بتركيب المتضادات وتأليفها. . الخ.

وذكره الشيخ برهان الدين الداغستاني^(١) في ترجمته للخطابي، وسماه: «شعار الدين في أصول الدين» وقال عنه: إنه التزم فيه إيراد أوضح ما يعرفه من الأدلة من غير أن يلتزم طريقة المتكلمين. قلت: ما نقله ابن تيمية من الكتاب يفيد بأنه في الرد على المتكلمين، وتفنيده طرق استدلالاتهم الكلامية البعيدة عن طريق السلف. ولا أدري هل كل ما في الكتاب حول الرد على المتكلمين أم أنه حوى موضوعات قد يدل عليها ما في مقدمته المذكورة قريباً.

(١) مجلة الرسالة العدد ٩٩ : ٨٦٥ المجلد الثالث.

١٤ - مسألة في الطب :

ذكرها في كتابه «أعلام الحديث»^(١) فقال : وقد ذكرنا في مسألة أفردناها في الطب، وبيان ما جاء في أحاديث النبي ﷺ من وصف التداوى والعلاج أن الطب على نوعين :

- الطب القياسي وهو طب اليونانيين الذي يستعمله أكثر الناس في واسطة بلدان أقاليم الأرض .

- وطب العرب والهند وهو الطب التجاربي . وذكرنا من شرح هذه الجملة هناك ما فيه غنية وبلاغ .

وإذا تأملت أكثر ما يصفه النبي ﷺ من الداء فإنما هو على مذهب العرب، إلا ما خُصَّ به من العلم النبوي الذي طريقه الوحي، فإنَّ ذلك فوق كل ما يدركه الأطباء، أو يحيط بحكمه الحكماء، والألباء . الخ .

١٥ - العروس :

ذكره الإمام الصفدي^(٢)، وياقوت الحموي^(٣)، ولم يذكر شيئاً عن الكتاب .

(١) أعلام الحديث ٣/٢١٠٧ و ٢١٠٨ .

(٢) الوافي بالوفيات ٧/٣١٨ .

(٣) معجم الأدباء ٤/٢٥٣ .

١٦ - الغنية عن الكلام وأهله :

سماه الإمام الذهبي^(١)، والسُّبُكِيُّ^(٢) وابن قاضي شُهْبَه^(٣)،
وشَيْخُ الْإِسْلَامِ ابن تيمية^(٤) كتاب «الغنية عن الكلام وأهله».

موضوع الكتاب :

ذمُّ علم الكلام، وبيان الاستغناء عنه بالمأثور من كلام الله
ورسوله، وأئمة السلف الصالح رضوان الله عليهم.

السبب الباعث على تأليف الكتاب :

هو استجابة الإمام الخطَّابي لطلب أحد طلاب العلم، وفي هذا
يقول الإمام الخطَّابي^(٥) : «وقفت على مقالك أخي - وَلَيْكَ اللهُ
بالحسنى، ولا وصفت من أمر نأجيتك، وما ظهر بها من مقالات

(١) سير أعلام النبلاء ١٧/٢٦ . وتذكرة الحفاظ ٣/١٠١٩ .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٢: ٢١٨ .

(٣) طبقات الشافعية ١: ١٥٧ .

(٤) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في عدد من مؤلفاته ومنها: منهاج السنة
١ : ٣٠٣ ودرء تعارض العقل والنقل ٧ : ٢٧٨ وفي بيان «تلبيس
الجهمية» - ص ٢٥١ وفي الفتوى الحموية الكبرى - ص ٣٤ .

(٥) الغنية عن الكلام وأهله، المطبوعة ضمن «صون المنطق والكلام»
للسيوطي - ص ٩٢ .

أهل الكلام، وخوض الخائضين فيها، وميّل بعض متحلي السُّنة إليها، واغترارهم بها.

إلى أن قال: وسألني أن أمدك بما يحضرني في نُصره الحق من علم وبيان وفي رد مقالة هؤلاء من حجّة وبرهان، وأن أسلك في ذلك طريقة لا يمكنهم دفعها، ولا يسوغ لهم من جهة العقل جحدها، وإنكارها، فرأيت إسعافك به لازماً في حق الدين، وواجب النصيحة لجماعة المسلمين فإنّ الدين النصحية.

مشمّلات الكتاب

الكتاب عبارة عن رسالة في ذم علم الكلام، وأهله، وطريقتهم، وبيان الاستغناء عنه بالمأثور من كلام الله ورسوله وأئمة السلف الصالح رضوان الله عليهم.

فجعل المؤلف الكلام فيه متصلاً دون تجزئته إلى أبواب أو فصول، ولكن يفهم من النصوص المطبوعة من الكتاب أنه مقسّم إلى موضوعات متتابعة بحيث يذكر موضوعاً معيناً ويتناول جوانبه ثم ينتقل إلى غيره، وإن لم يضع لكل موضوع عنواناً مستقلاً في بدايته، وقد بدأ الرسالة بمدخل قال فيه: عَصَمَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ أَخِي مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ وَالْآرَاءِ الْمُغْوِيَةِ، وَالْفِتَنِ الْمُحِيرَةِ، وَرَزَقَنَا وَإِيَّاكَ الثَّبَاتَ عَلَى السُّنَّةِ وَالتَّمَسُّكَ بِهَا، وَلِزُومِ الطَّرِيقَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ الَّتِي دَرَجَ عَلَيْهَا السَّلَفُ.

ثم بيّن بعد ذلك سبب تأليفه للرسالة. . . وقد تقدّم ذكره في السبب الباعث على تأليف الرسالة، ثم قال: واعلم يا أخي أدام

اللهُ سعادتكَ أنَّ هذه الفتنة قد عمَّت اليوم وشملت وشاعت في البلاد واستفاضت، فلا يكاد يسلم من وهج غبارها إلا من عصمه اللهُ تعالى^(١).

وقال: ثم إنني تدبّرت هذا الشأن فوجدت عظم السبب فيه أنَّ الشيطان صار اليوم بلطيف حيلته يُسوّل لكل من أحس من نفسه بزيادة فهم، وفضل ذكاء، وذهن، ويوهمه أنه إن رضي في عمله ومذهبه بظاهر من السنة واقتصر على واضح بيان منها كان أسوة للعامة، وعدّ واحداً من الجمهور والكافة، فإنّه قد ضل فهمه، واضمحل لفظه وذهنه، فحركهم بذلك على التنطع في النظر، والتبدع لمخالفة السنة والأثر، لبيّنوا بذلك من طبقة الدهماء^(٢).

ثم وضح سبب ترك أئمة السلف لعلم الكلام مع أنهم ذوو عقول وافرة وأفهام ثاقبة.. فقال: وإنما تركوا هذه الطريقة وأضربوا عنها لما تحققوا من فتنتها، وحذروا من سوء مغبتها^(٣).

وشرع بعد ذلك في تناول عدد من المسائل الكلامية؛ كدلالة العقل على صحة أصول الدين، ووجود الخالق عز وجل وثبوت نبوة الرسول محمد ﷺ وبيان حجية خبر الآحاد، وإفادة العلم الصحيح.

(١) المرجع السابق - ص ٩٢.

(٢) المرجع السابق - ص ٩٣.

(٣) المرجع السابق - ص ٩٤.

وَحَتَمَ الرِّسَالَةَ بِالْكَلَامِ عَلَى أَنَّ الْحُجَّةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِعِثِ الرِّسْلِ
وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (١)

ثم قال: فلو كانت الحجة لازمة بنفس العقل لم تكن بعثة
الرسول شرطاً لوجوب العقوبة، وقال الرسول ﷺ: «أمرت أن
أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» (٢) فدل على أنه الداعي إلى
الإيمان وصح أن الدعوة له والحجة إنما تقوم به، وقال السيوطي
بعد ذلك: هذا آخر كلام الخطابي (٣).

ولقد سلك الخطابي في تناول تلك المسائل أسلوباً واضحاً
يعتمد على مسلمات العقل السليم، وأدلة النقل المعتمدة من
الكتاب والسنة.

طبقات الرسالة:

طبعت نصوص متعددة من هذه الرسالة ضمن كتاب «صون
المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام» للسيوطي، بتعليق

(١) سورة الاسراء: الآية (١٥).

(٢) الحديث متفق عليه بلفظ حتى يشهدوا وهو طرف من حديث أخرجه
البخاري في الإيمان، باب: ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ
فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ التوبة الآية (٥)، حديث رقم ٢٥.
ومسلم في الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله
محمد رسول الله رقم ٢٢.

(٣) الغنية - ص ١٠١.

الدكتور/ علي سامي النشار، وذلك ضمن مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة سنة ١٣٨٩ هـ، ١٩٧٠ م. وشغلت من الكتاب عشر صفحات من ٩١ - ١٠١ .

ويرى الدكتور محمد رشاد سالم^(١) - رحمه الله - أنَّ المطبوع منها في كتاب «صَوْن المنطق» إنما هو مختصر للرسالة وليست الرسالة كاملة. واستدلَّ على ذلك ان الإمام ابن تيمية قد لخصها^(٢) في «درء تعارض العقل والنقل»، وذكر فيها نصوصاً وعبارات لم ترد عند السيوطي في «صون المنطق والكلام».

هذا ولقد شرح وعلَّق ابن تيمية على كثير من كلام الخطابي في رسالة «الغنية عن الكلام وأهله» عند تلخيصها في درء تعارض العقل والنقل^(٣). وقد لخصها أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب «بيان تلبيس الجهمية» من ص ٢٥١ - ٢٥٥. ونقل أيضاً منها ما يتعلق بالصفات في الفتوى الحموية الكبرى ص ٣٤ و ٣٥. وهذا مما لم يذكر في المطبوع من الرسالة ضمن كتاب «صون المنطق والكلام» للسيوطي.

(١) منهاج السنة النبوية - تحقيق الدكتور/ محمد رشاد سالم ١ : ٣٠٣ و ٣٠٤.

(٢) و(٣) انظر درء تعارض العقل والنقل تحقيق الدكتور/ محمد رشاد سالم ج ٧ من ص ٢٧٨ - ٣١٦.

وكذا نقل الإمام اسماعيل بن محمد الأصبهاني ت ٥٢٥ هـ بضع صفحات في كتابه الحجّة في بيان المحجّة^(١) هذا ما تيسّر لي عن طبع الرسالة، واستفادة العلماء منها والله أعلم.

وعليه: يمكن القول بأنّ كتب الإمام ابن تيمية ومن بعده الإمام الأصبهاني والسيوطي قد حفظت لنا في مجموعها نصوصاً متعددة من تلك الرسالة تكفي في إعطاء صورة واضحة عن مضمونها، وقيمتها العلمية، وإن لم تشتمل على أصل الكتاب كاملاً.

١٧ - مسألة في الفطرة:

ذكرها الخطابي في كتابه «معالم السنن»^(٢) وذلك عند ذكره لأقوال العلماء في حكم ذراري المشركين في الآخرة، فقال: وفيه أقاويل أخر قد ذكرتها في مسألة أفردتها في تفسير الفطرة، وفيما أوردته ههنا كفاية على ما شرطناه من الاختصار في هذا الكتاب أهـ.

وذكرها أيضاً في كتاب «أعلام الحديث»^(٣) عند شرحه لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودّونه أو ينصرّونه أو يمجّسانه»^(٤) الحديث.

(١) الحجّة ١/٣٧١ - ٣٧٦.

(٢) معالم السنن ٤/٣٢٧.

(٣) أعلام الحديث ١/٧١٧.

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري في عدة مواضع منها الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلّى عليه رقم ١٣٥٨ و ١٣٥٩.

وتطرق في أثناء شرحه لمعنى الفطرة وحكم ذراري المشركين
وختم ذلك بقوله: «وقد ذكرت في تأويل هذا الحديث خمسة
أوجهٍ أُخِر في مسألة أفردتها، أشبعت الكلام فيها وذكرت أطرافاً
منها في كتاب «معالم السنن»^(١) والقدر الذي أتينا به في هذا
الكتاب وجيز كاف - إن شاء الله - أهـ.

١٨ - رسالة في الكلالة

ذكرها الخطابي^(٢) في كتابه «معالم السنن» فقال: وقد أفردت
مسألة في الكلالة وتفسيرها، وأودعتها من الشرح والبيان أكثر من
هذا، وهو من غريب العلم، ونادره، وفيما أوردناه ههنا كفاية -
إن شاء الله عز وجل - أهـ

١٩ - مناقب الإمام الشافعي رحمه الله:

ذكره الإمام الرازي في كتابه «مناقب الإمام الشافعي»^(٣)
ووصفه أنه تصنيف مفرد في مناقب الشافعي ومآثره وفضائله.



-
- = في التفسير، تفسير سورة الروم حديث رقم ٤٧٧٥ .
وفي القدر . باب الله أعلم بما كانوا عاملين رقم ٦٥٩٩ .
ومسلم في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة رقم ٢٦٥٨ .
- (١) معالم السنن ٤ : ٣٢٧ .
(٢) معالم السنن ٤ : ٩٤ .
(٣) مناقب الشافعي ص ٢٢٥ .

ما عُدَّ من مؤلفات الإمام الخطابي

ولكن لم تثبت نسبته إليه :

١ - عَجالة العالم :

هذا الكتاب نسبة إسماعيل باشا^(١) للخطابي، فقال: «عَجالة العالم من كتاب المعالم في اختصار معالم السنن - له (أي الخطابي) وعده الدكتور/ محمد علي الرديني^(٢) ضمن مؤلفات الإمام الخطاب سماه «عَجالة العالم بين كتاب المعالم في إختصار معالم السنن». ولكن العلامة حاجي خليفة^(٣) نسبة لغير الخطابي، فقال بعد حديثه عن «معالم السنن» للخطابي: لَخَّصَهُ الحافظ شهاب الدين أبو محمود أحمد بن محمد بن إبراهيم المقدسي المتوفى سنة ٧٦٥هـ. خمس وستين وسبعمائة وسماه «عَجالة العالم من كتاب المعالم» أهـ.

(١) هدية العارفين ٥ : ٦٨ .

(٢) مقدمة تحقيق «إصلاح غلط المحدثين» للخطابي بتحقيق الدكتور/

محمد علي الرديني - ص ٢٣ .

(٣) كشف الظنون ٢ : ١٠٠٥ .

ووصفه الذهبي^(١) بأنه الإمام العالم المحدث طالب مفيد، سريع القراءة، سمع الكثير وقرأ كتباً بالقدس، ومصر.

قلت: لعل سبب الوهم في عزوه للخطابي هو اتفاق نسب الرجلين، حيث أن كلاهما اسمه: أحمد بن محمد بن إبراهيم...، ولأن الخطابي هو مؤلف «معالم السنن» التي هي أصل هذا المختصر. سبب هذا الوهم.

٢ - معالم التنزل:

هذا الكتاب ذكره الإمام الفيومي^(٢)، ونسبه للإمام الخطابي وجعله من موارده في كتابه «المصباح المنير».

قلت: الظاهر أنه قصد «معالم السنن» لتطابق النقول منه^(٣)، ولتقارب العنوانين... وقد عده محققاً ثلاث رسائل في إعجاز القرآن^(٤) من مؤلفات الإمام الخطابي، ولم يذكر شيئاً عنه، ولا عمن نقل اسم هذا الكتاب...؟

قلت: لم أجد من ذكره ضمن مؤلفات الخطابي سوى من تقدم وما أعرفه هو أن «معالم التنزيل» كتاب في تفسير القرآن الكريم

(١) المعجم المختص بالمحدثين - ص ٣٣ ترجمة رقم ٣٤.

(٢) المصباح المنير ٢: ٧١٢.

(٣) المرجع السابق - ص ٩٠ و ١٠٢ و ١٩٨ و ٢٠٩ و ٣٠٦ و ٣٥١ و ج ٢: ٦٥٨.

(٤) مقدمة: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - ص ٨.

للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي - ت ٥١٦ هـ - رحمه الله تعالى وهو مطبوع عدة طبعات .

٣ - كتاب من روى عن النبي ﷺ وأبوه :

ذكر هذا الكتاب الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه «الإصابة»^(١) عند ترجمته لـ «كثير بن العباس بن عبد المطلب» قال: قد ذكره الخطابي في كتاب من روى عن النبي ﷺ هو وأبوه، وقال: قالوا رأى النبي ﷺ . . الخ .

قلت: ذكر الدكتور/ شاکر محمود عبد المنعم^(٢) أن هذا الكتاب ليس للإمام الخطابي، إنما للجعابي . . وأنه قد تحرف الاسم في «الإصابة لابن حجر» استدلالاً على ذلك بأن ابن حجر قد نقل عن هذا الكتاب في أربعة مواضع من الإصابة^(٣) .

٤ - عقيدة الإمام الخطابي :

هذا الكتاب عبارة عن منظومة في العقيدة . وقد جاء منسوباً للإمام الخطابي في كل من :

-
- (١) الإصابة - القسم الثاني من حرف الكاف - ٥ : ٣١٧ رقم ٧٤٧٤ .
 - (٢) ابن حجر العسقلاني مصنفاته ودراسة في منهجه وموارده في الإصابة الفصل الثاني الموارد - ج ٢ : ٦٣٢ .
 - (٣) الإصابة ١ : ٣٦ و ١ : ٢٤٨ و ٤ : ٨٠ و ٥ : ٣١٧ .

١ - فهرس مخطوطات مكتبة الرياض السعودية برقم
٨٦/٤٥٩.

٢ - فهرس مخطوطات جامعة الملك سعود بالرياض برقم
٢١٤/ع.خ،، أصول الدين + علم الكلام.

وجاء في وصفها بأنها منظومة كتبت بخط حسن في القرن
الثالث عشر الهجري، وتقع ضمن مجموع مشتمل على عدة
رسائل وقصائد في التوحيد وهي من ص ٥٣٤ إلى ٥٣٧.

قلت: وبعد وقوفي على هذه المنظومة تبين لي أنه قد وهم من
نسبها للإمام الخطابي، وإنما هي للإمام أبي الخطاب محفوظ بن
أحمد الكلؤذاني المتوفى سنة ٥١٠هـ، ويدل على هذا التصريح
باسمه في أولها حيث بُدئت، يقال أبو الخطاب - رحمه الله.

وهي قصيدة دالية مشهورة في معتقد أهل السنة والجماعة.

وذكرها عدد ممن ترجموا للكلؤذاني كابن الجوزي^(١)،
والذهبي^(٢)، وابن رجب^(٣)، وغيرهم وقد طبعت مراراً^(٤).

(١) المنتظم ٩ : ١٩٠ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٩ : ٣٤٨ .

(٣) ذيل طبقات الحنابلة ١ : ١١٦ .

(٤) طبعت هذه المنظومة ضمن عدة مجاميع منها طبعتها ضمن الرسائل
الكمالية قسم التوحيد ٣ : ١٣٠، وضمن كتاب كفاية الإنسان من
القصائد الغرر الحسان - ص ٩١، وفي بهجة الناظرين - ص ٥١ .

ولعل حصول الوهم في نسبتها بسبب ما جاء مكتوبا في آخرها
«تمت عقيدة الخطابي - رحمه الله - أو لتقارب اسمي الإمامين،
فظن بعض المفهرسين أنهما سواء.

مؤلفاته الحديثية غير المطبوعة

١ - الأمالي :

نقل منه ياقوت في «معجم البلدان»^(١) عند كلامه عن الحُدَيْيَّة
فقال: وقال الخطَّابي في أماليه سميت الحُدَيْيَّة بشجرة حُدَّباء
كانت في ذلك الموضع أه.

٢ - علم الحديث :

ذكره بروكلمان^(٢) وسزكين^(٣)، وأفاد بأنه يوجد في الموصل
برقم ٨٤ و ٣٥، وذكر د/حاتم الضامن^(٤) أنه مخطوط ولم يبيِّن
مكان وجوده.

وذكره داود جَلْبِي^(٥) برقم ٣٥ وسماه: «أعلام الحديث»،
وأفاد بأنه موجود في الموصل ضمن مخطوطات مدرسة الحاج

(١) معجم البلدان ٢ : ٢٢٩ الحديثية .

(٢) تاريخ الأدب العربي ٣ : ٢١٢ .

(٣) تاريخ التراث العربي ١ : ٤٢٨ .

(٤) إصلاح غلط المحدثين - ص ٨ .

(٥) مخطوطات الموصل - ص ٩٤ .

حسين بك في جامع السلطان أويس (١) .

٣ - معرفة الشُّنن والآثار:

ذكره الإمام الكتّاني (٢) وسماه بهذا الأسم . . وقال: إنه مرَّتب على الأبواب الفقهية، وذكره حاجي خليفة (٣)، وإسماعيل باشا (٤)، وسمياه باسمه السابق.

وهذا الكتاب - حسب علمي - لا زال مخطوطاً. وهو موجود في مكتبة جوتا في ألمانيا الشرقية برقم ٦٠٢، كما ذكر ذلك في فهرس مكتبة جوتا (٥) ونص الترجمة، هو أنه كتاب في الحديث (والتراجم) عدد أوراقه (١٨٤) ورقة وفي كل صفحة (١٧) سطرا.

وقد أورد أحاديث الصحابة والتابعين وأحاديث مقطوعة بلا طرق (٦). أه.

(١) قمت بمراسلة مكتبة الأوقاف بالموصل للحصول على صورة من المخطوط المذكور، فأفاد المسؤولون في المكتبة بأن الموجود لديهم مخطوط أعلام الحديث بشرح صحيح البخاري للخطابي فقط.

(٢) الرسالة المستترفة - ص ٤٤ و ٣٩.

(٣) كشف الظنون ٢ : ١٧٣٩ .

(٤) هدية العارفين ٥ : ٦٨ .

(٥) فهرس مكتبة جوتا ج ١ ص ٤٦٩ .

(٦) قمت بمراسلة المكتبة المذكورة للحصول على صورة من المخطوط فأفاد المسؤولون في المكتبة بعدم وجوده؟

الْمُنْتَخَبُ:

ذكر حَاجِي خَلِيفَةَ^(١) أن للإمام محمد بن الحسن الشيباني موطأً كتب فيه على مذهبه رواية عن الإمام مالك بن أنس . وأجاب على ما خالف فيه مذهبه .

ثم قال: وانتخبه الإمام الخطَّابي: أبو سليمان حمد بن محمد البُستي المتوفى سنة ٣٨٨هـ - أ.هـ.



(١) كشف الظنون ٢ ص ١٩٠٨ .

الفصل الرابع

التعريف بمؤلفاته الحديثية
المطبوعة ومنهجه فيها

١ - شأنُ الدعاء

٢ - العُزلة

٣ - غريب الحديث

٤ - إصلاح غلط المحدثين

٥ - معالم السنن

٦ - أعلام الحديث

١ - شأن الدعاء

تسمية الكتاب وتوثيق نسبه للمؤلف :

تعددت أسماء هذا الكتاب، وتعددتها راجع إلى أن من ترجموا للخطابي، وذكروا الكتاب؛ منهم من ذكره باسم شامل لمضمونه كله على وجه الإجمال، ومنهم من أخذ جزءاً من أجزاء الكتاب وسماه به .

وذلك لأنّ الكتاب مشتمل على أربعة أبواب هي :

١ - معنى الدعاء، وأحكامه وشروطه .

٢ - تفسير الأسماء الحسنی المذكورة في بداية كتاب «الدعاء لابن خزيمة أو الدعوات له»^(١) .

٣ - شرح باقي أبواب كتاب «الدعاء» لابن خزيمة^(٢) .

(١) انظر شأن الدعاء - ص ٩٨ وص ٢٠ و ٢١ .

(٢) كتاب الدعاء أو الدعوات لابن خزيمة يعتبر في الكتب المفقودة، كما ذكر ذلك الأستاذ/ أحمد يوسف الدقاق في مقدمة تحقيقه كتاب شأن الدعاء - ص ٩، وقال: وَهَمَّ مِنْ ظَنِّ: أَنْ مِنْهُ نَسْخَةٌ فِي الْمَكْتَبَةِ =

٣ - باب اللواحق من الأدعية التي لم يذكرها ابن خزيمة^(١).

والذي يؤيد هذا التقسيم هو واقع الكتاب، مقدّمة الخطّابي له، حيث ذكر أنه قد سأله إخوانه عن بيان معنى الدعاء، وما يتعلّق به من أحكام وعقائد، وسأله أن يشرح كتاب «الدعاء لابن خزيمة»، فأجاب طلبهم بهذا الكتاب، وزاد على طلبهم باباً أخيراً اعتبره من اللواحق المتمّمة للموضوع. حيث ذكر فيه أدعية مأثورة لم يذكرها ابن خزيمة في كتابه، وأتبع كل حديث منها بشرحه.

= الظاهرية، فالذي فيها بشرح الخطّابي لا الأصل مجرداً. أهـ.
وقد ذكر المحقق أيضاً أن كتاب «الدعاء لابن خزيمة» غير كتاب الدعوات له، واستدل بأن ابن خزيمة قد روى حديثاً في كتاب التوحيد، وقال: خرجته في كتاب الدعاء ولم يوجد هذا الحديث في شأن الدعاء ولم يشرحه الإمام الخطّابي.
قلت: والظاهر أنهما كتاب واحد، وأما ما استدل به المحقق فلا يكفي في إثبات اختلاف الكتّابين، بل يمكن أن يكون سببه اختلاف النسخ الخطية حيث يُذكر في واحدة ما ليس في الأخرى، ثم إن الخطّابي لم يكن يشرح كل حديث أورده ابن خزيمة بل يشرح ما احتاج لشرح ويدل على ذلك قوله في - ص ١١٥ من باب ما يقول إذا أصبح. ثم إن الإمام الخطّابي جرى في شروحه الأخرى على أنه يتناول الأحاديث التي يرى أنها بحاجة إلى شرح من كل باب ويترك ما عداها.
(١) وذكر المحقق في المقدمة أنّ الخطّابي ألحق فصلاً سماه «لواحق الدعاء» بين شرح الأسماء الحسنى وبين باقي الكتاب، وواقع الكتاب أنه ليس فيه هذا العنوان في ذلك الموضوع بل هي لواحق للأسماء الحسنى التي لم يروها ابن خزيمة في كتابه.

فهذا بإيجاز هو سبب اختلاف أسماء الكتاب، وإليك بيان ما ذكره العلماء عن تسميات الكتاب:

- ذكر ابن خَلِّكان^(١) وياقوت^(٢)، أن اسم الكتاب «شأن الدعاء» بهذا الاسم طبع الكتاب محققاً كما سيأتي.

- وذكر بركلمان^(٣) أن اسمه «شأن الأدعية المأثورة».

- وذكر سزكين^(٤) أن اسمه «شأن الدعاء المأثور».

وأما من سماه بجزء منه فلقد سمي بشرح الدعوات

- حيث سماه الصَّفدي^(٥): «شرح دعوات لابن خزيمة».

- وسماه ياقوت^(٦): «شرح الأدعية المأثورة».

- وسماه ابن خَيْر الأشبيلي^(٧): «تفسير الأدعية المأثورة».

وهذه التسميات كلها أخص من التسمية الأولى من حيث الدلالة، لكن يمكن إطلاقها على الكتاب كله باعتبار موضوعه الأصلي - وهو شرح كتاب الدعاء لابن خزيمة - وما عداه فهو من

(١) وفيات الأعيان ٢ : ٢١٤ .

(٢) معجم الأدباء ٤ : ٢٥٣ .

(٣) تاريخ الأدب العربي ٣ : ٢١٣ .

(٤) تاريخ التراث العربي ١ : ٤٢٨ .

(٥) الوافي بالوفيات ٧ : ٣١٨ .

(٦) معجم الأدباء ٤ : ٢٥٣ .

(٧) فهرس ما رواه ابن خير الاشبيلي عن شيوخه ١ : ٢٠١ .

اللواحق المتممة. وسمى أيضاً بشرح أو تفسير الأسماء الحسنى.

- فسماه ابن قاضي شُهبة^(١)، وإسماعيل باشا البغدادي^(٢):
شرح أسماء الله الحسنى.

- وسماه الإمام الذهبي^(٣)، والسبكي^(٤)، والعراقي^(٥)،
وحاجي خليفة^(٦) «شرح الأسماء الحسنى».

- وسماه الصَّفدي^(٧): «تفسير أسماء الرب عز وجل».

- وسماه ياقوت^(٨): «تفسير أسامي الرب عز وجل» وسماه
أيضاً^(٩) «صفة أسماء الله تعالى».

هذا ما تيسَّر لي الوقوف عليه عن تسميات الكتاب، ويظهر لي
أن أوضح تسمية له، وأشمل لمضونه «تفسير الأسماء والدعوات»

(١) طبقات الشافعية ١ : ١٥٧ .

(٢) هدية العارفين ٥ : ٦٨ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٧ : ٢٩ ، تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠١٩ ، العبر
٢ : ١٧٤ .

(٤) طبقات الشافعية ٢ : ٢١٨ .

(٥) طرح الثريب ١ : ٤٤ .

(٦) كشف الظنون ٢ : ١٠٣٢ .

(٧) الوافى بالوفيات ٧ : ٣١٧ .

(٨) معجم الأدباء ٤ : ٢٥٢ .

(٩) معجم البلدان ٤ : ٤٤٤ .

كما جاء في آخر النسخة المغربية^(١) للكتاب من قول الناسخ «تمَّ كتاب تفسير الأسماء والدعوات بحمد الله وحسن عونه».

منهج المؤلف في الكتاب:

١ - المراد بعنوان الكتاب:

سمى المؤلف كتابه «شأن الدعاء». ولعله قصد من ذلك أنَّ هذا الكتاب لبيان حال وأمر الدعاء، حيث أن كلمة شأن في اللغة تعني الخطب والأمر والحال، فيتضح من هذا أنَّ المؤلف أراد أن يبيِّن الدعاء في مختلف أموره وأحواله، ببيانه لمعناه، وشروطه، وأهميته، ومكروهاته، وما يستحب أن يدعى به من أسماء الله الحسنی ومعانيها، وما يشرع الدعاء به في مختلف أحوال اليوم والليلة.

الصنعة الحديثية:

طريقته في إيراد الأسانيد:

١ - أكثر الأحاديث والآثار التي ذكرها الإمام الخطابي في الكتاب رواها بسنده عن شيوخه، خاصة في البابين الأولين.

(١) شأن الدعاء - ص ١١ و ٣٠ و ٢٠٨.

أما فيما يتعلق بالأحاديث التي شرحها في كتاب ابن خزيمة فإنه لا يذكر سندها إلا في حديث الأسماء الحسنی .

فلقد ذكره بسنده مرة إلى راويه من الصحابة^(١) ومرة بسنده إلى ابن خزيمة ثم إلى راويه من الصحابة^(٢) .

٢ - من عناية المؤلف بالإسناد أنه قد يروى ما ليس حديثاً، ولا أثراً، بل هو قول لأحد أئمة اللغة، أو بيت شعر لأحد الشعراء، فيرويه بسنده عن شيوخه حتى قائله .

ومثال ذلك ما رواه مُسنداً عن ابي عثمان المازني^(٣)، وعن الأصمعي^(٤) وعن ثعلب^(٥)، وعن سِمَاك^(٦) بن حرب .

٣ - جرى المؤلف على أن يسوق الإسناد أولاً ثم يذكر متنه بعده وأحياناً يبدأ بالمتن ثم يسوق سنده .

انظر الأحاديث رقم ١ و ٦١ و ٩٤ .

(١) ص - ٢٣ .

(٢) ص ٩٨ .

(٣) ص ١٩ و ٤٣ .

(٤) ص ٢٠ .

(٥) ص ١٢٥ و ١٤٤ .

(٦) ص ٦٩ و ٧٠ .

وهذان كلاهما جائز كما نص على ذلك الإمام ابن الصلاح^(١)
والسيوطي^(٢).

رجال أسانيدہ:

١ - رجال أسانيد المؤلف يتراوحون ما بين ٦ إلى ٩ رجال.

٢ - عند روايته لأسانيد أو نقله للمتون فإنه يصرح بأسمائهم
ويستعمل الكنية أحياناً أو يستعمل ما اشتهروا به من ألقاب^(٣)
وأحياناً يذكرهم على الإبهام وهو قليل^(٤).

بيانہ لأحوال الرواة:

لم أجد الخطابي تكلم في أحد من الرواة في هذا الكتاب إلا
في راوٍ واحدٍ فقط. وذلك عند روايته لحديث: «إن لله تسعة
وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة»^(٥)، فقال بعده^(٦)، قد
رويت هذه الأسماء من طريق ابن سيرين عن أبي هريرة بزيادات

(١) مقدمة ابن صلاح. النوع السادس والعشرون: رواية الحديث وأداؤه
ص ١١٤ و ١١٥.

(٢) تدريب الراوي ٢ : ١١٨.

(٣) ص ٢٠.

(٤) ص ١٨ و ٥٤ و ٨٤.

(٥) متفق عليه، رواه البخاري في التوحيد، باب إن لله مائة اسم من رقم
٧٣٩٢ ومسلم. باب في أسماء الله تعالى رقم ٢٦٧٧.

(٦) ص ٩٩.

ليست في خبر الأعرج عن أبي هريرة ثم ساق سنده . . ثم قال : إلا أن راويه عبد العزيز ابن الحصين ، ليس بالقوى في الحديث ، قال محمد بن إسماعيل (البخاري) : عبد العزيز بن الحصين بن التَّرجَمَان : ليس بالقوى عندهم أهـ .

بيانه لدرجة الحديث :

وهذه أيضاً قليلة الذكر في الكتاب ، ولكنني وجدت أنه تكلم في ثلاثة مواضع فقط على درجة الحديث . وله في كل موضع طريقة وهي كما يلي :

١ - يقدح في الحديث من جهة سنده بجرح أحد رواه كما تقدم كلامه في عبد العزيز بن الحصين^(١) .

٢ - حينما قدح في الحديث السابق من جهة سنده ، قال بعد ذلك «غير أن أكثر هذه السماء مذكورة في القرآن»^(٢) . وفي هذا دلالة على أن الإمام الخطابي يرى أن الحديث الضعيف يتقوى إذا ورد في القرآن ما يشهد له لما هو مقرر عند عدد من علماء مصطلح الحديث حينما تكلموا عن شروط العمل بالحديث الضعيف .

٣ - يحكم على الحديث بأنه لم يثبت ، دون بيان سبب ذلك . وذلك في قوله^(٣) : مما يدعو به الناس خاصهم وعامهم ، وإن لم

(١) ص ٩٩ .

(٢) ص ٩٩ .

(٣) ص ١٠٥ .

تثبت به الرواية عن رسول الله ﷺ قولهم: الحَنَّانُ المَنَّانُ (١).

(١) قلت: رواه الإمام أحمد في المسند ٣ : ٢٣٠، وقال: حدثنا حسن بن موسى ثنا سَلَامٌ يعني ابن مسكين عن أبي ظَلَالٍ، عن أنس رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: إن عبداً في جهنم لينادي ألف سنة، يا حنان يا منان، قال: فيقول الله عز وجل لجبريل - عليه السلام - اذهب فائتني بعبدٍ هذا فينطلق جبريل فيجد أهل النار مُكبين يبكون، فيرجع إلى ربه فيخبره فيقول: اتتني به فإنه في مكان كذا وكذا فيجيء به فيوقفه على ربه عز وجل، فيقول له: يا عبدي كيف وجدت مكانك ومَقِيلَكَ؟ فيقول: أي رَبِّ شَرُّ مَكَانٍ، وشَرُّ مَقِيلٍ، فيقول: ردوا عبدي، فيقول: يارب ما كنت أرجو إذ أخرجتني منها أن تردني فيها، فيقول دعوا عبدي. أهـ.

وبلفظه رواه أبو يعلى - بإسناد أحمد - وبلغه في مسنده رقم ٤٢١٠. وعزاه ابن حجر في القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد. ص ٤٢ و٤٣ الحديث السادس.

إلى ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» ولليهقي في «الأسماء والصفات»، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» وقال: رواه أحمد وأبو يعلى، ورجالهما رجال الصحيح، غير أبي ظلال، وضعفه الجمهور، ووثقه ابن حبان. أهـ. ١٠ : ٣٨٤ قلت: في قول الهيثم نظراً فلم يوثقه ابن حبان، بل ذكره في المجروحين ٣ : ٨٥، وقال: كان شيخاً مُغفلاً يروي عن أنس مالميس من حديثه. لا يجوز الاحتجاج به بحال. أهـ. وأبو ظلال هو هلال بن أبي هلال أو ابن أبي مالك ميمون القسلي بفتح القاف وسكون المهملة. قال فيه ابن معين: ضعيف ليس بشيء، وقال البخاري، مقارب الحديث، وضعفه النسائي والأزدي، وقال ابن عابدين: عامة ما يرويه لا يتابعه =

طريقة شرحه للألفاظ والعبارات الغربية:

اهتم الخطابي كثيراً بشرح وتفسير الألفاظ والعبارات سواء ما كان منها غريباً، وما لم يكن. وليس هذا بمستغرب عليه فهو إمام لغوي بارع اهتم كثيراً بغريب الحديث فألف فيه كتابه المشهور «غريب الحديث». واستفاد الخطابي في كتابه شأن الدعاء من كتابه «غريب الحديث» كثيراً ومن غيره من كتب غريب الحديث.

موارد الكتاب:

استقى الإمام الخطابي مادة الكتاب العلمية من مصادر عديدة

أهمها:

= عليه الثقات، وقال يعقوب ابن سفيان: لئن الحديث - تهذيب التهذيب - ١١ : ٨٥.

فخلاصة حالة إنه ضعيف. انظر: تقريب التهذيب ٢ : ٣٢٥ رقم ١٤٨. أما باقي رجال إسناده فثقات:

درجة الحديث:

الحديث بهذا الاسناد ضعيف، لضعف أبي ظلال.

ولا وجه لذكر ابن الجوزي له في الموضوعات. كتاب صفة جهنم.

باب في صفة رجل يخرج من النار ٣ : ٢٦٧.

وقوله: هذا حديث ليس بصحيح.

فقد تعقبه الحافظ ابن حجر بقوله: وفي الجملة ليس هو موضوعاً.

فكأنه يميل إلى القول بضعفه فقط.

القول المسدد - ص ٤٣ ح ٦.

١ - مروياته المسندة التي رواها عن شيوخه؛ خاصة في الحديث واللغة العربية ويورد أيضاً ما سمعه شفاهة من شيخه من آراء علمية تتعلق بمسائل الحديث أو الفقه أو اللغة، أو أقوال لهم، أو ما رووه من أبيات شعرية.

٢ - نقل الخطابي كثيراً من كتابه «غريب الحديث» وصرح بالعمارة إليه بقوله: وقد فسرناه في «غريب الحديث»^(١). وينقل أحياناً من كتابه «غريب الحديث» دون عزو له.^(٢)

٣ - وصرح الخطابي بالنقل من أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ت ٢٢٤هـ - في كتابه «غريب الحديث». وتتبع محقق الكتاب المواضع التي نقل منها الخطابي من أبي عبيد فعزاها إليه^(٣).

٤ - نقل الخطابي كثيراً مما يتعلق بشرح أسماء الله الحسنى من كتاب «تفسير أسماء الله الحسنى» للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج - المتوفى سنة ٣١١هـ.

٥ - ونقل الخطابي من الإمام أبي عبيدة مَعْمَر بن المثنى التيمي

(١) المرجع السابق - ص ١٧٨ وغريب الحديث للخطابي ١ : ٧٢٧.

(٢) شأن الدعاء - ص ٨ و ٢٣ و ٢٩ و ٤٦ و ٥٩ و ٦٠ و ٧٥ و ١٣١ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٤٨ و ١٥٤ و ١٥٩ و ١٦٦ و ١٦٧ و ١٧٨ و ١٨٧ و ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٠ و ١٩٢ و ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٧.

(٣) انظر مثلاً - ص ٦١ و ١٤١ و ١٥٨ و ١٦٥ و ١٦٧ و ١٧٠ و ١٧١ و ١٨١ و ١٨٣ و ١٨٧ و ١٩٠ و ١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٧.

ت ٢١٠هـ، في كتابه «مجاز القرآن»^(١).

٦ - ونقل عن الإمام أبي العباس محمد بن يزيد المبرد -
ت ٢٨٦هـ في كتابه «الكامل».

٧ - نقل عن إمام النحاة أبي بشر عمرة بن عثمان بن قنبر
المعروف «بسيبويه» ت ١٨٠هـ في «الكتاب» قوله في المراد بلفظ
الجلالة من أنه: اسم مشتق، كان في الأصل إله مثال: فعَال^(٢).

٨ - ونقل عن الإمام أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ت ٢٠٧هـ
في كتابه «معاني القرآن»^(٣).

هذا ما تيسر، ولقد نقل الإمام الخطابي عن أئمة آخرين
كالخليل بن أحمد الفراهيدي والإمام الأصمعي، والإمام أبي بكر
محمد بن القاسم الأنباري، وأبي الهيثم الرازي، والإمام ثعلب
نقل عنه كثيراً بواسطة تلميذه محمد بن عبد الواحد أبو عمر الزاهد
المعروف بغلام ثعلب.. وغيرهم. ولكنني لم أقف على مكان
أقوالهم في مؤلفاتهم.

٩ - ومن مصادره الحديثية - إضافة لمروياته عن شيوخه -
الرواية عن طريق بعض الأئمة أصحاب المصنفات الحديثية فلقد

(١) شأن الدعاء - ص ٣٨ و ٣٩ و ٩٧ و ١٩٨ و ١٩٩.

(٢) شأن الدعاء ص ٣١ والكتاب لسبويه ١ : ٣٠٩.

(٣) شأن الدعاء ص ٤٣ و ٧٧ و ١١٦ و ١٥٩ ، ومعاني القرآن ٢ : ٢١.

تفسير سورة البقرة ١ : ١٧٣.

روى عن طريق الإمام مالك بن أنس^(١).

وروى من طريق عبد الرزاق بن همام الصنعاني^(٢)، ومن طريق الحميدي^(٣) برواية بشر بن موسى - وهي الرواية المطبوعة من الكتاب - ومن طريق أبي داود السجستاني^(٤) من رواية ابن الأعرابي وهي إحدى الروايات المشهورة لسنن أبي داود.

أثره في غيره من المؤلفات:

كتاب «شأن الدعاء» يُعتر من الكتب الهامة فيما يتعلق بأهمية الأدعية، وبيان معانيها، وشرح أسماء الله الحسنى. لذا فقد اهتم به العلماء، واستفادوا منه في مؤلفاتهم ومن أبرز هؤلاء:

١ - الإمام ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى - ت ٥٩٧هـ نقل عن الخطابي كثيراً مما يتعلق بشرح أسماء الله الحسنى وذلك في كتابه «زاد المسير في علم التفسير» مع تصريحه باسم الخطابي عند النقل عنه.

(١) انظر شأن الدعاء - ص ٢٣ - ح ١٦.

(٢) انظر شأن الدعاء - ص ٤٤ - ح ٢٣، ومصنف عبد الرزاق باب الإيمان الإسلام - ج ١١ : ١٣١ رقم ٢٠١١٧.

(٣) انظر شأن الدعاء - ص ٢٦ وص ١٠٨ ومسند الحميدي - ج ٢، ص ١١٣ و ١٠٩٦.

(٤) انظر شأن الدعاء - ص ٤ - ح ١، و سنن أبي داود كتاب الصلاة باب الدعاء - ج ٢ : ١٦١ رقم ١٤٧٩.

٢ - ونقل منه الإمام النووي في «تهذيب الأسماء واللغات»^(١).
٣ - وكذلك نقل منه الإمام القرطبي في تفسيره المسمى «الجامع لأحكام القرآن»^(٢)

٤ - وكذلك استفاد منه الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك ابن محمد بن الأثير الجزري ت - ٦٠٦هـ في كتابه «جامع الأصول»^(٣).

مميزات الكتاب:

١ - يعد كتاب «شأن الدعاء» مرجعاً هاماً فيما يتعلق بالدعاء وأحواله وأنواع الأدعية الأذكار.

٢ - حوى الكتاب مادةً علمية قيمة؛ تتعلق بشرح أسماء الله الحُسنى بتوسع مفيد يُجلى معانيها، ويوضح المراد بها. المؤلف بإسناده.

٣ - يعتبر الكتاب مصدراً أصلياً من مصادر التخريج فيما رواه.

٤ - أبدى المؤلف رأيه في عدد من مسائل الكتاب ترجيحاً وتصويباً.

(١) شأن الدعاء - ص ١٤١ وتهذيب الأسماء ٤: ٦١ و ٦٢.

(٢) شأن الدعاء - ص ٣١ و ٣٣ و ٣٥ و ٣٦ و ٦٠ والجامع لأحكام القرآن

ج ١ : ١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٤ و ج ٢ : ٣١.

(٣) جامع الأصول ١ : ٦٥ و ٦٦ . و ١ : / ١٨٣ و ١٧٣.

٥ - اشتمل الكتاب على ثروة لغوية ذات فنون متعددة. منها ما يتعلق بشرح المفردات والعبارات الغريبة الواردة في أحاديث الكتاب - وتقدم الكلام على ذلك.

ومنها ما يتعلق بعناية المؤلف بالتأصيل الصرفي، وبيان الاشتقاق اللغوي للأسماء المذكورة.

٦ - تضمن الكتاب عدداً كبيراً من المسائل المتعلقة بالعمقفة حيث تناول موقف الدعاء من القدر^(١)، وحكم الحلف بالذيان^(٢) والنهى عن سب الدهر^(٣)، وعدم جواز القياس على أسماء الله عز وجل^(٤)، وتنزيه الباري عن صفات النقص^(٥)، والكلام عن علم الله عز وجل^(٦) وعن علوه سبحانه^(٧)، وعن عرشه^(٨)، وعدم جواز إضافة المساوىء إليه^(٩)، وأنه لا يجوز أن يتوهم أن الله تعالى نور من الأنوار. . فإن النور تضاده الظلمة وتعاقبه فتزيله

(١) ص ٦-٨.

(٢) ص ١٠٦.

(٣) ص ١٠٨.

(٤) ص ١١٣ و١١١.

(٥) ص ٦٢.

(٦) ص ٦٣.

(٧) ص ٦٦.

(٨) ص ١٦٠.

(٩) ص ١٥٣.

وتعالى الله أن يكون له ضدُّ أو ندُّ، وإنما هو خالق النور ومُوجدُه
سبحانه (١).

وأنه قريب بعلمه من خلقه (٢)، وأن النَّفْعَ والضَّرَّ والخيرَ والشرَّ
مصدرها جميعاً من قبل الله عز وجل (٣).

٧ - وتضمن الكتاب تفسيراً لعدد كبير من الآيات القرآنية
لا سيما المتعلقة بالأسماء الحسنى (٤).

٨ - حلَّى الخطابي كتابه بعدد من أخبار السلف ومواعظهم (٥).

طباعة الكتاب:

طبع الكتاب بدار المأمون للتراث بدمشق وبيروت عام
١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م بتحقيق/ الأستاذ أحمد يوسف الدقاق، وسماه
«شأن الدعاء» (٦).

(١) ص ٩٥.

(٢) ص ١٠٢.

(٣) ص ١٥٩.

(٤) انظر مثلاً ص ١٢ و ٢١ و ٦٤ و ٦٦ و ٦٨ و ٧٠ و ٧١ و ٧٣ و ٧٥ و ٧٦
و ٨٥ و ١٠٠ و ١٢٥.

(٥) ص ١٤٢.

(٦) بذلَّ المحقق جهداً في إخراج الكتاب، والعناية بنصومه من حيث
عزو الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية، والأبيات الشعرية،
وأقوال بعض الأئمة، وضبط النص وبيان المقارنات والفروقات بين =

النصوص في النسخ المختلفة. وحرص على عزو عدد من نقول المؤلف لمصادرها، كما بين بعض من نقل عن المؤلف. إضافة لبعض التعليقات والتصويبات القيمة.

وختتم الكتاب بفهارس فنية متعددة للآيات، والأحاديث، والأسماء الحُسنَى، والقوافي، والأمثال، والأماكن، والأعلام، والموضوعات، والمراجع. وهذا مما يسر الانتفاع بالكتاب والاستفادة منه. هذا وبرغم ما ذكرته من جهد للمحقق، فإن لي بعض الملاحظات على ما قام به في تحقيق الكتاب، ولا أظنها تنقص من جهده، بل تزيده صواباً بإذن الله تعالى:

١ - عدم الدقة في استعمال مصطلح «أخرجه أو رواه» عند التخريج حيث أنهما يختصان - غالباً - فيما رواه صاحب الكتاب بإسناده. أما الكتب المحذوفة الأسانيد فيُعزى إليها بذكره أو أورده، أو نحو ذلك. فتجد المُحقق يخلط في استعمال هذا الاصطلاح، فيجعل رواه أو أخرجه شاملة للكتب الأصلية والفرعية معاً، ففي ص ١٤ قال في الحاشية: وأخرجه الشيخ ناصر في صحيح الجامع الصغير.

وفي ص ٢٧ قال: رواه ابن الأثير في «جامع الأصول»..
وفي ص ١٤٢ قال: رواه الإمام النووي في «الأذكار»..
وفي ص ٢٠٤ قال: رواه الهيثمي في «الزوائد».. ورواه السيوطي في «الفتح الكبير».. «والجامع الصغير»..

٢ - عدم الترتيب في عزو الحديث لمصادره فتجده يعزوه لمصدر أصلي ثم فرعي ثم يعود لأصلي آخر وهكذا.

انظر الحديث رقم ١٨ و ٣٥ و ٤٧ و ٥٠ و ٧١ و ٨٩ و ١٠٢.

٢ - كتاب العُزلة - الكبير

لم أجد من أشار إلى هذا الكتاب، أو ذكر شيئاً عنه، ممن

٣ - ذُيِّلَ المحقق الكتاب بفهارس متعددة يشكر عليها، ولكن فات

عليه في الفهارس مايلي:

أ - حبذا لو فهرس الكلمات الغريبة التي شرحها الخطَّابي ليستعين به القارئ في شرح الغريب، ويستفيد عند المقارنة بين هذا الكتاب وغريب الحديث للخطابي أو غيره، ومدى استفادته منها.

ب - سقطت بعض التراجم في فهرس الأعلام، ومنها ترجمة عبد الرحمن بن الأسد - ص ١٨١.

ج - لم يفهرس المحقق الأعلام الذين ورد ذكرهم في حاشية التحقيق.

د - سقطت أرقام بعض الصفحات في فهرس الأعلام ومنها:

عند اسم أبي عبيدة سقط رقم ٣٩، وعند اسم أحمد بن إبراهيم بن مالك سقط رقم ٤٢، وأحمد بن عبد الحكيم الكريزي سقط رقم ٣٦،

وأحمد بن محمد الكرَّاني «أبو محمد» سقط رقم ١٤٢، فمحمد بن الحسين ابن عاصم سقط رقم ٩٨، ومحمد بن عبد الواحد غُلام

ثعلب - سقط رقم ٦١ و١٢٦ واسم الإمام مالك ذكر أنه في ص ٢٤ والصحيح أنه في ص ٢٣. وعند ذكر اسم مكرم بن أحمد تركه بياضاً

وقد ورد اسمه في ص ٢٣.

هـ - في فهرس المصادر لم يذكر كتاب الأذكار للنووي وقد نقل منه في ص ١٤٢، والتَّقْصِي لابن عبد الله في ص ٢٧.

و - ولم يذكر أي معلومة عن ديوان جِران العَوْد، وسَرَح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، وغريب القرآن لابن قتيبة.

ترجموا للإمام الخطابي، أو تكلموا عن مؤلفاته إلا الإمام الخطابي نفسه، حيث ذكره في مقدمة كتاب «العزلة» المطبوع بين يدي طلاب العلم - حيث قال^(١):

«فَهَمْتُ قَوْلَكَ أَخِي، أَلْهَمَكَ اللهُ الصَّوَابَ وَأَرَأَىكَ الْمَحَابَّ
وما قد أذكرت به من كتاب «العزلة» وبعثني عليه من إتمامه بعد
ابتدائه، والفرغ منه بعد إنشائه، وما شكوته مع ذلك من طول
مأخذه، وما خفته من الملال على الناظر فيه.. الخ المقدمة..
فيستخلص مما سبق مايلي:

١ - أن الإمام الخطابي قد بدأ في تأليف كتاب موسّع في
العزلة، أطال فيه كثيراً؛ بذكر زيادات على أصل الموضوع حتى
شكى إليه بعض أصحابه من طول مأخذه، وخوف الملل منه.

٢ - أنه لم يتممه بعد أن استغرق في تأليفه زمناً طويلاً.

٣ - أنه قد حثه بعض إخوانه على أن يعيد تأليف الكتاب
بطريقة مختصرة بحيث يكتفى فيه بأهم جوانب الموضوع، لكي
يسهل عليه إتمامه ومراجعته ويجنب القارئ له ما يخشى عليه
من اللبس بسبب التطويل، والتوسّع الزائد عن الغرض الأصلي.

ويبدو أن الرجل الذي أشار على الخطابي بذلك كان من أهل
العلم المعتبرين، حيث حدّد له جوانب التوسّع الذي ينبغي عليه
استبعادها، وهي حذف الزوائد في نظره على الغرض الأصلي

(١) كتاب العزلة - ص ٥١ و ٥٢.

كما اقترح عليه المنهج العام الذي يسلكه في التأليف للكتاب
مختصراً.

ومع أنَّ الخطابي لم يوافق صاحبه هذا على وجود زوائد
خارجة عن الموضوع في القدر الذي ألفه من الكتاب بتوسيع
حيث قال: «ثم إنني لم أر شيئاً منه في المقدر الذي انتهى إليه
كان زائداً على قدره، أو خارجاً عن حده فيجب حذفه أو يلزم
تبذره ورفضه»^(١).. الخ.

إلا أنه استجاب لطلبه حيث قال وتوخيت لك فيه
الاقتصار^(٢)..

٤ - أنه استجاب لطلبه وألف كتاب «العزلة» المطبوع بين
يدي طلاب العلم اليوم.

٥ - أنه قد نهج في تأليفه للعزلة - المطبوع - منهج الإيجاز،
والاختصار ويدل على ذلك قوله: وسألت أن ألتقط لك
جوامعه، وأحذف أطرافه وزوائده، وأسدد بالقول فيه نحو
الغرض لا أعدوه ولا أتجاوزهُ ليكون أوجز في القول، وأسهل
على الذكر.. الخ.

٦ - أنَّ للخطابي في موضوع العزلة مؤلفين لا مؤلفاً واحداً،

(١) ص ٥٢.

(٢) ص ٥٢.

وأن أحدهما كبير ولم يتمه، وثانيهما صغير وقد أتمه. وهو المطبوع - وسيأتي الكلام عليه.

أما الكتاب الكبير فلم أقف على نسخة له، ولا على نقول منه. ولكن الذي وجد وطبع ونقل العلماء عنه هو كتاب العزلة المختصر أو ما يمكن أن يسمى بالصغير بالنسبة للكتاب الكبير. والله أعلم.



٢ - العزلة - الصغير -

تسميته الكتاب، ونسبته للمؤلف، وتعدد رواياته عنه:
اتفقت جميع المصادر^(١) التي رجعت إليها لبيان مؤلفات
الإمام الخطّابي على تسميته بكتاب «العزلة». ولم أجد من سماه
بغير هذا سوى بروكلمان وسزكين:
حيث سماه بروكلمان^(٢): كتاب العزلة «كتاب الاعتصام»
وسماه سزكين^(٣): «...»، أو «الاعتصام بالعزلة».
وبهذه التسمية كتب على الصفحة الأولى من نسخته

-
- (١) انظر: سير أعلام النبلاء ١٧ : ٢٥، وتذكرة الحفاظ ٣ : ١٠١٩،
ومعجم الأدباء ٤ : ٢٥٣ و ١٠ : ٢٦٩، والوافي بالوفيات
٧ : ٣١٧، وطبقات الشافعية للسبكي ٢ : ٢٨٣، وطبقات الشافعية
لابن قاضي شُهبة ١ : ١٥٧، وفهرس مارواه ابن خير الأشبيلي -
ص ٢٨٧، وبغية الوعاة ١ : ٥٤٧، وكشف الظنون ٢ : ١٤٣٩،
وهديّة العارفين ٥ : ٦٨، ومعجم المؤلفين ٤ : ٧٤.
- (٢) تاريخ الأدب العربي ٣ : ٢١٣.
- (٣) تاريخ التراث العربي ١ : ٤٢٨.

الخطية^(١). والصحيح - والله أعلم - أن اسمه كتاب «العزلة» لأن مؤلفه سماه بهذا فقال في مقدمة^(٢) الكتاب: «... وما قد أذكرتني به من أمر «كتاب العزلة» وبعثتني عليه من إتمامه...».

وأما ما كتب على النسخة الخطية فيحتمل أنه من تصرف الناسخ^(٣) عند توريقه للكتاب.

ومما يدل على صحة نسبة الكتاب لمؤلفه روايته عنه مسنداً وذلك من ثلاثة طرق: طريقان ذُكرا في أول الكتاب المطبوع^(٤)، وهناك طريق ثالث رواه ابن خير الاشبيلي في فهرسه^(٥).

موضوع الكتاب: والسبب الباعث على تأليفه: بيان المراد بالعزلة، وفضلها، وأحكامها.

(١) نسخته الخطية هي نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق برقم ١٠٩٩ وعليها تم تحقيق الكتاب بعناية الأستاذ ياسين السواس. وصور للصفحة الأولى من المخطوط وعليها قد كتب كتاب الاعتصام بالعزلة. انظر العزلة بتحقيق ياسين السواس - ص ٤٨.

(٢) كتاب العزلة - ص ٥١.

(٣) ناسخ الكتاب هو علي بن محمد المؤذن بن عثمان المؤذن النيسابوري نسخته سنة ٥٨٧هـ. كما ورد في الورقة ٤٤/ب من النسخة الظاهرية وفي المطبوع - ص ٤٥ وص ٢٤٢ ولم أعثر على ترجمته.

(٤) كتاب العزلة - ص ٥١.

(٥) فهرسه ما رواه ابن خير عن شيوخته ص ٢٨٧ و ٢٨٨.

أما السبب الباعث على تأليفه، فهو ما رآه من انتشار الفساد بين أهل زمانه، وفشو المنكرات، فرغب في اعتزالهم، ولكن بضوابط سيرد ذكرها قريباً عند مراد الخطابي بالعزلة، ويدل على ذلك قوله^(١) ثم اعلم يا أخي أنّ عامة أهل هذا الزمان قد ساءت رغبتهم، وقلّت آدابهم، وغلّظت محتثهم على من يُعاشرهم، لأنّ موقفه فيهم بين أن يَخُونهم فيسالمهم، وبين أن لا يصون نفسه فيناصحهم.

وقد كانوا والناس ناس، والزمان زمان - يستبشعون الحق، ويستمرون طعم التُّصح، ويتنكرون لمن يُهدي إليهم عُيوبهم، ويصدّقهم عن أنفسهم. فما ظنك بهم الآن مع فساد هذا الزمان الكَلْبُ اللولبي المُتقلّب؟..

ثم قال: فانظر - رحمك الله - وتأمل هل تجد اليوم أعواناً على المعروف، ودعاةً إلى الخير، ونهاةً عن المنكر؟ فإن كنت لا تظفر بهم، ولا تقدر عليهم، فأنج برأسك، ولا تُغرر بنفسك، إن رضا الناس غايةٌ لا تدرك، هيهات!! قد أعيأ الأولين دواؤهم، وانقطعت فيه حيلهم^(٢).. الخ.

إذاً فكتاب العزلة هو التعبير القولي عن اتجاه المؤلف

(١) انظر كتاب العزلة - ص ١١٠.

(٢) للنظر في تمة كلام المؤلف - انظر كتاب العزلة - ص ١١١.

السلوكي فكأنه تعليل لسلوكه الشخصي، حيث كانت العزلة محببة لنفسه آنذاك.

منهج المؤلف في الكتاب:

مراد المؤلف بالعزلة:

وضح المؤلف المفهوم الذي يقصده بالعزلة بأنها لا تعني مفارقة الناس والجمع والجماعات، بل يُريد ترك فضول الصُّحبة، ونبذ الزيادة منها، وحط العلاوة التي لا حاجة له بها^(١).

وحدد الإمام الخطابي في ثنایا الكتاب ضوابط للعزلة أهمها:

١ - أن تكون عند فساد أهل الزمان.

٢ - أن تكون للعلماء فقط. قال أبو سليمان الخطابي:

فالعزلة إنما تنفع العلماء العقلاء، وهي من أضر شيء على الجُهاال^(٢).

٣ - مراعاة المصلحة والحاجة وفي هذا يقول: «وأما عزلة

الأبدان ومفارقة الجماعة - التي هي العوام - فإن من حكمها أن تكون تابعة للحاجة، وجارية مع المصلحة.

(١) كتاب العزلة - ص ٥٨.

(٢) كتاب العزلة - ص ٢٣٥.

بيانه لدرجة الحديث :

إن القارئ لكتاب العزلة يلحظ أن المؤلف كان مُقلاً في بيانه لدرجة الحديث، والحكم عليه، أو يتناول الرجال والكلام عليهم. ولعل عذره في ذلك أنه اكتفى بإيراده للأسانيد - فبرئت عهده من الحديث. أو لعله اعتبر أن هذا الكتاب مؤلف للزهد والموعظة، فلم يحرص على خوض المسائل الحديثية فيه، فيغلب على أحاديث تعلقها بالمواعظ والفضائل. ولكن مع ذلك نجده قد تناول بعض الأحاديث بالحكم عليها ومن ذلك :

١ - أنه لما روى حديث أبي سعيد الخُدري - رضي الله عنه - أنه سمع الرسول الله ﷺ يقول: «إن الله تبارك وتعالى ليسأل العبد حتى يقول: ما منعك إذ رأيت المنكر في الدنيا أن تنكره؟ فإذا لقن الله عبداً حُجَّتَهُ قال: يا رب رَجَوْتُكَ وخَفْتُ الناس^(١)».

فأتبعه الخطابي بقوله: «هذا طريق في الرواية يرتضيه أهل النقل من أهل الحديث. أهـ».

قلت: وهذه إن لم تكن صيغةً إصطلاحية متداولة عند المحدثين مثل تداول حكمهم بالصحة والحسن إلا أنها تفيد

(١) . أخرجه بلفظه أحمد ٣ : ٢٧ ، وابن ماجه في الفتن ، باب قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ رقم ٤٠١٧ ، والحميدي ٢ : ١٣٣٢ رقم ٧٣٩ ، وذكره العراقي في تخريج الإحياء وعزاه لابن ماجه وقال: إسناده جيد ٢ : ٢٢٩ .

قبول الحديث وصلاحيته للحجة عنده.

٢ - ويبيّن أن الحديث الضعيف يمكن الاحتجاج به إذا كان له ما يعضده من أدلة الشرع العامة كورود ما يشهد له في القرآن الكريم، أو تدل عليه السنة المشرفة. . ونحوها. وذلك حينما روى حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت قال: رسول الله ﷺ «لا يصلح لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام، إلا أن يكون ممن لا يؤمن بوائقه»^(١).

(١) أخرجه الخطابي في العزلة - ص ٩٣ من طريق شيخه ابن الأعرابي قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ، قال: حدثنا محمد بن الحجاج المصفر. قال: حدثنا عبد العزيز بن محمد الدوردي، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة - وذكره، وقد رواه أبو داود بنحوه ودون الاستثناء في الأدب، باب فيمن يهجر أخاه المسلم رقم ٤٩١٣، وبهذا الإسناد أخرجه ابن عدي في الكامل ٦ : ٢١٥٧، وعزاه في كنز العمال ٩ : ٤٧ رقم ٢٤٨٧١ للحاكم في الكنى والحديث أصله في الصحيحين دون الاستثناء في آخره من عدة طرق منها طريق أبي أيوب الأنصاري - أخرجه البخاري في الأدب باب الهجرة رقم ٦٠٧٧ . وأخرجه مسلم في البر. باب تحريم الهجر فوق ثلاث رقم ٢٥٦٠ . وطريق عائشة أخرجه البخاري في الموضوع السابق رقم ٦٠٧٣ وفيه قصة. وطريق أنس رواه البخاري في الأدب. باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير رقم ٦٠٦٥، والموضع السابق رقم ٦٠٧٦ . ورواه مسلم في البر والصلة والآداب. باب تحريم التحاسد رقم ٢٥٥٩ . وطريق ابن عمر رواه مسلم في البر. باب تحريم الهجرفوق ثلاث رقم ٢٥٦١ .

وهذا الحديث في إسناده «محمد بن الحجاج المصفر»^(١) قال فيه الخطابي: وهو إن لم يكن القوي عند أهل الحديث، فإن دلائل الكتاب والسنة والقياس متظاهرة، على جواز هجران من لا تؤمن بوائقه والتباعد منه بل هو الواجب على كل أحد من الناس^(٢).

قلت: وقد استفاد الحافظ ابن حجر^(٣) من هذا ومن غيره حينما جعل شروط العمل بالضعيف ثلاثة وذكر منها أن يندرج تحت أصل عام معمول به. ويدخل في هذا القرآن أولاً ثم السنة والاجماع والقياس الصحيح.

بيانه لأحوال الرواه:

سبق القول بأنه مُقلِّ جداً في الكلام على أحوال الرواة، ودرجة الحديث. ولم أجده في هذا الكتاب قد تكلم على أحد الرواة سوى قوله السابق ذكره وهو أن محمد بن الحجاج المصفر لم يكن بالقوي عند أهل الحديث. أهـ^(٤)

(١) سيأتي ذكره في بيانه لأحوال الرواة في هذا الكتاب.

(٢) و(٤) ص ٩٣.

(٣) انظر ما نقله عنه السخاوي في القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، «الخاتمة - ص ٢٤٥».

وحاشية - نزهة النظر في شرح نخبة الفكر - للشيخ إسحاق عزوز. ص ٥٢.

مصادر المؤلف في الكتاب :

- ١ - مروياته المسنده بالمشافهة عن شيوخه ونحوها من أقوالهم وآرائهم، كما تقدم في طريقته في إيراد الأسانيد.
- ٢ - المصنفات الحديثية السابقة عليه، فإن الأحاديث التي يستدل بها من تلك المصنفات يوردها بسنده إلى أصحاب تلك المصنفات.
- ٣ - النقل من كتابه «غريب الحديث»^(١) في شرحه للمفردات والعبارات دون إشارته لذلك، وقد قام محقق كتاب «العزلة» مشكوراً بتتبع تلك المواضع.
- ٤ - النقل من كتاب «غريب الحديث» لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي^(٢) ت - ٢٢٤هـ.
- ٥ - وروايته عن أئمة اللغة وعلماء العربية بواسطة شيوخه أحياناً فلقد روى بواسطة شيخه أبي عمر محمد بن عبد الواحد

(١) مما نقله الخطابي بنصه من غريب الحديث في شرح المفردات والعبارات انظر - ١ : ٢٨٧ و ٥٦٠ و ٥٦١ و ٢ : ٤٨٦ و ٣ : ١٤ و ١٢٥، ومما نقله منه من الأحاديث أو الأشعار أو بعض الأقوال انظر ١ : ٥٩٦ وج ٢ : ٧٥ و ٢ : ١١٠ و ٢ : ٢٩٢ و ٣ : ٩٤ و ١٢٤ و ٢٢٥. وانظر العزلة - ص ٢٠٧ و ١٠٩ و ١٢٧ و ١٥٨ و ١٩٩ و ٢١٣ و ٢٢٠ و ٢٢١.

(٢) انظر العزلة - ص ٧٩ و ٢٠٩ و غريب الحديث لأبي عبيد ٣ : ٣٦٩.

المعروف، بغلام ثعلب ثعلب روايات كثيرة عن الإمام المبرد^(١)،
والإمام ثعلب^(٢)، وعن الإمام ابن الأعرابي اللغوي^(٣). وروى
أيضاً عن الأصمعي^(٤) والخليل بن أحمد الفراهيدي^(٥) وأبي بكر
بن الأنباري^(٦) والجاحظ^(٧) أيضاً.

٦ - وقد نقل من بعض المؤلفات بالوجادة وقد تقدم نقله عن
منصور بن عمار^(٨) في «صفة الزمان» وعن علي بن عبيدة^(٩) في
«فصل له».

أثر كتاب العزلة في غيره:

استفاد عدد من العلماء وطلاب العلم، من كتاب «العزلة»
ونقلوا منه في مختلف كتبهم ومن هؤلاء:

١ - الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي - ت ٤٥٨هـ

(١) انظر كتاب العزلة - ص ٩٩ و ١٣٢ و ١٦٦ و ٢٠٧ و ٢١٠.

(٢) انظر كتاب العزلة - ص ١٠٧ و ١٢٣ و ١٥٠ و ١٩٨ و ٢١٠ و ٢٣٣.

(٣) انظر كتاب العزلة - ص ١٩٨ و ٢٠٢ و ٢٢٢ وغيرهما.

(٤) انظر كتاب العزلة - ص ٧٦ و ٨٠ و ٩٠ و ١٠٥ و ١٠٩ و ١٢٣ و ١٣٦

و ١٣٧ و ١٤٥ و ١٤٦ و ١٤٨ و ١٦٥ و ١٧٢ و ٢٠٣ و ٢٠٤ وغيرهما.

(٥) انظر كتاب العزلة - ص ١٩٨.

(٦) انظر كتاب العزلة - ص ١٦٥ و ١٧١ و ١٧٢ و ١٩٨ و ٢١٧.

(٧) انظر كتاب العزلة - ص ٢٠٢.

(٨) انظر كتاب العزلة - ص ١٨٨.

(٩) انظر كتاب العزلة - ص ١٣٨.

استفاد منه في كتابه «الزهد الكبير»^(١).

٢ - الإمام أبو حامد الغزالي - ت ٥٠٥ هـ في كتابه إحياء علوم الدين^(٢).

٣ - الإمام زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ت ٨٠٦ هـ استفاد منه في تخريجه في الاسفار «وعزا إليه مراراً»^(٣).

٤ - نقل منه أحمد مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده في كتابه «مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم» بضع صفحات^(٤).

(١) انظر الزهد الكبير، فصل في العزلة والخمول من ص ٩٢ إلى ١٣١ وانظر العزلة - ص ٧٠ و٧١، وصرح البيهقي بالنقل عن الخطابي في ص - ١١٩، وانظر العزلة - ص ١٥٨ و١٥٩، وانظر الزهد الكبير - ص ٢١٥ و٢١٦، حيث روى خبراً بنفس إسناد الخطابي، العزلة - ص ٨٣.

(٢) نقل من كتاب الخطابي كثيراً خاصة ما يتعلق بالعزلة واختلاف العلماء في حكمها وفوائدها وآفاتها وذلك في كتاب السادس في آداب العزلة - ج ٢ - ص ٢٢١ - ٢٤٤.

(٣) انظر الصفحات السابقة من كتابه إحياء علوم الدين وصرح بالعمود إليه في ج ٢ ص ٢٢٣ و٢٥٦ و٣٣٣.

(٤) نقل عنه في آداب العزلة وفضلها وكراهيتها وفوائدها وآفاتها ج ٣ : ٢٧٠ - ٢٧٧. وتبع في الترتيب ما نقله عن الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين ولكنه صرح بالنقل عن الخطابي في - ص ٢٧٣.

- ٥ - كذلك يظهر لي - والله أعلم - أن الراغب الأصبهاني أبو القاسم حسين بن محمد استفاد منه في كتابه «محاضرات الأدباء»^(١).
- ٦ - كذلك يظهر لي - والله أعلم - استفادة العلامة محمد مرتضى الزبيدي - ت ١٢٠٥هـ في شرحه للإحياء المسمى «إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين»^(٢).
- ٧ - الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي^(٣) - ت ٤١٤هـ.
- ٨ - ويغلب على الظن استفادة الإمام البيهقي - ت ٤٥٨هـ منه في «كتاب الآداب»^(٤).
- ٩ - كذلك نقل منه الإمام السيوطي في كتابه «الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب»^(٥).
- ١٠ - ونقل منه العلامة أحمد بن عبد الكريم العامري الغزي في كتابه «الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث»^(٦).

-
- (١) محاضرات الأدباء، العزلة وفوائدها ٢ : ١١ .
- (٢) اتحاف السادة المتقين ج ٦ : ٣٢٨ إلى ٣٨١ .
- (٣) الصداقة والصديق - ص ٩ و ٩٤ و ١٠٦ و ١٠٨ و ١٢٢ و ١٣٢ و ٢٣٨ و ٢٦٢ و ٣٠٠ و ٣٦٨ .
- (٤) انظر الآداب - باب من يجالس ومن يصاحب - ص ١٨٥ ، وباب من اختار عزلة الناس عند تغيير أكثرهم - ص ١٨٨ .
- (٥) الشهاب الثاقب - ص ٨ و ٩ و ١٣ و ١٧ و ١٨ .
- (٦) الجد الحثيث فيما ليس بحديث - مخطوط لوحة رقم ١٢ / ظ ولوحة رقم ٢٥ / ظ .

١١ - واستفاد منه أيضاً الإمام الدين السخاوي - ت ٩٠٢هـ
في كتابه «المقاصد الحسنة»^(١) وعزا إليه تخريج عدد من
الأحاديث.

١٢ - وكذلك نقل منه الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني
- ت ١١٦٢هـ في كتابه «كشف الخفاء ومزيل الإلباس، عما اشتهر
من الأحاديث على ألسنة الناس»^(٢) وصرح بعزو عدد من
الأحاديث إليه.

١٣ - ويغلب على الظن استفادة الإمام أبي علي الحسن بن
أحمد البغدادي المعروف بـ «ابن البناء» المتوفى سنة ٤٧١هـ.
في كتابه «الرسالة المُغنية في السكوت ولزوم البيوت»^(٣)
وذلك لتطابق عدد من النقول بينهما. لكنني لم أجده صرح باسم
الخطابي في الكتاب كله. . مع أن محقق الكتاب قام مشكوراً
بعزو عدد من أحاديث الكتاب للعزلة للخطابي - رحمه الله - .



(١) المقاصد الحسنة - ص ٤٠ و ٦٨ و ٢٢٣ و ٢٢٨ و ٢٤٢ و ٣٩١ و ٣٩٥.

(٢) كشف الخفاء ١ : ٩٦ و ٩٦ و ١٦٨ و ٥٠٨ و ٥٢٠ و ٥٥٢ و ج ٢ :
٢٨٤ و ٢٩٢ و ٥١٨.

(٣) الرسالة المُغنية - ص ٣٥ و ٣٩ و ٤٤ و ٤٩ وغيرها.

تقويم الكتاب

أ - المميزات: (١)

١ - أن المؤلف تحدث عن العزلة بأسلوب علمي متزن، بعيد عن الغلو في مفارقة الناس، وحرص على التزام المنهج الحق، والتوسط في مسألة العزلة فيبين أدلة المنكرين لها، وأدلة المرغبين فيها وما لكل منهم من حُجج أو براهين ثم اتخذ رأياً وسطاً بالجمع بينهما وذلك بتقسيم العزلة إلى جائزة وممنوعة، وجعل أدلة المنع محمولة على الثانية وأدلة الجواز على الأولى.

٢ - أن الكتاب يعتبر مصدراً أصلياً في أدلة العزلة لما حواه من الأحاديث والآثار المروية بأسانيدھا المتعلقة بالعزلة والفتن وتغير آخر الزمان.

٣ - كما يعتبر كتاب علم، وأدب، وموعظة، وحكمة، وسلوك، وزهد.

(١) استفدت في ذكر بعض مميزات الكتاب مما ذكره الشيخ ياسين السواس في مقدمة تحقيقه لكتاب «العزلة» ص ٤٠ إلى ٤٤. بجانب قراءتي الخاصة للكتاب بضع مرات.

٤ - أجاد المؤلف تنظيم المعلومات داخل كل باب فتراه يبدأ بالآيات القرآنية أولاً - إن وجدت - ثم يتبعها بالأحاديث النبوية، ثم الآثار، والأخبار عن السلف، ثم القصص، ثم الأشعار وهكذا. وهذا يدل على ما تمتع به المؤلف من عقلية مُنظمة، وإجادة دقيقة للتأليف العلمي.

٥ - شمل الكتاب ثروةً أدبية كبرى لما حواه من أبيات شعرية كثيرة أحسن المؤلف انتقاءها، وبعض أمثال العرب، وعددا من الأخبار، والقصص المفيدة المروية عن السلف، - رحمهم الله.

٦ - كذلك حوى الكتاب عددا من الأخبار اللطيفة التي تشرح نفس القارىء بما هو طريف ممتع مفيد^(١).

٧ - عُنِي المؤلف بالأسلوب التربوي فحرص على التوجيه والوعظ فيما يُحتاج إليه فقال مثلاً: ^(٢) فالواجب على العاقل ألا يغتر بكلام العوام وثنائهم، وألا يثق بعهودهم وإخائهم، فإنهم يقبلون مع الطمع، ويدبرون مع الغنى^(٣) ويطيرون مع كل ناعق وغيرها.

٢- المآخذ:

بعد ذكر مميزات الكتاب، وبيان ما اتصف به من قيمة

(١) انظر مثلاً - ص ١١٧ و ١١٨ و ١٢٥ و ١٢٦ و ١٨٠ و ٢٢٣ و ٢٢٤.

(٢) ص - ٢٠٥.

(٣) هكذا في المطبوع ولعلها الفقر أو الفزع، والله أعلم.

علمية، أجد نفسي محرراً في ذكر بعض المآخذ على الكتاب، ولكن ما دعاني لذلك هو أنني قصدت بذكر المآخذ الحرص على الوصول بالكتاب لمنزلة اللائقة به مع توازن النظرة إلى الكتاب ببيان ماله وما عليه.

فما هذه المآخذ بذاهبة بمميزات الكتاب التي قدمت أهم ما تبين لي منها.

ومن أبرز هذه المآخذ ما يلي:

١ - في ترتيب الأبواب نظر - بالنسبة لي - فلقد ذكر المؤلف باباً في ترك الاستكثار من الأصدقاء^(١)، ثم أتبعه بكتاب جامع في ترك ما لا يعني^(٢)، ثم أتبعها بباب في التحذير من قرناء السوء^(٣).

فلو أنه جعل بابي ترك الاستكثار من الأصدقاء، والتحذير من قرناء السوء متتاليين ثم أتبعهما بالكتاب الجامع لكان ذلك أفضل.

وكذلك عقد المؤلف باباً في التحذير من عوام الناس^(٤) ثم أتبعه ببابين يتعلقان بفساد الزمان^(٥)، وتمني

(١) ص - ١٢٧.

(٢) ص - ١٣٤.

(٣) ص - ١٤١.

(٤) ص - ١٦٨.

(٥) ص - ١٨١.

الموت^(١)، ثم ذكر بابا في ترك الاعتداد بعوام الناس^(٢). فلو أنه جعل البابين المتعلقين بعوام الناس متتاليين لكان ذلك أولى. ٢ - شدة أسلوب المؤلف - أحيانا - في مهاجمة القراء، وأصحاب الحديث والمتصوفة، ومن صحب السلاطين، وغيرهم.

ولعل المؤلف شعر بهذه الشدة فختم الكتاب بباب في لزوم القصد في حالي العزلة والخلطة^(٣). وقال في أوله: قد انتهى منا الكلام في أمر العزلة إلى حيث شرطنا أن نبلغه، وأوردنا فيه من الأخبار ما خفنا أن نكون قد حسنا معه الجفاء من حيث أردنا الاحتراز منه وليس إلى هذا أجرينا ولا إياه أردنا. الخ.

٣ - عقد بابا «في خفة الظهر، وقلة العيال والأهل»^(٤).

ذكر فيه عدداً من الأحاديث والأخبار الدالة على فضل العزوبة، والحث على عدم الإكثار من العيال، لئلا يُشغل برزقهم العبد عن طاعة الله، وطلب العلم، ونحو ذلك.

ولاشك أن هذا خلافُ السنة، فلقد حث النبي ﷺ على النكاح، ونهى عن التبتل، وأمر بكثرة النسل للمباهاة بأمته يوم

(١) ص - ١٩٥.

(٢) ص - ١٩٧.

(٣) ص - ٢٣٦.

(٤) ص - ١٢٠.

القيامة، ولما يُرجى من عظيم نفع الأولاد لوالديهم في الدنيا، وبرهم بهم، ودعائهم لهم بعد الوفاة، وتكثير نسل المسلمين.

طبعت الكتاب وتقويهما:

نظراً لما يتمتع به الكتاب من أهمية موضوعه، ومادته العلمية، وفوائده الحديثة، فلقد حظى باهتمام عدد من طلاب العلم فطبع عدة طبعات في فترات مختلفة، وجميع طبعات الكتاب كانت باسم «كتاب العزلة» ومما وقفت عليه منها:

١ - طُبع أولاً بالقاهرة سنة ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م بإدارة الطباعة المنيرية مع بعض التعليقات اليسيرة. إلا أنه يلاحظ أنها طبعة سقيمة، وبها عدد من الأخطاء المطبعية.

٢ - ثم طُبع في القاهرة أيضاً بتصحيح وتعليق برهان الدين محمد الداغستاني، وتولى نشره الأستاذ/ عزت العطار سنة ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م، وهي طبعة جيدة قليلة الأخطاء وزادتها تعليقات المفردات الغريبة، وعزا بعض الأقوال، وخرّج بعض الأبيات الشعرية، وعلق على عدد من النصوص بإيجاز.

٣ - ثم طُبع في القاهرة بالمطبعة السلفية سنة ١٣٨٥هـ، حيث نشره قصى محب الدين الخطيب.

٤ - ثم طبع الكتاب بدار الكتب العلمية في بيروت عام ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، وقد كتب على غلافه حقه وخرج أحاديثه

- (١) وبعد النظر والتأمل الدقيق في الكتاب وجدت أن ما كتب على الغلاف يخالف ما بداخل الكتاب. حيث يلاحظ على هذه الطبعة أن محقق الكتاب لم يذكر ما اعتمد عليه من نسخ مخطوطة، كما أنه أغفل كثيراً من الأحاديث والآثار دون تخريج أو تعليق، انظر مثلاً الأحاديث والأخبار رقم ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٨، ١٩ ومن ٢١ إلى ٤٥ و ٤٨ و ٤٩ و ٥٠ إلى ٥٥ وهكذا.
- ويضاف إلى ذلك النزول في التخريج فيعزو المحقق الحديث لمؤلفات متأخرة، أو ليست مصادر أصلية بينما الحديث موجود في مصادر أصلية متقدمة - انظر مثلاً الأحاديث رقم ٣ و ٤ و ١١.
- كذلك يستعمل المحقق كلمة «أخرجه» فيما عزی لمؤلفات غير أصلية فيقول في تخريج الحديث رقم (١١): أخرجه السيوطي في جمع الجوامع، والحديث رقم (٥٢): أخرجه العراقي في تخريج الإحياء، والحديث (٨٦): أخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد».
- ومن المعلوم أن كلمة أخرجه الأصل في استعمالها أنها لما رواه المؤلف أو المخرج بسنده في كتاب أصلي. أما المصادر الفرعية فيعبر عنها بذكره أو أورده الإمام فلان وعزاه إلى كذا وكذا.
- وأيضاً لم يخرج الأبيات الشعرية، ولا أقوال الحكماء أو أمثال البلغاء، ولا أخبار السلف على الإطلاق.
- ومما يلاحظ أيضاً خلو الكتاب من الفهارس سوى فهرس الأحاديث النبوية، وأبواب الكتاب. بينما الكتاب يحتاج لفهارس أخرى خاصة فهرس الآيات القرآنية، والأعلام، والأبيات الشعرية ونحوها. بل إن المحقق قد فاته عدد من الأحاديث، أو أجزاء منها في فهرس أطراف الأحاديث عنده ويتضح ذلك بالمقارنة مع فهرس الأحاديث الواردة =

٥ - ثم طُبِعَ الكتاب مؤخراً في سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م في دار ابن كثير للطباعة والنشر بدمشق وبيروت بتحقيق وتعليق الشيخ/ ياسين محمد السّوَّاس - جزاه الله خيراً - وأجاد المحقق في خدمة الكتاب، وأحسَّنَ العنايةَ به. فأخرجه للقراء في طبعة قشبية مليئة بالفوائد القيمة.. وبدأ الكتاب بمقدمة وضح فيها سبب إختياره لتحقيق الكتاب.

ثم قام بعدها فترجم للمؤلف ترجمةً وافيةً وتحدث عن بعض مؤلفاته بإيجاز، وأفاض في الحديث، عن كتاب العزلة وسماته ونسخه المخطوطة، والمعتمد منها.

ثم بدأ في التحقيق مراعيًا تصحيح النصوص، ومخرجًا الآيات والأحاديث، والأخبار، والأشعار، مع التعريف ببعض الأعلام بإيجاز، وشرح بعض المفردات الغريبة، والتعليق على بعض المسائل، وختم الكتاب بفهارس فنية متعددة زادت من قيمته، ويسرت الإنتفاع منه، وهذه الفهارس تشمل الآيات، والأحاديث والأشعار، والأعلام، والقبائل، والأماكن، والموضوعات.. وفاته عدم جعل فهرس للمراجع التي استفاد منها.

= في كتاب العزلة بتحقيق الشيخ ياسين السّوَّاس. وختام ملاحظاتي على الكتاب هو كثرة الأخطاء المطبعية فيه فيجب التنبيه لذلك وأطلت الكلام على هذه الطبعة لأنني رأيتها هي المتداولة بين طلاب العلم اليوم.

فجزاه الله كل خير على خدمته الجليلة لهذا السَّفَر العلمي،
وأكثر الله من خدمة العلم الشرعي عامة، والسنة النبوية
خاصة^(١).



(١) هناك بعض ملاحظات على عمله المشكور تتمثل فيما يلي:

١ - عدم تخريج الأقوال المأثورة عن السلف ولا أخبارهم إلا نادراً -
والاكتفاء بالترجمة لصاحب القصة أو الخبر بإيجاز.

٢ - أنه يكتفي غالباً بتخریجات الإمام العراقي لأحاديث «الإحياء»
فينقل كلامه وعزوه لمن أخرجه، ولا يذكر المحقق أسماء الكتب أو
الأبواب وأرقام الصفحات التي رُوي فيها الحديث في المؤلفات التي
عزّا إليها العراقي وغالبها مطبوع متداول كالأمهات الست وغيرها.

انظر - ص ٥٥ و ٦٤ و ٦٧ و ٧٨ و ٩٢ و ٩٣ و ...

٣ - في الفهارس لم يذكر فهرساً للمراجع التي رجع إليها، وكان
بودي لو جعل للكتاب فهرساً للموضوعات بالتفصيل يبين ما اشتمل
عليه الكتاب من مباحث مختلفة ولو اختلف ترتيب الصفحات ..
ولكن المحقق اكتفى بوضع فهرس للموضوعات بحسب ترتيب
المؤلف فقط.

٤ - كنت أود لو قام بترقيم أحاديث الكتاب لتسهيل مراجعته عند
التخريج والعزو إليه. والله من وراء القصد.

٣ - غريب الحديث

اسمه وتوثيق نسبه:

ذكر هذا الكتاب عدد كثير ممن ترجموا للإمام الخطابي، أو استفادوا من الكتاب فذكروه في مؤلفاتهم.

وذكره عدد من المؤلفين في مصطلح الحديث^(١)، وكلهم سموه «غريب الحديث».

وبهذه التسمية سماه المؤلف أيضاً في مؤلفاته الأخرى^(٢)، وعزا له بهذا الاسم.

المراد بغريب الحديث عند الخطابي:

عَرَّفَ الخطابي الغريب في مقدمة كتابه فقال^(٣):

(١) انظر مثلاً مقدمة ابن الصلاح - ص ١٣٧ والمنهل الروي - ص ٦٢ واختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث - ص ١٦٢ وشرح التبصرة والتذكرة ٢ : ٢٧٨ وفتح المغيث ٣ : ٤٨ .

(٢) انظر مثلاً معالم السنن ١ : ١٩٥ و ٢٥٨ و ٢ : ٣٣٨ و ٤ : ١٣١ ، وأعلام الحديث ٢ : ١٢٥٦ ، وشأن الدعاء - ص ١٧٨ .

(٣) غريب الحديث ١ : ٧٠ و ٧١ .

«الغريب في الكلام إنما هو الغامض البعيد من الفهم، كالغريب من الناس إنما هو البعيد عن الوطن، المنقطع عن الأهل، ومنه قولك للرجل إذا نحيته وأقصيته، اغرب عني أي: ابعد، ومن هذا قولهم: نوى غربةً، أي بعيدة.

ثم قال: إنَّ الغريب من الكلام يقال به على وجهين:

أحدهما: أن يراد به بعيد المعنى غامضه، لا يتناوله الفهم، إلا عن بعد ومعاناة فكر.

والوجه الآخر: أن يراد به كلام من بُعدت به الدار، ونأى به المحل من شواذ قبائل العرب. أهـ

قلت: الوجه الأول الذي ذكره الخطابي هو المراد بتعريف غريب الحديث في اصطلاح المحدثين حيث عرفوه: بأنه ما وقع في متون الأحاديث من الألفاظ الغامضة البعيدة من الفهم لقلّة استعمالها. (١).

أما الوجه الآخر فهو منصب على التعريف اللغوي للغريب - والله أعلم -

موضوع الكتاب:

١ - تفسير الكلمات والعبارات الغريبة الواردة في المتون

(١) انظر مقدمة ابن الصلاح - ص ١٣٦ وشرح التبصرة والتذكرة
٢ : ٢٧٨، وتدريب الراوي ٢ : ١٨٤، وتوضيح الأفكار ٢ : ٤١٣.

المروية عن الرسول الله ﷺ وعن أصحابه وعن التابعين .

وقد بيّن بنفسه الغريب في مقدمة الكتاب - كما سبق قريباً .

٢ - إصلاح ما تحرّف، أو تصحّف من الألفاظ من قبل بعض رواة الحديث، ويذكر ذلك في أثناء شرحه للأحاديث، كما ختم الكتاب بإصلاح غلط المحدثين، وسيأتي الكلام على هذا مفصلاً بعون الله تعالى .

مكان وزمان تأليف الكتاب :

يظهر من كلام الخطابي في مقدمة كتابه^(١) أن الكتاب ألف على مرحلتين :

المرحلة الأولى : يقول عنها الخطابي «وأما كتابنا هذا فقد كان خرج لي بعضه وأنا إذ ذاك ببخارى في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة . فطلب إليّ إخواننا بها أن أمكنهم من انتساخه وأحبوا أن يتعجلوا فائدته من غير تعريج عليّ في إتمامه، والتلوم في النظرة لأن يبلغ إناه، فأفرجت لهم عنه، ولما يأت النظر بعد على استيفاء ملاحظته، ولم يقع الاحتشاد منى لتهذيبه، فيفهم مما سبق أن ما كتبه أولاً يعتبر «مسودة» للكتاب ناقصة، حيث روى عن أبي زيد قال : «لا يبيّضُ الكتابُ حتى يسودَّ» ثم ذكر أنه حينذاك لم تكن معه كتبه التي يعتمد عليها، كما لم يكن لديه من

(١) ١ : ٥١ .

فراغ البال مما يساعده على تهذيب ما يحتاج لذلك .

أما المرحلة الثانية فهي مرحلة إتمامه كتابته النهائية فيعبر عنها بقوله: «ولما تنفس الوقت، ورزق الله التوفيق لما أحب أن يوفق منه، وتصحفت ما في تلك النسخة تبينت في أحرف منها خللا، فغيرت وأصحلت، وزدت وحذفت، ورتبت الكتاب على الوجه الذي استقرَّ الآن عليه^(١) .

والظاهر - والله أعلم - أنه فرغ من اصلاح الكتاب وتهذيبه وهو في مدينة نيسابور ويدل على ذلك قول الإمام الذهبي «أقام مدة بنيسابور يصنّف؛ فعمل غريب الحديث و...»^(٢) .

ومما ترجح لدى أن كتابه «غريب الحديث» يعتبر هو أول مؤلفاته. وأنه ألف «غريب الحديث» قبل تأليفه «معالم السنن» و«أعلام الحديث» و«شأن الدعاء» بدلالة كثرة الإحالات في هذه الكتب على «غريب الحديث» ويعبر عنها بصيغة الماضي بقوله: وقد فسّرتَه في غريب الحديث^(٣) .

السبب الباعث على تأليف الكتاب:

بيّن الخطابي في المقدمة السبب الباعث على تأليفه كتابه

(١) ١ : ٥٢ .

(٢) تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠١٩ .

(٣) انظر معالم السنن ١ : ١٩٥ و ٢٥٨، وج ٢ : ٣٣٨ وج ٤ : ١٣١ ،

أعلام الحديث ٢ : ١٢٥٦ . وشأن الدعاء - ص ١٧٨ .

«غريب الحديث» وهو أنه كان يظن أن الإمامين أبا عبيد القاسم ابن سلام - ت ٢٢٤هـ^(١) وأبا محمد بن قتيبة - ت ٢٧٦هـ^(٢) قد جمعا كافة ما يتعلق بغريب الحديث في كتابَيْهِمَا، وأنه لم يبق في هذا الباب لأحد متكلم.

ولكنه مع كثرة نظره في الحديث، وطول مجالسته لأهله، وجد ألفاظاً غريبة لا أصل لها في الكتابين السابقين فلم يذكرها. فقام بجمع تلك الألفاظ وتتبع مظانها حتى اجتمع له منها عدد كبير نسَّقه ورتَّبه في هذا الكتاب الذي صار في نحو حجم كتاب أبي عبيد أو كتاب ابن قتيبة^(٣).

(١) كتاب «غريب الحديث» لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي. طبع في حيدر آباد بالهند. بإشراف دائرة المعارف العثمانية. ما بين عام ١٣٨٤هـ إلى عام ١٣٨٧هـ في طبعة مختصرة، محذوفة المقدمة والأسانيد، مزودة بفهرس للألفاظ الغريبة بحسب الحرف الأول للمفردة، وقد صورت هذه الطبعة مراراً.

(٢) كتاب «غريب الحديث» لابن قتيبة طبع أولاً بتحقيق د/ عبد الله الجبوري ببغداد سنة ١٣٩٧هـ ويقع في ثلاثة مجلدات كبيرة واعتنى المحقق بدراسة الكتاب ومنهج مؤلفه مع جودة تحقيقه وتذييله بفهارس عديدة قيمة يسرت الانتفاع به. ثم طبع في تونس سنة ١٣٩٩هـ - بتحقيق د/ رضا السويسي، واعتنى بالدراسة الألسنية للكتاب. ثم طبع في بيروت عام ١٤٠٨هـ بعناية نعيم زرزور في مجلدين مذيّلين ببعض الفهارس.

(٣) ١ : ٤٨ .

وهناك باعث هام على التأليف في الغريب أشار إليه الخطابي في مقدمة كتابه قبل ذكر الباعث الخاص الذي أسلفته فقال «ثم إنَّ الحديث لما ذهب أعلامه بانقراض القرون الثلاثة واستأخر به الزمان، فتناقلته أيدي العجم، وكثرة الرواة، وقلَّ منهم الوعاة، وفشا اللحن، ومرت عليه الألسن اللكن، رأى أولوا البصائر والعقول، والذابون عن حريم الرسول الله ﷺ أنَّ من الوثيقة في أمور الدين، والنصحية لجماعة المسلمين، أن يعنوا بجمع الغريب من ألفاظه وتفسير المشكل من معانيه... وأن يدونوه في كتب تبقى على الأبد، وتخلد على وجه المُسند، لتكون لمن بعدهم قدوة وإماماً، ومن الضلال عصمة وأماناً»^(١) أهـ.

فلا يبعد أن يكون هذا الباعث العام للتأليف في الغريب مما حفزه على ذلك، بدليل أنه أشار بعد ذلك إلى تأسيه بأبرز من سبقوه إلى التأليف في الغريب^(٢).

وهناك باعث ثالث وهو تصويب ما وقع من بعض الرواة من تصحيف بعض الفاظ الأحاديث، وقد أشار إليه بقوله^(٣):

«وختمت الكتاب بإصلاح ألفاظ من مشاهير الحديث، يرويه عوام النقلة ملحنة محرفة عن جهة قصدتها، رأيت داعية الحاجة

(١) ١ : ٤٧ .

(٢) ١ : ٤٨ .

(٣) ١ : ٤٩ .

منهم إلى ذكرها شديدة، والفائدة في تقويمها لهم عظيمة.
شرط المؤلف في كتابه:

أشار المؤلف إلى شرطه في الكتاب من حيث ذكر الأحاديث والآثار ما يفسر منها.. فقال: «ولم أعرض لشيء فسر في كتابيهما أي أبي عبيد وابن قتيبة إلا أن يتصل حرف منه بكلام، فيذكر في ضمنه، أو يقع شيء منه في استشهاد أو نحوه، وإلا أحاديث وجدت في تفسيرها لمتقدمي السلف أو لمن بعدهم من أهل الاعتبار والنظر أقاويل تخالف بعض مذاهبهما، وتعذر عن سن اختيارهما، اقتضى حق هذا الكتاب، وشرط ما هو ضامنه من استيفاء هذا الباب أن يكون مشتملاً عليها ومحيطاً بها.

ويكفي من العذر فيما أورده أن الغرض فيه أن يظهر الحق، وأن يبين الصواب دون أن يكون القصد به الاعتراض على ماضٍ أو الاعتداد على باق، ولعل ما نأثره منهما لو بلغ أبا عبيد وصاحبه لقالا به وانتهيا إليه وذلك الظن بهما^(١). أهـ.

(١) ١ : ٤٩ ويستفاد منه حسن أدب الإمام الخطابي مع من تقدموه من العلماء وعدم تعقبه لهم بالفاظ جارحة، أو الحط من قدرهم - رحمهم الله. فما أجدر طلاب العلم اليوم في الاقتداء بأداب العلماء - رحمهم الله - والاستفادة من أساليبهم التربوية.

طريقته في ترتيب الكتاب :

هناك ترتيب عام للمادة العلمية في الكتاب وقد أشار له

بقوله :

«وابتدأت أولاً بتفسير حديث رسول الله ﷺ ثم ثنيت بأحاديث الصحابة، وأردفتها أحاديث التابعين، والحققت بها مقطعات من الحديث لم أجد لها في الرواية سنداً؛ إلا أنها قد أخذت عن المقانع من أهل العلم، والأثبات من أصحاب اللغة. وختمت الكتاب بإصلاح ألفاظ من مشاهير الحديث يرويها عوام النقلة ملحونة، ومحرفة عن جهة قصدها، رأيت داعية الحاجة منهم إلى ذكرها شديدة، والفائدة في تقويهما لهم عظيمة^(١)».

وقد أشار الخطابي في هذا الترتيب إلى تأسيه بطريقة أبي عبيد وابن قتيبة فقال: «ونحوت نحوهما في الوضع والترتيب». وبعد ذكره للأحاديث المرفوعة ذكر بعدها مقطعات من الحديث بلا طرق^(٢) فيذكر متن الحديث دون سند ويكتفى بقوله: «جاء في الحديث» ثم يذكره ويفسر غريبه.

(١) ١ : ٤٨ .

(٢) ١ : ٧١٦ إلى ٧٢٣ .

وذكر مثل ذلك بعد نهاية الآثار المروية عن التابعين وذلك في آخر الكتاب^(١).

وختَم الكتاب بذكره لألفاظ من الأحاديث يرويها العامة ملحونةً فأصلحها وبيّن صوابها. وسيأتي الكلام على هذا عند تناول كتابه «إصلاح غلط المحدثين».

طريقته في إيراد مواد الكتاب:

لم يُرتب الخطابي كتابه على الأبواب، ولا على المفردات، ولكن جرى في إيراده التفصيلي لكل قسم على النحو التالي:

١ - أنه ليس له نسق معين في ترتيب الأحاديث بل الجامع العام كونها أحاديث مرفوعة، وتشتمل متونها على ألفاظ أو عبارات غريبة. وشملت الجزء الأول من الكتاب.

٢ - في مسانيد الصحابة قدّم أحاديث العشرة المبشرين بالجنة، ثم السابقين إلى الإسلام من المهاجرين أو الأنصار دون ترتيب لهم على الحروف أو السنوات، ثم لما فرغ من ذكر الصحابة ذكر ما روى عن الصحابييات، فبدأ بعائشة ثم حفصة ثم أم سلمة ثم أسماء بنت أبي بكر الصديق، وبذلك انتهى الجزء الثاني، أما الجزء الثالث فهو لأحاديث التابعين وذكرهم دون ترتيب كما سبق.

(١) ٣ : ١٩٣ إلى ٢١٨.

٣ - عند انتقاله من حديث لآخر أو لأثر - أو من لفظة غريبة أو عبارة إلى أخرى فإنه لا يخضع لترتيب معين. . أو نسق متفق.

وهذه الطريقة برغم صعوبتها، وعسر المراجعة فيها عند البحث عن مفردة غريبة. . إلا أنها هي المتبعة قديماً في زمن الخطابي، ما قبله - حيث المؤلفات في غريب الحديث في القرن الثاني والثالث والرابع لا تعرف الترتيب اللغوي للمفردات، بحسب أولها أو آخرها. . . وكان التركيز منصبا على الأحاديث وأسانيدها، فعمدوا إلى ترتيبها بحسب المسانيد لتسهيل مراجعة الحديث عندهم وتفسير غريبه، حيث الغالب عليهم حفظ الأحاديث فيصلون إلى الحديث سريعاً بمعرفة اسم راويه من الصحابة أو التابعين.

ولما جاء زمن أبي عبيد أحمد بن محمد الهروي - ت ٤٠١هـ ألف كتابه «غريب القرآن والحديث» أو كما يسمى بـ «الغريبين»^(١) فجعله مُرتباً بحسب حروف المعجم فبدأ بالهمزة ثم الباء ثم التاء وهكذا. . وجعل لكل حرف باباً، فيذكر فيه ما كان مبدأً من المفردات بذلك الحرف ويفسرهما، مع اقتصاره على المتون. وحذف ناشر الكتاب الأسانيد، لأن الغرض والمقصد

(١) طبع الجزء الأول في القاهرة سنة ١٣٩٠هـ بتحقيق الدكتور/ محمود الطناحي. ثم طبع كاملاً في الهند في ستة أجزاء.

من كتابه معرفة الكلمة الغريبة لُغَةً وإِعْرَاباً ومعنى، لا معرفة متون الأحاديث والآثار وطرق أسانيدِها وأسماء رواتها.. فإن ذلك علم مستقل بنفسه مشهور بين أهله.

وتتابع التأليف في غريب الحديث بالعناية بترتيب المفردات بحسب الحرف الأول منها.

وأشهر ما ألف في ذلك «الفائق في غريب الحديث»^(١) لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري - ت ٥٣٨هـ - و«المجموع المغيـث في غريب القرآن والحديث»^(٢) لأبي موسى محمد بن أبي بكر المدني الأصفهاني ت ٥٨٢هـ، و«غريب الحديث»^(٣) لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي - ت ٥٩٧هـ.

و«النهاية في غريب الحديث»^(٤) لأبي السعادات مجد الدين المبارك ابن محمد الجزري المعروف بابن الأثير - ت ٦٠٦هـ^(٥).

-
- (١) طبع بتحقيق علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم. وصور مراراً.
 - (٢) طبع بجامعة أم القرى في مكة المكرمة بين عامي ١٤٠٦هـ و١٤٠٨هـ بتحقيق الأستاذ/ عبد الكريم العزباوي.
 - (٣) طبع في بيروت سنة ١٤٠٥هـ بتعليق الدكتور/ عبدالمعطي أمين قلعجي.
 - (٤) طبع بتحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي. وصور مراراً.
 - (٥) للاستزادة عما سبق انظر مقدمة النهاية في غريب الحديث، والمعجم العربي لحسين نصار ١ : ٥٠ إلى ٦٥.

طريقته في شرح الألفاظ والعبارات الغريبة:

جرت طريقة الإمام الخطابي - رحمه الله - عند شرحه للمفردات أو العبارات أن يبدأ أولاً بذكر المتن - دون التزام طريقة معينة في ترتيب المتون المروية عن الرسول، والترتيب على المسانيد فيما روى عن الصحابة والتابعين - فإذا ذكر المتن أتبعه بالسند الذي رُوي به ذلك المتن - إلا في مواضع يسيرة لم يذكر أسانيد فيها.

ثم يشرح بعد ذلك ما في المتن من مفردات أو عبارات غريبة - دون التزام طريقة في ترتيب المفردات - وقد بلغت تلك المواد اللغوية ٢٢١٢ مادة لغوية. والكتاب في مجمله تظهر فيه الصبغة اللغوية والأدبية كثيراً . . بينما تقل الصبغة الحديثية فيه. وجرى غالباً عند شرحه للمفردات والعبارات الغريبة على سلك النقاط الآتية:

١ - يذكر رأيه في معنى المفردات أو العبارة أولاً؛ فيبين معناها في أصل الإطلاق اللغوي، وشرح المراد بها في الحديث، ثم يستشهد بأقوال أئمة اللغة بعد ذلك.

٢ - اعتاد - غالباً - الاستدلال على تفسير المفردات بآيات

قرآنية^(١) أحياناً بعض الأحاديث النبوية^(٢) الدالة على ذلك المعنى والأمثلة على ذلك كثيرة في كتابه .

٣ - التزم - تقريباً - بأن يذكر بيتاً من الشعر أو أكثر عند بيانه لكل مفردة فيها عدة أبيات شعرية . ولكثرتها جعل لها محقق الكتاب فهرساً خاصاً^(٣) .

٤ - ويذكر أحياناً بعض أمثال العرب الدالة على ذلك المعنى . . ولكثرتها قام محقق الكتاب بوضع فهرس خاص للأمثال^(٤) .

٥ - اعتنى - رحمه الله - بالتأصيل اللغوي، وبيان الوزن الصرفي للمفردة، وما تعرضت له من قلب وإبدال ونحو ذلك . . ويتبع ذلك أحياناً بالاهتمام بالمسائل النحوية إعراب بعض المفردات والجمل . . وتخريج بعض الإعرابات وحملها على

(١) انظر ج ١ : ٨٠ و ٨٤ و ٨٧ و ٢٢٣ و ٢٣٨ و ٢٤٢ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٣٩٢ و ٣٩٤ و ٣٦٢ و ٣٧٨ و ٤٤٥ و ٤٧٢ و ٧٠٣ .

وج ٢ : ٢١٠ و ٣٣٢ و ٣٦٥ و ٣٩٩ و ٤٢٤ و ٤٢٨ .

وج ٣ : ٦٤ و ١٢٧ و ١٥٢ و ١٩٦ و ١٩٨ و ٢٠٦ و ٢١٣ .

(٢) انظر ج ١ : ٨٥ و ٨٩ و ١٤٣ و ١٩٩ و ٢٠٤ و ٢١١ و ٢١٩ .

٢٨٩ و ٢٩٩ و ٣١٢ و ٣٢٢ و ٣٢٨ و ٣٣٠ و ٣٣٦ و ٣٦٨ و ٣٧٢ و ٣٧٧ .

٣٨١ و ٣٩٧ و ٤٤٢ و ٤٨٠ و ٤٨٦ و ٥٠١ و ٥٩٥ و ٦٠٦ و ٦٧٦ و ٧٠٢ .

و ٧٠٤ ، وج ٢ : ١٥ و ٥٢ و ٥٩ و ٣٦١ و ٤٢٠ و ٣١ و ٥٧١ و ٥٨٩ .

(٣) فهرس الشعر والرجز - ج ٣ : ٥٣٥ إلى ٦١٤ .

(٤) فهرس الأمثال ٣ : ٦٣٢ إلى ٦٣٧ .

بعض الوجوه المناسبة ولكثرة هذه أيضاً قام المحقق بوضع فهرس للغة^(١) وفهرس النحو والصرف في الكتاب^(٢).

٦ - واهتم المؤلف أيضاً - بفقهاء اللغة فيذكر ما ورد عن العرب في تسمية ذلك الشيء على اختلاف مراحل وأحواله أو ما ترادفت أسماؤه، ونحو ذلك.

وأمثلة ذلك في الكتاب كثيرة^(٣).

٧ - يستعمل الإحالات أحياناً بقوله «وقد فسرنا هذا فيما تقدم من الكتاب»^(٤) أو قوله: «وقد ذكرته فيما مضى»^(٥)

٨ - اعتنى - رحمه الله - ببيان الوهم، ومخالفة الصواب، فيما ذكره عن أئمة اللغة في ضبط أو لفظ بعض المفردات، أو معناها فيبين بقوله: وهذا غلط^(٦)، أو هذا خطأ^(٧)، أو هذا

(١) فهرس اللغة ٣/٦١٥ إلى ٦٢٠.

(٢) فهرس النحو والصرف ٣/٦٢١ إلى ٦٢٥.

(٣) انظر مثلاً ج ١: ٣٤٠ و ٤١١ و ٤٨٥ و ٥٠٨ و ٥١٠ و ٥٢٦ و ٥٣٢ و ٦٤٩.

وج ٢: ٢١٥ و ٢٣١ و ٢٣٧ و ٢٤٠.

(٤) ٤٩٧/١ و ٧٠٦ و ٧٢١.

وج ٢: ١٤١ و ١٦١ و ٢٤٢ و ٢٤٣ و ٥٨٨.

(٥) ٢٠٣/٣.

(٦) ١: ٣٠٨ و ٦٥٢ و ٧: ٢ و ٢٦٠ و ج ٣: ٦٥.

(٧) ١: ٣٢٥.

لا يستقيم^(١)، وهذا فاسد^(٢)، أو هذا التفسير ليس على التحقيق^(٣).

وَيُبَيَّن بعد ذلك الصواب بقوله والصواب كذا^(٤).. أو تحقيقه كذا^(٥)، واللغة الجيدة كذا^(٦)...و... وأمثلة ذلك كثيرة جداً في الكتاب^(٧)، وقد ختم الكتاب ببيان ما يروى عن المحدثين من أغلاط في لفظ بعض الأحاديث^(٨).

٩ - ظهرت في الكتاب جلياً صفة الورع، وعدم القول بلا علم لدى الإمام الخطابي فنجده كثيراً ما يتوقف في تفسير بعض المفردات بقوله: لست أعرف حقيقته؟^(٩) أو لا أدري ما هو^(١٠)؟ أو لا أدري ما صحته^(١١)؟ أو لم أسمع به^(١٢)، إلى

-
- (١) ١ : ٤٩٦ .
(٢) ١ : ٣٢٧ .
(٣) ١ : ٢٩٥ و ٣٥٣ .
(٤) ١ : ٨٥ و ١٦٣ و ٢٩٧ و ٤٦٤ و ٥١٧ و ٥٨٦ و ٥٨٦ و ٥٨٦ : ٣ : ٦ .
(٥) ١ : ٣٩٢ .
(٦) ١ : ٤٨٥ .
(٧) انظر مثلاً ج ١ : ٧٧ و ٨٧ و ١٧٢ و ٤٦٧ و ٤٩٦ و ٥٠٦ و ٥٤٨ و ٥٩٢ و ٦٠٢ و ٦٠٥ و ٦١٨ و ٦٩٩ .
(٨) انظر ج ٣ : ٢١٩ إلى ٢٦٥ .
(٩) ٢ : ٥٤ و ١ : ٧٣٢ .
(١٠) ٢ : ٩٩ .
(١١) ٢ : ٢١٣ .
(١٢) ١ : ٥٠٨ و ٥٤١ و ٢ : ٤٨٩ .

غير ذلك في مواضع كثيرة^(١)، ويتحرى الدقة في قوله ومن ذلك قوله في تفسير كلمة «القنع»:

«قد أكثر السؤال عن هذا الحرف، والنشدة له فلم أجد فيه إلا دون ما يُقنع^(٢) و. الخ، بل وبلغت عنايته بالمعاني أنه راسل بعض العلماء، ويدل على ذلك قوله في تفسير «البرَهْرَهَّةُ» فقد أكثر السؤال عنها، فلم أجد فيها قولاً يليق بمعنى الحديث يقطع بصحته... وكتبت فيها للأزهري فكان جوابه أنه تصحيف من بعض النقلة^(٣).. الخ.

فقه الحديث، وما يتعلق به:

الخطابي إمام جامع «بين الرواية والدراية، فاستطاع - رحمه الله - أن يستفيد من الحديث في الاستدلال به على المسائل الفقهية، وكذلك استنباط الأحكام والآداب الشرعية منه.

ويتضح هذا جلياً في كتابه «غريب الحديث» مع أن موضوعه الأصلي شرح الغريب وتوضيحه تجده كثيراً ما يُعرج على بيان

(١) انظر مثلاً ١: ٢١٠ و ٢٩٥ و ٣٥٢ و ٣٨٦ و ٥٣٩ و ٦٤٩ و ٦٦٧ و ٦٧٥ و ٦٨٩ و ٧٧٢. ٢: ٣٢٢ و ٣٨٩ و ٥٤٤ و ٥٨٨.

٣: ٤٦ و ٦٥ و ١٩٩ و ٢٠٨ و ٢١٣.

(٢) اختار ابن الجوزي أن المراد بالقنع: الشُّبُورُ، وهو البوق.

غريب الحديث ٢: ٢٦٧.

(٣) انظر ١: ٦٧٥ وفسرها بأنها: سَكِينَةٌ بِيضَاءٍ صَافِيَةِ الْحَدِيدَةِ ١:

٦٧٦.

جوانب من الأحكام الفقهية، والآداب الشرعية التي يدل عليها الحديث في نظره لكنه لم يلتزم هذا في كل أحاديث الكتاب ولكن في كثير منها حتى بلغ ذلك كماً ظاهراً جعل المحقق يخصص له فهرساً سماه «فهرس الفقه»^(١).

ويذكر الخطابي أحياناً بعض الخلافات الفقهية، ويسمى أصحاب كل قول، ويورد بعض أدلتهم، وقد يُرجح بينها - أحياناً - أو يوفق بينها وشملت أقواله الفقهية العديد من إستنباطاته الفقهية، وآرائه وترجيحاته، وتعليله للأحاديث، وجمعه بين المتعارض، وبيانه للمشكل.

إحصائيات لمتون الكتاب، ومواده الغريبة:

لم يتم محقق كتاب «غريب الحديث» للخطابي، بترقيم أحاديث وآثار الكتاب، ولا إحصاء عدد مواد اللغوية.

فرايت القيام بذلك ليقف القارئ على ضخامة العمل الجليل الذي قام به الإمام الخطابي، وأنَّ ما ذكره الإمام ابن قتيبة - رحمه الله تعالى - في مقدمة كتابه «غريب الحديث»^(٢) «من أنه

(١) رتب المفهرس «فهرس الفقه» بحسب ورود المسائل في الكتاب وكنت أود لو رتبها بحسب الأبواب الفقهية لتجتمع أقوال الخطابي في الباب الواحد، وليصل الباحث إلى طلبته دون عناء، انظر: فهرس الفقه في آخر الكتاب ٣ : ٦٢٦ إلى ٦٣١.

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة ١ : ١٠٩ ط. السويسي و١ : ١٥٢ ط - د: الجبوري.

لم يبق بعدما في كتابه، وكتاب أبي عبيد بن سلام الهروي من غريب الحديث ما يكون فيه لأحد مقالاً»، إنما قاله بحسب مبلغ علمه، بنظره لما كان في عصره مما يعد غريباً.

أقول: بلغ عدد الأحاديث والآثار التي شرح الخطابي غريبها ثلاثين ومائتين وألف حديث وأثر «١٢٣٠» منها تسعة وتسعون وأربعمائة حديث مرفوع في المجلد الأول «٤٩٩» ومنها ثلاثة وخمسون وأربعمائة حديث موقوف على الصحابة في المجلد الثاني «٤٥٣» ومنها تسعون ومائة أثر مقطوع على التابعين في المجلد الثالث «١٩٠» ومنها ثمانية وثمانون حديثاً يُسميها المؤلف بالمقطّعات - أي التي ذكرها بلا إسناد. منها في المجلد الأول عشرون حديثاً. وفي المجلد الثالث ثمانية وستون حديثاً وبلغ عدد المواد اللغوية التي شرحها المؤلف في كتابه بحسب ما ذكره المحقق في فهرس الألفاظ اللغوية اثنتي عشرة ومائتين وألفي مادة غريبة «٢٢١٢».

مميزات الكتاب:

بعد قراءتي للكتاب كاملاً تبين لي أنه يمتاز بمزايا كثيرة من أهمها مايلي:

١ - كتاب «غريب الحديث» للخطابي يشكّل مع كتابي «غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام، وابن قتيبة» بناءً هاماً، وصرحاً شامخاً في علم غريب الحديث، فتعتبر هذه المؤلفات الثلاثة هي الأمهات في هذا الفن، ويغلب على الظن

أنه لم يفتهم من غريب الحديث إلا النزر اليسير، وكل من ألف في غريب الحديث بعدهم فهو عالة عليهم.

٢ - أنه يعتبر مصدراً أصلياً في تخريج الأحاديث وذلك فيما رواه المؤلف من الأحاديث والآثار بسنده وقد بلغت ١١٤٢ ويمكن التخرّيج من هذا الكتاب بواسطة طريقتين:

١ - التخرّيج بحسب اللفظة الغريبة.

٢ - التخرّيج بحسب معرفة اسم راوى الحديث ومراجعته في مظنته من مسانيد الكتاب.

٣ - امتاز هذا لكتاب بطول نفس الإمام الخطابي في الشرح التفسير، حيث توسّع كثيراً في عدد كثير من المواضع فتجده غالباً عند تفسيره للمفردة الغريبة يبيّن معناها، ويستدل عليه بما ورد في القرآن، أو السنة، أو الشعر، أو أخبار العرب، ويذكر ما يتعلق بالحديث، أو الأثر من مباحث فقهية، أو أصولية، أو نحوية، أو صرفية أو لغوية أو أدبية.

٤ - يُعْتَبَرُ الكِتَابُ مَجْمَعاً هَاماً لأقوال أئمة اللغة، وفُصْحَاء العرب.

٥ - يعتبر الكتاب مجمعا هاما للأبيات الشعرية حيث أكثر الخطابي من ذكرها عند كل مفردة تقريباً.

٦ - أنه مرجع هام في معرفة أسماء شيوخ الإمام الخطابي ومن فوقهم - حيث يذكر أسماءهم صريحة، كاملة ولو مرة واحدة في مؤلفاته الأخرى ومعرفة المهملين من شيوخه أو

المجهولين منهم عند الترجمة لهم .

٧ - حوى الكتاب عدداً كبيراً من الآثار المروية عن الصحابة، أو التابعين وأتباعهم، فيعتبر مصدراً هاماً في مراجعة تلك الآثار والاستدلال بها .

٨ - عنايته بإصلاح غلط المحدثين، وتبيينه للنطق الصحيح للحديث وضبطه .

٩ - يعتبر الكتاب بحق معلمة هامة في ذكره وتضمنه لمختلف أنواع العلوم والفنون . فلقد اشتمل الكتاب على كل من الفنون الآتية: التفسير، والعقيدة، والفنن، وأحاديث الأحكام والآداب وشرح غريبهما، والفقه وأصوله، وعلم الفرائض، والمغازي والشمال والشمال والتاريخ، وفقه اللغة، والنحو والصرف، والشعر والأدب، وبلدان وأنساب العرب، والمواعظ والتوجيهات التربوية، والمعلومات والمعارف العامة، وأفضل ما أجملت فأقول:

أما التفسير فلقد اشتمل الكتاب على عدد كبير من الآيات القرآنية التي ذكرها المؤلف إما استدلالاً على معنى مفردة^(١) أو لبيان تفسير تلك الآيات فيما رواه عن الصحابة أو التابعين ولقد

(١) تقدمت الاحالة على المواضع التي استدل فيها بآيات قرآنية في طريقته في شرح الألفاظ والعبارات الغريبة .

اشتمل مسند ابن عباس - رضي الله عنهما -^(١) ومسند أبي بن كعب^(٢)، ومسند مُجاهد بن جبير^(٣) على عدد كثير من المرويات عنهم في تفسير بعض الآيات القرآنية.

وأما مسائل العقيدة، فلقد ذكر عدداً من المسائل العقدية في الكتاب منها ما يتعلق بالإيمان^(٤) والتوكل^(٥)، والاستغاثة^(٦)، والولاء، والبراء^(٧)، والبعث^(٨)، والذبح لغير الله^(٩)، وتوحيد الأسماء والصفات^(١٠)، والعرش^(١١)، والكلام عن الخوارج^(١٢).

وأما الفتن فلقد ذكر المؤلف بعض ما يتعلق بأشراط الساعة، وأكثر من ذكر الدجال في عدة مواضع^(١٣) وما حدث بين

(١) انظر ج ٢ : ٤٤٦ إلى ٤٨١ .

(٢) ٢ : ٣١٨ إلى ٣٢١ .

(٣) ٣ : ٦٧ إلى ٧٥ .

(٤) ١ : ٦٤٦ و ٣ : ١٠١ .

(٥) ١ : ٧٠٠ .

(٦) ٢ : ٢٤٢ .

(٧) ١ : ١٢٣ و ٣٢٣ .

(٨) ١ : ٣٧٠ .

(٩) ١ : ٣٧٠ .

(١٠) ١ : ٧٠٧ و ٧٠٧ و ٣ : ١٩٨ .

(١١) ٢ : ٤٩٥ .

(١٢) ١ : ٣٦٢ .

(١٣) انظر فهرس الأعلام - الدجال - ج ٣ : ٧٠١ .

الصحابة، والتنازع على الملك والخلافة^(١)، ونحو ذلك وأخبار المهدي^(٢).

وأما أحاديث الأحكام والآداب فهي التي حظيت بنصيب الأسد من الكتاب... ولكثرتها فهي أشهر من أن يُشار إلى مواضعها.

أما الفقه، وأصوله، والفرائض فلقد تقدم الكلام عليها في فقه الحديث في الكتاب.

وأما المغازي فلقد اهتم الخطابي بأحاديثها كثيراً، فشرح عدداً كبيراً من الأحاديث الواردة في مختلف غزوات الرسول ﷺ، وسراياه وبعض أحداث السيرة النبوية ومن ذلك مثلاً: خبر هجرة الحبشة^(٣) وخبر هجرة المدينة^(٤) وغزوة بدر الكبرى^(٥) وغزوة بني سليم^(٦) وغزوة أحد^(٧) و يوم الرّجيع^(٨)،

(١) ١ : ٥٥٥ .

(٢) ٢ : ١٩١ .

(٣) ١ : ٢٧٤ .

(٤) ١ : ١٨٠ و ٤٢١ و ٤٢٣ و ٤٢٦ و ٥٥٦ .

(٥) ١ : ٧٠ و ١٩٨ و ٣٩٤ و ٣٩٦ و ٣٩٩ و ٥٠٧ و ٥٥٤ و ٦٦٨ و ٦٧٨ .

(٦) ١ : ١٣٦ .

(٧) ١ : ١١٢ و ١٦٦ و ٢٢٦ و ٣١٦ .

(٨) ١ : ١٠٨ و ٥٠٥ .

وفتح خير^(١)، وصلح الحُدَيْبِيَّة^(٢)، وغزوة مؤتة^(٣) وغزوة حُنَيْن^(٤)، وتَبُوك^(٥). وذكر أيضاً الخلاف في أول من أسلم من الصحابة ورجح بعدم القول بالأولوية مطلقاً، بل إن أول من أسلم من الرجال البالغين أبو بكر، ومن الأحداث علي بن أبي طالب، ومن النساء خديجة^(٦) - رضي الله عنهم أجمعين - وأكثر ما ذكره في المغازي نقله من طريق أو كتاب الإمام محمد بن إسحاق أحياناً من طريق الزهري أو الواقدي.

وأما الشمائل فلقد اهتم المؤلف بالأحاديث الواردة في وصف الرسول ﷺ من الناحية الخَلْقِيَّة^(٧) والخُلُقِيَّة^(٨).

وأما التاريخ فلقد ذكر الخطابي في أثناء شرحه لبعض الأحاديث بعض أيام العرب، وأخبار الخلفاء ومن ذلك ذكره لقصص أخبار بعض الأنبياء والصالحين^(٩) وأخبار قريش في

(١) ١ : ٢٦٢ و ٣٥٩ و ٥٦٢ و ٦٠٥.

(٢) ١ : ٥٣٤ و ٥٦٤.

(٣) ١ : ٦٠١.

(٤) ١ : ١٨٤ و ٣٣٢ و ٣٧٣.

(٥) ١ : ٣٠٣.

(٦) ٢ : ٢٧٢.

(٧) ١ : ٢١٢ وما بعدها.

(٨) ١ : ٤٢٤ و ٥٣٣ و ٦٠٠ و ٦٠٢.

(٩) ١ : ٤٢٦.

الجاهلية^(١). والحديث عن خلافة أبي بكر^(٢) وبقية الخلفاء الراشدين^(٣) وبنى أمية^(٤) وبعض الولاة، وأخبار الفتوحات وغيرها. ومن أيام العرب ذكر حرب البسوس^(٥) وقصة المُتَلَمَّس وصحيفته^(٦). وخبر زهير بن جُنَاب الكلبي حينما وفد على بعض الملوك^(٧)، ويوم بُعث^(٨).

أما فقه اللغة والنحو والصرف فيراجع فهرس اللغة^(٩) و النحو الصرف^(١٠) للوقوف على ما ذكره الخطابي من تلك المسائل اللغوية والنحوية.

وأما الشعر فإن الناظر في الكتاب يَلْحَظُ الكثرة الكاثرة من الأبيات الشعرية، فلا تكاد تخل صفحة من الكتاب إلا وفيها بيت أو أكثر من الشعر أو الرجز غالباً، ولا يذكر المؤلف مفردة غريبة

(١) ١ : ٤٥٢ : ٢ : ١٤٧.

(٢) ٢ : ١٢٢.

(٣) انظر مسانيد الخلفاء الثلاثة عمر وعثمان وعلي.

(٤) ١ : ٥٥٠ وحديث عمر بن عبد العزيز ٣ : ١٤٠ إلى ٤٥.

(٥) ٢ : ٢٣ و ٢٤.

(٦) ١ : ٢٢٨.

(٧) ٢ : ٨٨.

(٨) ١ : ٦٥٥.

(٩) ٣ : ٦١٥ - ٦٢٠.

(١٠) ٣ : ٦٢١ - ٦٢٥.

إلا استدل عليها بيت من الشعر في الجملة .

وتمتاز الأبيات التي استدل بها أو يستشهد بقوة العبارة، وجزالة الألفاظ، ودلالة المعنى، ووضوح التعبير، تعدد أغراض الشعر ومقاصده .

ويغلب على أبيات الكتاب أنها لشعراء متقدمين من العصر الجاهلي والإسلامي وعصور الخلفاء الراشدين، وبني أمية . . لذا اتصفت بما سبق ذكره .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الخطابي إذا أورد بيتا من الشعر أو الرجز ذكر اسم قائله باختصار أو بما اشتهر به كقوله: قال حسان، أو جرير، أو رؤبه أو أوس بن حجر، ومن النادر أن لا يذكر اسم الشاعر .

وجرى الخطابي على اقتضاره على بيت أو شطره عند الاستدلال به على معنى مفردة . وأحيانا يذكر أكثر من بيت .

وللاستزادة يراجع فهرس الشعر والقوافي^(١) . وفهرس الرجز في آخر الكتاب^(٢) .

طباعات الكتاب وتقويمها:

أولاً - قام مركزُ البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة بطباعة الكتاب وأسند مهمة تحقيقه للأستاذ/ عبد الكريم

(١) ٣ : ٥٣٥ إلى ٥٩٦ .

(٢) ٣ : ٥٩٧ إلى ٦١٤ .

ابن إبراهيم العزباوي، وشاركه في تخريج الأحاديث الشيخ عبدالقيوم عبد رب النبي وكان طبعه في عامي ١٤٠٢هـ، ١٤٠٣هـ حيث طبع الكتاب في ثلاثة مجلدات من الحجم الكبير، وألحق به عدة فهارس، شغلت ثلاثة أرباع المجلد الثالث تقريباً، وبحق فإن طباعة هذا الكتاب ضرورية جداً؛ نظراً لأهمية مادته العلمية فهو أحد المؤلفات الهامة في غريب الحديث، بل ويعتبر من الأمهات في هذا الفن والقيام بتحقيقه يعتبر خدمة جليلاً لسفر علمي قيّم.

ويشكر الأستاذ المحقق على ما بذل من جهد في إخراج الكتاب ويتضح ذلك جليلاً فيما يلي:

١ - عنايته بنص الكتاب، وتحقيقه على عدة نسخ خطية، وضبطه بالشكل.

٢ - أجاد في تعليقه وشرحه لبعض المواضع من الكتاب.

٣ - جهده المشكور في عزو الآيات وتخريج الأحاديث والأشعار والأمثال وغيرها.

٤ - وضعه لعدد من الفهارس الفنية التي ذلت للقراء الاستفادة من الكتاب. خاصة فهرس الألفاظ الغريبة في الكتاب وترتيبها بحسب الحرف الأول، وفهرس المسائل الفقهية في الكتاب وكذا المسائل النحوية والصرفية والأعلام والشعر.

٥ - العناية بإخراج الكتاب، وطباعته وحسن إخراجته، وتنظيمه للمعلومات في كل صفحة، ووضع بعض العناوين، ووضع نجمة عند بداية كل حديث. . وغير ذلك.

٦ - المقدمة الوافية التي تناول فيها ترجمة الخطابي ومؤلفاته
ومنهجه في كتابه غريب الحديث^(١).

(١) وبطبيعة الحال فإن كل عمل بشري لا بد أن يعتره الخطأ، ويؤخذ عليه بعض الملحوظات لذا فقد لاحظت - من وجهة نظري - بعض المآخذ التي لاتغض من الجهد الفائق الذي بذله الأستاذ المحقق بارك الله فيه . . ومن هذه المآخذ مايلي:

١ - أغفل المحقق بعض النسخ الخطية للكتاب فلم يذكر أنه رجع إليها ومنها النسخة المصورة عن المكتبة الوقفية بحلب والمصور عنها نسخة بجامعة الإمام برقم ٧٦٦٨ف، ومخطوطة كاملة كتبت سنة ٤٨٨هـ في مكتبة عاشر أفندي بتركيا وقد ذكر هذه المخطوطة الزركلي وبروكلمان وسزكين.

٢ - ترك كثيراً من العبارات والألفاظ الغامضة دون شرح أو تفسير لها، خاصة في مقدمة الكتاب.

٣ - لم يهتم المحقق كثيراً بتوثيق النصوص التي نقلها الخطابي عن شيوخه أو عن علماء اللغة السابقين خاصة من كتب غريب الحديث المتقدمة، للمقارنة بينها وبين تأليف الخطابي وإثبات الفروق.

٤ - حبذا لو ترجم للأعلام الذين لم يشتهروا خاصة شيوخ الخطابي، ومن جعل لهم الخطابي مسانيد مستقلة في أحاديث التابعين كعبيد بن عمير الليثي، ومُورق العجلي، وأبي مجلز: لاحق به حميد، وعون بن عبد الله . .

٥ - حذف المحقق السماعات المكتوبة على غلاف الكتاب وذلك في أول نسخة «م» واكتفى بذكر السماع المكتوب في آخر نسخة «س».

٤ - إصلاح غلط المحدثين

اسمه وتوثيق نسبه:

ذكره ياقوت^(١)، وابن خَلْكَان^(٢)، وابن العماد الحنبلي^(٣)،
وحاجي خليفة^(٤) وكلهم سموه «إصلاح غلط المحدثين».

ذكره ياقوت^(٥) والصفدي^(٦) وسمياه «إصلاح الغلط».

وذكره الزبيدي^(٧) وسماه «إصلاح الألفاظ».

وذكره ابن خير الاشبيلي^(٨) وسمّاه «جزء» في تصحيح
المحدثين لألفاظ من الحديث.

(١) معجم الأدباء ١٠ : ٢٦٩ .

(٢) وفيات الأعيان ٢ : ٢١٤ .

(٣) شذرات الذهب ٣ : ١٢٨ .

(٤) كشف الظنون ١ : ١٠٨ .

(٥) معجم الأدباء ٤ : ٢٥٣ .

(٦) الوافي بالوفيات ٧ : ٣١٧ .

(٧) تاج العروس ١ : ٤٠٣ .

(٨) فهرسة ابن خير - ص ١٩٠ .

وذكره ابن حجر العسقلاني^(١) وسماه «غلطات المحدثين».

أما المؤلف فلم أجد له تسمية للكتاب - ترجح القول في التسميات السابقة - اللهم إلا ما ذكره في مقدمة كتابه: «غريب الحديث» فقال^(٢): «وختمت الكتاب بإصلاح ألفاظ من مشاهير الحديث ويرويها عوام النقلة ملحونة ومحرفة، عن جهة قصدها...».

وكذلك اختلفت عناوين النسخ الخطية للكتاب، فالمخطوطة الأزهرية عنوانها^(٣): «إصلاح الغلط» ونسخة رئيس الكتاب التركية عنوانها: «كتاب الألفاظ التي يرويها أكثر الناس ملحنة ومحرفة».

السبب الباعث على تأليف الكتاب:

لا شك أنَّ أهم سبب لتأليف الكتاب هو حرص الخطابي - رحمه الله - على بيان الصواب في ضبط وكتابة الأحاديث التي رُوي فيها التصحيف عن المحدثين - رحمهم الله.

ولا شك أن ذلك دالٌّ على شدة عنايته بسنة المصطفى ﷺ ولما في ذلك من عظم الفائدة للناس، وقد أشار إلى هذا في مقدمة كتابه غريب

(١) التلخيص الحبير ١ : ٦١ .

(٢) غريب الحديث للخطابي ١ : ٤٩ .

(٣) مقدمة تحقيق د/ حاتم الضامن لإصلاح غلط المحدثين للخطابي

ص ١١ و ١٢ .

الحديث فقال: ^(١) «وختمت الكتاب بإصلاح ألفاظ من مشاهير الحديث، يرويها عوام النقلة؛ ملحونة، ومحرفة عن جهة قصدتها، رأيت داعية الحاجة منهم إلى ذكرها شديدة، والفائدة في تقويمها لهم عظيمة».

موضوع الكتاب:

بيان الصواب أو الراجح - عند الإمام الخطابي - في الألفاظ التي يرويها أكثر المحدثين ^(٢) ملحونة أو محرفة، بضبطها، أو تقويم حروفها.

(١) غريب الحديث ١ : ٤٩ .

(٢) قلت: يفهم من سياق كلام أن المقصود بالمحدثين هنا من شغلوا أنفسهم بجمع الأحاديث وطرقها دون التفقه في متونها، وذكر هؤلاء الإمام الخطابي في مقدمة معالم السنن فقال: فأما أهل هذه الطبقة الذين هم أهل الأثر والحديث فإن الأكثرين منهم إنما وكدهم الروايات وجمع الطرق، وطلب الغريب والشاذ من الحديث - الذي أكثره موضوع أو مقلوب لا يراعون المتون، ولا يتفهمون المعاني. معالم السنن ١ : ٣ . وذكر هؤلاء ابن قتيبة في مقدمة غريب الحديث فقال متحدثاً عن بعضهم: همه الجمع دون التفقه فيه، والطرق دون المتون والغرائب دون السنن، والاستكثار من أسماء الرجال، حتى يعود كما بدأ.

غريب الحديث ١ : ٣ .

وعاب هؤلاء الإمام الذهبي فقال: فغالبيهم لا يفقهون، ولا همّة لهم في معرفة الحديث، ولا في التدوين به، إنما همتهم في السماع على جهله الشيوخ، وتكثير العدد من الأجزاء والرواة ولا يتأدبون بأداب الحديث، ولا يستفيقون من سكرة السماع.. الخ. زغل العلم -

ص ٢٧ .

علاقة كتاب «إصلاح غلط المحدثين» بكتاب «غريب الحديث» للخطابي:

قبل الإجابة على هذا السؤال لابد من الإشارة إلى النقاط التالية:

- ١ - ذكر الخطابي في مقدمة «غريب الحديث» أنه ختم الكتاب بإصلاح ألفاظ من مشاهير الحديث يرويها عوام النقلة مَلْحُونَةً أو مُحَرَفَةً عن جِهَةِ قَصْدِهَا، وأنه قام بتصويبها^(١). الخ.
- ٢ - بالنظر في كتاب «غريب الحديث» للخطابي نجد أنه قد ختم الكتاب بألفاظ من الحديث يرويها أكثر الرواة والمحدثين ملحونة ومحرفة قام بإصلاحها، وتبين صوابها^(٢).
- ٣ - المقارنة بين ما ذكر في آخر «غريب الحديث»، وبين ما في إصلاح غلط المحدثين» نجد تطابقاً كثيراً في مواضع كثيرة من الكتاب. بينما نجد اختلافاً في مواضع أخرى، وذلك بزيادات في الأحاديث والألفاظ لا سيما في الأحد عشر حديثاً الواردة في «إصلاح غلط المحدثين». ولم تذكر في نهاية «غريب

(١) انظر مقدمة غريب الحديث ج ١ : ٤٩ .

(٢) ج ٣ : ٢١٩ إلى ٢٦٥ .

الحديث»^(١). كذلك هناك اختلاف يسير في ترتيب بعض الأحاديث^(٢).

٤ - أحال الخطابي في موضعين من «إصلاح غلط المحدثين» على «غريب الحديث».

فقال في الموضوع الأول: «وقد فسّرتَه في موضعه من الكتاب»^(٣)، وأعدت لك ذكره ليكون منك على بال.

(١) وهي من رقم ١٣٤ إلى ١٤٣ - ط. الضامن، وأيضاً فقد سقط حديث أنس - رضي الله عنه - «إنما أنسى لأسن» - ص ٣٧ ط الضامن وحديث أن النبي ﷺ احتجم بلحيي جمل ص ٤٧ وسقط حديث النبي ﷺ أنه ضحى بكبشين - ص ٤٨ وحديث عمر - رضي الله عنه - في الاستسقاء - ص ٤٨ و ٤٩.

وسقط حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن الرسول ﷺ سجد للوهم وهو جالس - ص ٥٦، وحديث عائشة - رضي الله عنها - «والله ما اختلفوا في نُقْطَةٍ» - ص ٦٧.

(٢) في مبحث «مما يتفاوت في الروايات ولا يختلف لها المعنى» اختلف ترتيب الأحاديث بين الكتابين ووقع اختلاف في العنوان حيث جاء في غريب الحديث: ومما يقارب فيه الروايات ولا تختلف في المعنى. وجاء في إصلاح غلط المحدثين بتحقيق الضامن، ومما يتفاوت في الروايات ولا يختار لها المعنى - ص ٦٦.

والصواب - والله أعلم - ما جاء في ط. الرديني ما يتفاوت في الروايات ولا يختلف لها المعنى - ص ١٤٧.

(٣) إصلاح غلط المحدثين - ص ٦٨ وغريب الحديث للخطابي ١: ١٧٢.

قال في الموضوع الآخر: «وفسرناه في كتابنا هذا»^(١). وهذا يدل على أنّ الخطابي كان يعتبرها كتاباً واحداً إذ ليس في «إصلاح غلط المحدثين» تفسير لتلك العبارتين، أو ذكر لهما سوى في موضع واحد فقط لكل منهما.

والذي يبدو لي بعد قراءة الكتابين والتأمل فيهما:

أن «إصلاح غلط المحدثين» جزءٌ أخيرٌ من «غريب الحديث» لكن الخطابي بعد أن ذكره مع «غريب الحديث» أفرده مستقلاً وزاد فيه وعدّل بعض التعديلات والمواضع عما هي في غريب الحديث». مما يدل على هذا مايلي:

١ - ما ذكرته من زيادات عديدة في الأحاديث والمفردات ذُكرت في «إصلاح غلط المحدثين» ولم تذكر في «غريب الحديث».

٢ - رواية كتاب «إصلاح غلط المحدثين» بطريق مستقل عن الخطابي^(٢).

٣ - الكتب التي ترجمت للإمام الخطابي ذكرت كتاب

(١) إصلاح غلط المحدثين - ص ١٤٦ وغريب الحديث للخطابي ٥٧١ : ١.

(٢) انظر إصلاح غلط المحدثين - ص ٤٣ وفهرسة ابن خير الأشبيلي - ص ١٩٠ و١٩١.

«إصلاح غلط المحدثين» مُستقلاً عن «غريب الحديث»^(١).

ومن باب الإنصاف أود الإشارة إلى أن د/ حاتم الضامن قد نبه إلى هذا واعتبر نفسه أول من نبه عليه، وأفاد أن ناشر غريب الحديث لم يشر إلى هذا^(٢)!!

مميزات الكتاب:

١ - أنه يعد مرجعاً هاماً في باب التصحيف والتحريف اللغوي لألفاظ الأحاديث، حيث اشتمل على ما يربو على مائة وأربعين حديثاً وأثراً يرويها المُحدِّثون أو العامة منهم ملحونة أو محرّفة فأبان الصواب في نُطقها وضبطها رحمه الله.

٢ - حوى ثروة لغوية قيّمة، حيث اشتمل على ما يربو على مائة وستين مادة لغوية بيّن الصواب في نُطقها، وتكلم على تفسير بعضها، والمراد منه في ذلك الحديث.

٣ - وتضمن أيضاً مادة أدبية فائقة تمثلت في استشهاده بعدد من الأبيات الشعرية والأمثال، وذكر بعض اللطائف الأدبية.

٤ - اشتمل على كثيرٍ من آراء الخطابي التي تتمثل في بيان الصواب من الغلط، والترجيح بين الآراء المختلفة أو المتعددة، مع تعقبه لغيره أحياناً.

(١) انظر ما ذكرته أولاً في توثيق نسبة الكتاب.

(٢) إصلاح غلط المحدثين بتحقيق د/ حاتم الضامن - ص ١٠ و ١١.

٥ - تميّز الكتاب بإيجاز العبارة، والوصول للقول الصواب،
بألفاظٍ يسيرة دون تطويل، أو استطراد.

٦ - يعدُّ هذا الكتاب من أوجه عناية المحدثين بنقد المتون،
فاهتمام الخطابي فيه منصب على المتون، وإصلاح غلطها، وهذا
يرُد على القائلين^(١) بأنَّ اهتمام المحدثين مقصور على سند
الحديث فقط.
أثره في غيره:

استفاد من كتاب «إصلاح غلط المُحدثين» عدد من العلماء
في مؤلفاتهم، فمنهم من نقل منه مستقلاً، ومنهم من نقل منه
باعتباره جزءاً من «غريب الحديث» وتقدم ذكر عدد من الذين
نقلوا من كتاب «غريب الحديث للخطابي».

أما من نقل من «إصلاح غلط المحدثين» فمنهم:

(١) قال هذا القول عدد من المستشرقين، وأحمد أمين في كتاب «فجر
الإسلام» من ص ٢٥٥ إلى ص ٢٧٤. وللوقوف على تفنيد مزاعمهم
الباطلة انظر: كتاب السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي - ص ٢٣٦
- ٢٩٠.

وبحث الدكتور/ محمد الطحان وعنوانه «عناية المحدثين بمتن
الحديث كعنايتهم بإسناده» المطبوع في مجلة كلية أصول الدين
بالرياض العدد الأول عام ١٣٩٧هـ - ص ١٣٣ - ١٥١. ثم نشر هذا
البحث في رسالة مستقلة.

١ - الإمام القاضي عياض - ت ٥٤٤هـ نقل منه كثيراً في كتابه «مشارك الأنوار»^(١).

وأشار إليه في مقدمته^(٢) وتعبه في «الإلماع»^(٣).

٢ - الإمام مجد الدين ابن الأثير الجزري - ت ٦٠٦هـ نقل منه في «جامع الأصول»^(٤).

٣ - ياقوت الحموي - ت ٦٢٦هـ نقل منه «معجم البلدان»^(٥).

٤ - الإمام النووي - ت ٦٧٦هـ نقل منه في شرح صحيح مسلم^(٦).

٥ - الحافظ ابن حجر - ت ٨٥٢هـ ونقل منه وسماه «غلطات المحدثين»^(٧) في كتابه «التلخيص الحبير»^(٨).

(١) مشارق الأنوار ١ : ٢٥ و ٢٨ و ٧٧ و ١٠٠ و ١١٥ و ١١٦ و ١١٨ و ١١٨ و ٢٩٣ و ٣١٤ و ٢ : ٣ و ٢١ و ٨٩ و ٢٥٥ و ٢٩٧.

(٢) المرجع السابق - المقدمة ١ : ٥.

(٣) الإلماع - ص ١٨٨.

(٤) جامع الأصول ج ١ : ٤٩٥ وج ٢ : ٥٧٥ و ٦٩٥ وج ٤ : ٣١٣ و ٤٥٤ و ٤٩٤ و ٥٨٢ وج ٥ : ٣٤٥.

(٥) معجم البلدان - جعر - ٢ : ١٤٢ و حذب ٢ : ٢٢٩ نفع ٥ : ٣٠١ و ٣٠٢.

(٦) شرح صحيح مسلم ٣ : ٢١٠ و ٤ : ٢١ و ٧١ و ١٦٧.

(٧) التلخيص الحبير ١ : ٦١.

(٨) المرجع السابق ١ : ٦٠ و ٢ : ٦٤ و ٦٧ و ١٤٠ و ٣ : ٥٤ و ١١٩.

٦ - الإمام السيوطي - ت ٩١١هـ نقل منه في كتابه «التطريف في التصحيف»^(١).

٧ - الإمام محمد مرتضى الزبيدي - ت ١٢٠٥هـ عده من موارد في تاج العروس «وسماه: «إصلاح الألفاظ»^(٢).

٨ - كما استفاد منه بعض المؤلفين في مصطلح الحديث في مبحث التصحيف والتعريف حيث نقلوا بعض أمثله^(٣).

طبقات الكتاب:

نظراً لقيمة الكتاب العلمية فلقد طُبِعَ عدة طبقات، وبتحقيقات مختلفة. وقفت منها على مايلي:

١ - طُبِعَ الكتاب أولاً - حسب علمي - في القاهرة سنة ١٣٥٥هـ بتعليق ومراجعة الشيخ بُرهان الدين محمد الداغستاني - حيث نشره الأستاذ عزت العطار، وكانت هذه الطبعة على نسخة خطية وحيدة موجودة في دار الكتب المصرية.

فجاءت ملثية بالأخطاء، وفيها بعض النقص؛ لكنها امتازت بالتعليقات المفيدة عليها؛ المشتملة على تفسير لبعض المفردات الغريبة، والتعليق على بعض النصوص. مع مقدمة موجزة في التعريف بالإمام الخطابي وكتابه، وقد نُشرت هذه الطبعة عدة

(١) التطريف في التصحيف - ص ٦٣.

(٢) تاج العروس ١ : ٦ وانظر ١ : ٥١٣ و ٥ : ٣١٢.

(٣) انظر شرح التبصرة والتذكرة ٢ : ٣٠١ وفتح المغيث ٣ : ٧٨.

مرات، منها نشرها مستقلة في كتاب بحجم صغير بالقاهرة. ثم طبعة ضمن مجموع الرسائل الكمالية.

ثم طبعتها الدار العلمية بالهند سنة ١٤٠٦هـ وفي كل هذه الطبعات سمي الكتاب بـ «إصلاح خطأ المحدثين».

٢ - ثم طُبع الكتاب في آخر «غريب الحديث للخطابي» بتحقيق الأستاذ عبد الكريم العزباوي سنة ١٤٠٣هـ - وتقدّم الكلام على طبع «غريب الحديث»، وصلة إصلاح غلط المحدثين بغريب الحديث.

٣ - ثم طُبع الكتاب بتحقيق د/حاتم صالح الضامن، في العراق. واعتمد في هذه الطبعة على نُسختين خطيتين «للكتاب مع استفادته من طبعة الكتاب المذكورة أولاً وسماه «إصلاح غلط المحدثين». وقدّم للكتاب بمقدمة جيدة «وأجاد في التعليق على عدد كثير من النصوص في الكتاب بعزو الآيات وتخريج الأحاديث والأشعار، والترجمة للأعلام، وعزو بعض الأقوال، وتفسير الغريب، مع تصحيح نص الكتاب.

وختم الكتاب بفهارس متعددة للألفاظ والأعلام والأشعار، وقد طبع هذا التحقيق ثلاث مرات.

فطبع أولاً في مجلة المجمع العلمي العراقي بالمجلد ٣٥ الجزء رقم ٤ سنة ١٩٨٤م.

ثم طُبع مستقلاً سنة ١٤٠٥هـ عن مؤسسة الرسالة ببيروت.

ثم طبع سنة ١٤٠٧هـ ضمن كتاب «أربعة كتب في التصحيح اللغوي».

٤ - ثم طبع الكتاب أخيراً سنة ١٤٠٧هـ بدراسة وتحقيق د/ محمد علي عبد الكريم الرديني في دار المأمون للتراث بدمشق وبيروت. وتُعتبر هذه الطبعة أفضل طبعات الكتاب، حيث اشتملت على دراسة وافية عن حياة المؤلف، ومؤلفاته، وعرض مُفصّل لكتاب «إصلاح غلط المحدثين» من حيث منهجه، وطريقته في التأليف. واعتمد على ثلاث نسخ خطية اثنتان منها اعتمد عليهما «د. الضامن في تحقيقه كما سبق».

أما الثالثة وهي نسخة مكتبة كلية سبلي أوك في برمنجهام بالمملكة المتحدة فأظنه أول من رجع إليها في تحقيق الكتاب وطبعه. وتُميّز تحقيقه بالنفس العلمي الطويل، من حيث استيفاءه غالباً- لتخريج الأحاديث والأشعار، وتأصيله للأقوال المروية عن أئمة السلف، وحرصه على تفسير الغريب، والتعليق على بعض المواضع، وشدة دقته في ذكر فروقات النسخ في حواشي الكتاب.

يُضاف إلى ذلك حسن إخراج الكتاب، وتنظيمه، وترقيمه، وتذييله بفهارس متعددة للآيات والأحاديث والألفاظ اللغوية والشعر والأعلام والقبائل والمواضع والبلدان والمصادر.

فشكر الله للأستاذ المحقق جهوده العلمية في العناية بهذا الكتاب، وإخراجه بالتحقيق المستحق له.

٥ - معالم السنن

اسمه، وتوثيق نسبه:

يُعتبر كتاب «معالم السنن في شرح سنن أبي داود» من الشروح المهمة في كتب السنة النبوية، إذ هو من أوائل كتب الشروح التي اعتنت بسنن أبي داود بل قد يكون أولها إذ لم أجد من ذكر لسنن أبي داود - شرحاً قبله، وقد اتفق الأكثرون على تسميته «معالم السنن» وعلى نسبه إلى الخطابي، فتوثيق نسبه أمرٌ لا يُشكُّ فيه، إذ ذكره الجم الغفير من العلماء والمؤلفين.

واسمه «معالم السنن» كما صرَّح بذلك الإمام الخطابي في مقدمة كتابه «أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري» فقال: ^(١) وإن جماعة من إخواني ببلخ كانوا سألوني عند فراغي لهم من إملاء كتاب «معالم السنن» لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني - رحمه الله - أن أشرح لهم كتاب «الجامع الصحيح» لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله... الخ، وهذه التسمية مطابقة لواقع الكتاب لأنه ليس شرحاً مُستوعباً لكل

(١) أعلام الحديث ١ : ١٠١. وانظر ص ١٠٤ و ٧١٧ و ١٥٥٦.

أحاديث سنن أبي داود بل لبعضها بحسب ما رآه الخطابي محتاجاً إلى شرح كما سيأتي بإذن الله تعالى .

المراد بمعالم السنن :

المعالم : جمع معلم : وله عدة اطلاقات في اللغة منها :
الأثر الذي يستدل به على الطريق^(١) ، ومعلم الطريق دلالة ، قال الخطابي^(٢) : المعلم : واحد معالم الأرض أي : أعلامها التي يهتدى بها في الطرق .

فكأن الخطابي أراد بكتابه دلالة من أراد الاستفادة من سنن أبي داود ، فالمعالم : الأمور البارزة التي يحتاج إليها في سنن أبي داود رواية ودراية .

موضوع الكتاب :

بيان ما احتاج لشرح - في نظر المؤلف - من أحاديث سنن أبي داود؛ من حيث متونها، أو أسانيدها، أو هُما معاً. وذلك بتفسير الكلمات الغريبة، وإصلاح غلطها. والكلام على أحكام الأحاديث الفقهية، أو آدابه الشرعية. وتناول درجة الحديث والكلام على رجاله اسناده إن احتاج لذلك. كما يتضح ذلك في محتويات هذا الشرح .

(١) الصحاح - علم - ٥ - ١٩٩١ .

(٢) أعلام الحديث ٣/٢٢٦٨ .

مكان وزمان تأليف الكتاب :

ذكر الإمام الذهبي، أنَّ الإمام الخطابي أقام مدة بنيسابور يصنف؛ فعمل «غريب الحديث» و«معالم السنن»^(١).

فهذا يفيد أنَّ الإمام الخطابي قد ألف «معالم السنن» في نيسابور. . . وقد ذكر الخطابي أنه أملاه على طلابه في مدينة «بلخ» يدل على ذلك قوله في مقدمة «أعلام الحديث» في شرح صحيح البخاري: «وإن جماعة من إخواني بلخ كانوا سألوني عند فراغي لهم من إملاء كتاب «معالم السنن» لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني^(٢). . الخ

ومما يدل على أنه ألفه أولاً ثم أملاه قوله في مقدمة «معالم السنن» «. . قد كتبت لكم فيما أمليت من تفسيرها - أي سنن أبي داود - وأوضحته من وجوهها، ومعانيها، وذكر أقاويل العلماء واختلافهم فيها علماً جماً، فكونوا به سعداء، نفعنا الله تعالى وإياكم برحمته^(٣). فلعله ألف الكتاب أولاً في نيسابور ثم اصطحبه إلى بلخ فأملاه على طلابه هناك.

أما زمان تأليف الكتاب فلم يُشر له الخطابي في مقدمته له، ولكن ترجح لدي أنه ألفه بعد فراغه من تأليف كتابه «غريب

(١) تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠١٩ .

(٢) أعلام الحديث ١ : ١٠١ .

(٣) معالم السنن ١ : ٨ - ط الطباخ .

الحديث»^(١) وذلك لكثرة الإحالات عليه^(٢) خلال الشرح فيكون الخطّابيُّ قد ألّف «معالم السنن» بعد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة - وهي سنة تسويد «غريب الحديث» بعد أن بلغ سنّ الأربعين، وتلك هي مرحلة النضوج العقلي للإنسان، بعد أن قضى فترة طويلة في طلب العلم وتحصيله.

أثره في غيره:

حظي كتاب «معالم السنن» بثناء العلماء عليه، واستفادتهم منه في مؤلفاتهم لا سيما المتعلقة بشروح أحاديث الأحكام فمن ثنائهم عليه:

١ - قول الإمام أبي طاهر السلفي^(٣) «واخترت - بعد استخارة الله سبحانه - في هذا الأوان الشروع في إملاء ديوان شرعي يصلح للفقهاء والأعيان، وينتفع به كذلك المتفقه فيما يكون بصدده، ويعدّه من أوفى عدده، ولا يخلو من الإسناد الذي عليه جُلُّ الاعتماد. بل يكون منوطاً، ووجوداً مشروطاً، فلم أر أحسن من شرح أبي سليمان الخطابي البُستي لكتاب أبي داود السّجزي، فهو كتابٌ جليل، وفي إلقائه عاجلاً ذكر جميل، وأجلاً إن شاء

(١) انظر المبحث المتعلق بزمان تأليف كتاب غريب الحديث.

(٢) معالم السنن ج ١ : ١٩٥ و ٢٥٨ وج ٢ : ٣٣٨ وج ٤ : ١٣١.

(٣) معالم السنن ٤ : ٣٥٧.

الله ثوابٌ جزيل «فأملاه على طلابه في آخر سنة إحدى وستين وخمسمائة.

٢ - وذكر ابن شاکر الکتبي^(١) في ترجمة أبي الفضائل الصاغانى أنه كان يُقرأ عليه بعدن: «معالم السنن» للخطابى، وأنه كان معجباً به، ويكلام مصنفه، ويقول: إن الخطابى جمع لهذا الكتاب جراميزه^(٢).

ومن عناية العلماء بكتاب «معالم السنن» روايتهم له بالإسناد المتصل. . ومن هؤلاء:

١ - الإمام أبى طاهر السلفى - ت ٥٧٦ هـ رحمه الله.

رواه مناولة من القاضى أبى المحاسن الطبرى بالرى سنة إحدى وخمسمائة، وأذن له فى روايته عنه^(٣).

٢ - الإمام شمس الدين محمد بن جابر الوادى آشى^(٤) - ت ٧٤٩ هـ - قرأه بحرم الله تعالى تجاه الكعبة، على الأستاذ أبى

(١) فوات الوفيات ١ : ٣٥٩.

(٢) الجراميز جمع جرموز، وجراميز الإنسان: أطرافه وبدنه، ويقال: جمع جراميزه أى: تقبض ليشب، وجمع له جراميزه: أى: استعد له وعزم على قصده.

المعجم الوسيط. مادة جرمز ١ : ١١٨.

(٣) معالم السنن ٤ : ٣٧٦.

(٤) برنامج الوادى آشى - ص ٢١٦ رقم ٣٥.

محمد عبد الله الدلاصي في أصل سَمَاعِهِ . . ثم سَأَقَ سِنْدَهُ إِلَى
الخطابي .

٣ - الإمام أبي بكر محمد بن خير الإشبيلي - ت ٥٧٥هـ -
رحمه الله .

رواه تحديثاً عن الشيخ أبي بكر محمد بن أحمد بن طاهر -
رحمه الله بسنده إلى الإمام الخطابي - (١) رحمه الله .

٤ - الشيخ صالح بن محمد الغلاني - ت ١٢١٨ هـ - رحمه
الله .

قرأه من كتاب الفتن إلى آخره على الشيخ محمد سعيد سَفَرِ
المدني - رحمه الله - ثم أجازته بسائره بسنده المتصل إلى الإمام
الخطابي (٢) .

٥ - الشيخ محمد راغب الطباخ - ت ١٣٧٠هـ - رحمه الله .
يرويه إجازة بالمكاتبة عن شيخه محمد بن عبد الحي
الكستّاني - رحمه الله بسنده إلى الخطابي (٣) .

مختصرات معالم السنن :

«عجالة العالم من كتاب المعالم»

(١) فهرسة ابن خير - ص ٢٠١ .

(٢) قَطْفُ الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر - ص ١٢٦ .

(٣) مقدمة تحقيق معالم السنن ١ : ٣١ و ٣٢ .

لخصه الإمام الحافظ شهاب الدين أبو محمد أحمد بن محمد بن إبراهيم المقدسي. المتوفى في ربيع الأول سنة ٧٦٥هـ^(١) ذكره العلامة حاجي خليفة^(٢)، والمباركفوري^(٣) رحمهم الله. ولم أقف على هذا الملخص مطبوعاً، ولا مخطوطاً^(٤).

- ومن عنايتهم به أيضاً كثرة النقول عنه في مؤلفاتهم المختلفة. وممن استفاد من الكتاب كثيراً العلماء الذين توافروا على شرح خدمة «سنن أبي داود» بل عدوه من موارد هم الهامة. ومن هؤلاء:

- ١ - الإمام زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى المُنذري - ت ٦٥٦هـ رحمه الله - في كتابه «مختصر سنن أبي داود»^(٥). حيث نقل عنه كثيراً من أحكامه على الأحاديث وعللها.
- ٢ - الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر

(١) للاستزادة عن ترجمته انظر: «المعجم المختص بالمحدثين» للإمام الذهبي - ص ٣٣ ترجمته رقم ٣٤، والدرر الكامنة ١ : ٢٤٢ رقم ٦٢٠، ولحظ الألاحظ لابن فهد - ص ١٤٨ و ١٤٩.

(٢) كشف الظنون ٢ : ١٠٠٥.

(٣) مقدمة تحفة الأحوزي ١ : ١٢٦.

(٤) وللإستزادة عن هذا الكتاب انظر ما سبق ذكره في المبحث المتعلق بما عُدَّ من مؤلفات الخطابي ولم تثبت نسبته إليه.

(٥) انظر مختصر سنن أبي داود ج ١ : ٨ و ١١٧ و ١٥٦ و ١٥٨ و ١٧٥ و ١٨٦ و ١٩٤ و ٢٢٧ و ٢٦٧ و ٣١٨ و ٣٤١.

المعروف بابن قيم الجوزية - ت ٧٥١هـ - رحمه الله، فلقد نقل عنه في بعض المواضع في «تهذيبه لسنن أبي داود»^(١). خاصة فيما يتعلق بأحكام بعض الأحاديث.

٣ - الإمام شهاب الدين أحمد بن حسين بن رسلان الرملي المقدسي ت ٨٤٤هـ في شرحه لسنن أبي داود. فلقد نقل عنه في عدة مواضع^(٢)، وتعبه أيضاً في مواضع أخرى^(٣).

٤ - والعلامة الشيخ أبي عبد الرحمن شرف الحق الشهرير بمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر الصديقي العظيم آبادي - ت ١٣٢٩هـ رحمه الله في كتابه الحافل «عون المعبود على سنن أبي داود»^(٤) حيث نقل كثيراً جداً عن الإمام الخطابي،

-
- (١) تهذيب الإمام ابن القيم لسنن أبي داود ١ : ٥٣ و ٦٠ و ٦١ و ٦٣ .
(٢) انظر «شرح ابن رسلان لسنن أبي داود» - مخطوط - نسخة مكتبة لاللى التركية. ل ٢/أ، ول ١٠/ب، ول ١١/أ.
(٣) المرجع السابق، ل ٤/ب، ول ٩/أ، ول ١٢/أ.
وأفادني بهذه الإحالات الشيخ د/محمد العمير/ الأستاذ المساعد بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء - الذي قام بتحقيق الجزء الأول من الكتاب وشكر الله تعاونه الكريم.
(٤) عون المعبود ج ١ : ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٤٧ و ٥٩ و ١٢٨ و ١٤٣ و ١٥١ و ٢٣٨ و ٢٥١ و ٢٥٧ و ٢٥٩ و ٢٦٥ و ٢٧١ و ٢٨٥ و ٢٩٥ و ٣٢٢ و ٣٢٥ و ٣٣٩ و ٣٥١ و ٣٥٧ و ٣٧٨ و ٣٧٩ و ٣٨٢ و ٣٨٣ و ٤٥٩ و ٤٢٢ و ٤٢٧ و ٤٤٠ و ٤٤١ و ٤٤٣ و ٤٥٨ و ٤٧٣ و ٤٨٠ و ٤٩٨ و ٤٩٩ و ٥١٩ و ٥٢٣ و ٥٢٧ .

ويغلب على ظني أنّ كل حديث شرحه الخطابي من سنن أبي داود استفاد منه المؤلف - غالباً - ونقل منه ما يتعلق بشرح الغريب أو إصلاح الغلط أو الكلام على الحديث أو رواياته أو بعض أحكامه وفوائده.

٥ - والعلامة المحدث الشيخ / خليل أحمد السهارنفوري - ت ١٣٤٦هـ رحمه الله في كتابه «بذل المجهود في حل أبي داود». فلقد عدّه من موارد^(١)، ونقل عنه كثيراً في شرحه^(٢).

٦ - ومن نقل عنه كثيراً^(٣) الإمام محيي السنة ركن الدين أبي محمد الحسين البغوي - ت ٥١٦هـ - رحمه الله. في كتابه «شرح السنة»^(٤).

(١) بذل المجهود ١ : ٤١ - المقدمة.

(٢) انظر بذل المجهود ١ : ٥ و ١٠ و ١٧ و ١٩ و ٣٥ و ٤٦ و ٥٥ و ٧٨ و ٩٢ وغيرها.

(٣) من لطيف ما ذكره الإمام السيوطي في مقدمة كتابه «البارق في قطع يمين السارق» أنه رأى بخط ابن حجر فصلاً فيمن أخذ تصنيف غيره فادعاه لنفسه، وذكر من هؤلاء الإمام البغوي في كتابه «شرح السنة» استمده من شرح الخطابي على البخاري، ومن شرحه على أبي داود. ونقلتُ هذا النص من مقدمة تحقيق كتاب «الفارق بين المُصنّف والسارق» للإمام السيوطي، بقلم د/ قاسم السامرائي، وقد نشره في مجلة عالم الكتب التي تصدر في الرياض، المجلد الثاني، العدد الرابع - ص ٧٤٣. عام ١٤٠٢هـ.

(٤) «شرح السنة» انظر مثلاً ج ١ : ١١ و ٣٨ و ٥١ و ٦٩ و ٧٦ و ١١٠ =

٧ - ونقل منه الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري - ت٦٠٦هـ - رحمه الله . في كتابه «جامع الأصول» وجعله من موادره التي عوّل عليها في شرح الكتاب كما صرح بذلك في المقدمة^(١) ونقل عنه في مواضع كثيرة في كتابه^(٢).

- = ١١٦ و ١٢٦ و ١٣٣ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٠ و ١٧٥ و ١٧٦ و ٢٢٢ و ٢٢٨ و ٢٣٦ و ٢٨٧ و ٢٩١ و ٣٠٢ و ٣٥٧ و ٣٧٢ و ٣٨٥ و ٤١٢ و ٤٦٢ .
- ج ٢ : ٩٥ و ١٤٤ و ١٥٣ و ١٧٠ و ٢٠٥ و ٢١٤ و ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٤٤ و ٢٥٨ و ٢٧٥ و ٢٠٩ و ٣٣٤ و ٣٧٥ و ٣٧٨ و ٤١٩ و ٤٢٤ و ٤٢٨ و ٤٥٦ .
- ج ٣ : ٢٥ و ٤٨ و ١٣٥ و ١٥٦ و ١٦٢ و ٢٣٥ و ٢٣٧ و ٢٦٧ و ٢٧٩ و ٢٩٤ و ٤١١ و ٤١٤ .
- ج ٤ : ١٢٥ و ١٣٢ و ١٦٩ و ١٧٨ و ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٣٨٠ و ٣٨٣ و ٤١٧ و ٤٣٥ و ٤٨٦ .
- ج ٥ : ٢٠ و ٨٨ و ١٢٥ و ١٦٦ و ٢١٢ و ٢١٤ و ٢٢٩ و ٢٥٤ و ٢٦٨ و ٢٧٢ و ٣٤٢ و ٣٩٥ و ٤١٤ و ٤٦٨ و ٤٨٩ و ٤٩٥ و ٤٩٨ .
- (١) جامع الأصول ١ : ٦٦ .
- (٢) المرجع السابق ١ : ٢١٢ و ٢٢٠ و ٢٣١ و ٢٦٢ و ٢٨٢ و ٢٨٤ و ٢٨٧ و ٤٣٤ و ٤٤١ و ٤٦٥ و ٤٩٥ و ٥٣٥ و ٥٤٤ و ٥٦٥ و ٥٧٨ و ٥٩٩ .
- وج ٢ : ٣٦٠ و ٤٧٩ و ٥٧١ و ٦٣٢ و ٦٦٣ و ٦٧٧ و ٦٨٠ و ٧٠٨ و ٧٢٣ و ٧٣٦ و ٧٥١ .
- ج ٣ : ٢١٣ و ٢٩٨ و ٣١٧ و ٥٤٤ و ٥٤٥ .
- وج ٤ : ٥٢ و ٢٦٢ و ٣٠٨ و ٤٣٠ و ٤٨٧ و ٥٥٣ و ٥٦٥ و ٥٨١ و ٦٢٦ =

٨ - واحتفل به كثيراً الإمام أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي - ت٦٧٦هـ - رحمه الله - في عدد من مؤلفاته .

فلقد جعل «معالم السنن» من موارده في كتابه: «تهذيب الأسماء واللغات» فقال في خطبة الكتاب: (١) «ومن شروح الحديث «معالم السنن» للخطابي في شرح سنن أبي داود، والاعلام له في شرح البخاري» .

ونقل منه في كتابه: «الأذكار» (٢) .

وصرح «بمعالم السنن» في عدة مواضع من الكتاب (٣) .

- وكذا في «رياض الصالحين» له نقل منه في أربعة مواضع (٤) .

أما «شرحه لصحيح مسلم» فلقد نقل منه كثيراً (٥) في مواضع

= و٦٥٧ و٦٦٨ و٧٨٣ و٧٨٥ و٧٩٢ و٨٠٦ .

ج ٥ : ١٧ و ٩٩ و ١٣١ و ٢٥٨ و ٣١٣ و ٤٢٩ و ٤٦٠ و ٤٧٥ و ٦١٩ و ٦٥٢ .

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٧ .

(٢) الأذكار - ص ٦٤ و ٧٧ و ٩٧ و ١٧٩ و ١٨٧ و ١٩٤ و ١٩٨ و ٢٣٥ و ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣١٢ و ٣٢٧ و ٣٤٩ .

(٣) الأذكار - ص ٢٣٥ و ٣٠٧ و ٣١٢ و ٣٢٧ و ٣٤٩ .

(٤) رياض الصالحين - ص ٣٠١ و ٣٠٢ و ٥١٣ و ٥٦٩ .

(٥) شرح صحيح مسلم - انظر مثلاً ج ١ : ٢٧ و ٢٩ و ١٤٤ و ١٤٥ و ١٥٤ و ١٨٦ و ١٨٨ و ١٩٧ و ٢٠٢ و ٢٠٣ و ٢٠٥ و ٢٠٩ و ٢١٦ .

متفرقة من الكتاب، وبعضها قد يكون من أعلام الحديث أو فيهما معاً.

٩ - من كتب شروح الأحاديث: التي استفادت من «معالم السنن» كتاب «النفح الشذي في شرح جامع الترمذي» للإمام أبي الفتح محمد بن محمد بن محمد ابن سيد الناس اليعمري - ت ٧٣٤هـ.

فلقد ذكر محقق الكتاب^(١) د. أحمد معبد عبد الكريم أن «معالم السنن» يعتبر من مصادر ابن سيد الناس في شرحه^(٢).

١٠ - وممن استفاد من كتاب «معالم السنن» الإمام ابن قيم الجوزية ت ٧٥١هـ - في كتابه القيم: «زاد المعاد في هدى خير العباد» فلقد ذكر م فهرس الكتاب^(٣) أن ابن القيم ذكر الإمام الخطابي في أربعة عشر موضعاً من الكتاب^(٤) وبمراجعتها

ج ٢ : ١٥ و ٢٧ و ٣٨ و ٣٩ و ٤٧ و ٩٠ و ٩١ و ١٣١ و ١٩٠ و ١٩٨ و ٢١٢ و ٢٢١ .

ج ٣ : ٢٠ و ٢٨ و ٩٠ و ٩١ و ٩٣ و ١٠٥ و ١٣٨ و ١٤٨ و ١٦٢ و ١٦٥ و ١٩٥ و ٢٠٢ .

ج ٤ : ٤٠ و ٥٦ و ٧١ و ٧٨ و ٧٩ و ٢٠٤ . وغيرها كثير .

(١) النفح الشذي - مقدمة التحقيق - ١ : ٩١ و ٩٥ .

(٢) النفح الشذي - انظر مثلاً ج ١ : ٢٢٣ و ٢٦٧ و ٢٦٩ و ٣٣٤ و ٣٣٦ و

٣٥٤ و ٤٠٠ و ٤٠١ و ٤١٤ و ٤٤٦ و . وغيرها .

(٣) فهرس زاد المعاد - ص ٣٠٦ .

(٤) انظر زاد المعاد ١ : ١٣٩ و ٢٣٠ و ٤٤٠ و ٤٥٥ و ٥٠٢ .

وجدتها كلها منقولة من «معالم السنن».

١١ - ونقل منه الإمام جمال الدين الزيلعي - ت ٧٦٢هـ -
أحكامه على كثير من الأحاديث في عدة مواضع من كتابه «نصب
الراية لأحاديث الهداية»^(١).

١٢ - ونقل منه الإمام بدر الدين الزركشي - ت ٧٩٤هـ -
رحمه الله - في موضعين من كتابه «الإجابة لا يراد ما استدركته
عائشة على الصحابة»^(٢).

١٣ - وكذا الإمام زين الدين أبو الفرج ابن رجب الحنبلي
- ت ٧٩٥هـ - في كتابه الحافل «جامع العلوم والحكم» نقل منه
في عدة مواضع^(٣)، وفي أحدها صرح بقوله: قد ذكر هذا
المعنى أيضاً الخطابي في كتابه «معالم السنن»^(٤).

١٤ - نقل منه كثيراً الإمام زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم
بن الحسين العراقي ت ٨٠٦هـ - رحمه الله. في كتابه: «طرح

= ٢ : ٤٢٣ .

٤ : ٦٥ و ١٣٩ و ٣٥٤ .

٥ : ٢٦ و ٣٩ و ٢٢٧ و ٢٥٥ و ٦٢٦ .

(١) نصب الراية ج ١ : ٤٢ و ٨٨ و ١١٥ و ١٢٠ و ٢٣٣ و ٤٢٤ . ج ٢ :

٤٤٨ . ج ٣ : ٢٢٦ . ج ٤ : ٣٨٧ .

(٢) الإجابة - ص ١٠٦ و ١٣٩ .

(٣) جامع العلوم والحكم - ص ٢٤ و ٣٥ و ١٨٦ و ٢٨٩ .

(٤) المرجع السابق - ص ٣٥ .

التثريب في شرح التقريب»^(١). سماه في بعض المواضع^(٢):
«معالم السنن وأحياناً يختصر فيقول: ^(٣) المعالم أو في
معالمه^(٤).

١٥ - ونقل منه الإمام الحافظ أبو الفضل شهاب الدين ابن
حَجَر العسقلاني ت ٨٥٢هـ في كتابه: «التلخيص الحبير في
تخريج أحاديث الرافعي»^(٥) الكبير» فيما يربو على الأربعين
موضعا، لا سيما في كلامه على درجة بعض الأحاديث أو ذكره
تفسيره لبعض مفرداتها أو عباراتها ونحو ذلك.

١٦ - واستفاد منه أيضاً العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني
ت ١١٨٢هـ في كتابه: «سبل السلام في شرح بلوغ المرام من
أدلة الأحكام» وذلك في مواضع كثيرة من الكتاب.

(١) طرح التثريب ٢ : ٤ و ٢٣ و ٢٨ و ٣٤ و ٤٠ و ٤٤ و ٤٨ و ٥٢ و ٥٤
و ١١٥ و ١٧٣ و ١٩٦ و ٢٠٦ و ٢٢٥ و ٢٣٦ و ٢٣٨ و ٢٥٠ و ٢٥٥ و ٢٦٣
و ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩١.

(٢) المرجع السابق ٢ : ٤.

(٣) المرجع السابق ٢ : ٢٣ . و ٢٥٠.

(٤) ٢ : ٢٣٦.

(٥) التلخيص الحبير ج ١ : ص ١٩ و ٤٥ و ٥٥ و ١٣٩ و ١٥١ و ١٥٧.

وبتتبع الجزء الأول منه وجدته قد ذكر الخطابي في تسعة عشر موضعاً^(١) وبمراجعتها وجدتها منقولة من «معالم السنن».

١٧ - نقل منه أيضاً العلامة محمد بن علي الشوكاني - ت ١٢٥٥ هـ رحمه الله. في كتابه الشهير: «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار»^(٢). في مواضع عديدة منه.

١٨ - ونقل عدد من المؤلفين في «مصطلح الحديث»^(٣) تعريفات الإمام الخطابي للحديث الصحيح والحسن وتقسيمه للحديث السقيم - مع مناقشتهم لها قبولا واعتراضاً. وهي التي ذكرها في مقدمته لمعالم السنن^(٤).

وممن استفاد منه في كتب اللغة العربية:

١ - الإمام أحمد بن محمد بن علي الفيومي المتوفى سنة

(١) سبل السلام ص ١٧ و ١٠٩ و ١١٢ و ١١٦ و ١٤١ و ١٥٣ و ١٧٩ و ١٩٥ و ٢٠٠ و ٢١٣ و ٢٢٠ و ٢٣٤ و ٢٥٧ و ٢٦٧ و ٢٩٩ و ٣١٥ و ٣١٨ و ٣٢٠ و ٤٢٩.

(٢) نيل الأوطار، انظر مثلاً ج ١ : ص ١٣ و ٢٠ و ٣٢ و ٣٨ و ٥٩ و ٧٨ و ٨٨ و ٩٦ و ١٠ و ١١٠ و ١٢٥ و ١٣٠ و .. غيرها كثير.

(٣) انظر مقدمة ابن الصلاح - ص ١٥.

واختصار علوم الحديث - ص ٣٥.

وشرح ألفية العراقي له - ص ١٢ و ٨٤، وفتح المغيث ١ : ١٧ و ٦٤ و ٧٠ و ٨٧. ط دار الكتب العلمية - بيروت.

(٤) معالم السنن ١ : ٦.

٧٧٠هـ. في كتابه «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير»
جعله من موارده^(١).

ونقل منه في عدة مواضع وصرح باسمه فيها.^(٢)

٢ - الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي
- ت٨١٧هـ - رحمه الله نقل عنه في كتابه الحافل «القاموس
المحيط».^(٣) وبتتبع المواضع في هذين الكتابين وجدت أنها
منقولة من «معالم السنن».



-
- (١) المصباح المنير ٢ - ص ٧١٢ لكنه وهم فسماه: «معالم التنزيل».
 - (٢) المصباح المنير ج ١ : ٩٠ و ٩٨ و ٢٠٩ و ٣٥١ و ٣٠٦ و ٦٥٨ .
 - (٣) القاموس المحيط مادة خرب - ص ١٠٠ وفصل - ص ١٣٤٧ .

تقويم الكتاب

١ - المميزات :

يعتبر الحديث عن مميزات «معالم السنن» أمراً مُسلماً به، وذلك لكثرة ما امتاز به، فلا يشك باحث، ولا طالب علم في أن «معالم السنن» متعدد المزايا، وافر المناقب، لذا سأقتصر على أهمها وهي:

١ - يعتبر هذا الكتاب مرجعاً هاماً في شرح أحاديث سنن أبي داود، ومعرفة ما اشتمل عليه أكثرها من أحكام وآداب، إضافة لتفسير غريبها، وإصلاح غلطها، ونحو ذلك.

٢ - لما كان «معالم السنن» هو أول شرح وصل إلينا من شروح سنن أبي داود ففي ذلك منقبة ومزية له من حيث السبق لغيره. . ثم توافر العلماء بعده للاستفادة منه في شروحهم، وقد سبق مزيد تفصيل في أثره في غيره.

٣ - حوى شرحه مادةً علميةً غزيرة تمثلت في آرائه وتعقباته المتعلقة بالحديث والفقه واللغة العربية.

٤ - يعتبر مرجعاً هاماً في معرفة حكم الخطابي على كثير من الأحاديث وبيان درجتهاو لا سيما وأن كتاب أبي داود الذي هو

موضوع الشرح لم يبيّن مؤلفه كل حديث فيه .

٥ - كما يُعتبر مرجعاً هاماً في معرفة حكم الخطابي على كثير من الرجال، ومعرفة رأيه فيهم جرحاً وتعديلاً مع نقله أحياناً لأقوال غيره من الأئمة .

٦ - اشتمل الكتاب على الكثير من آراء الخطابي في الكثير من المصطلحات الحديثية .

٧ - تميّز الكتاب بوضوح منهجه حيث سار الخطابي على ما التزم في مقدمة الكتاب .

٨ - تميّز بإيجاز عبارة الخطابي فيه فجاء كلامه مختصراً اختصاراً وافياً دون خلل بالمطلوب .

٩ - لما كان سنن أبي داود يتميز باشماله على أحاديث الأحكام فإن شرح الخطابي هذا يعتبر مرجعاً هاماً في شرح أحاديث الأحكام، والكلام عليها، وذكر المسائل الفقهية المتعلقة بها .

١٠ - تضمن شرح الخطابي عدداً من الآداب الشرعية التي يحسُن الاهتمام بها .

١١ - وتضمن شرحه عدداً من الفوائد اللغوية والعلمية^(١) .

(١) انظر: ذكر الخلاف بين الفقير والمسكين ٢ : ٦٢ والفرق بين الشح والبخل ٢ : ٨٣ وعادة العرب في الأسماء ٣ : ٥٥ .

طبقات الكتاب وتقويمها:

١ - طُبِعَ كتاب «معالم السنن» أولاً في المطبعة العلمية بحلب بعناية الشيخ/ محمد راغب الطباخ الحلبي رحمه الله ويعتبر هو أول من أخرج هذا الشرح القيم ونشره لطلاب العلم، فجزاه الله خيراً، وكان طبعه في الفترة من عام ١٣٥١هـ إلى ١٣٥٣هـ.

حيث خرج في أربعة أجزاء يقع كل منها في ثلاثمائة وخمسين صفحة تقريباً وجُعِلت في مجلدين، ولقد أجاد الشيخ/ محمد راغب الطباخ في العناية بالكتاب، وإخراجه حيث أخرج النص مُقابلاً على ثلاث نسخ خطية، واعتنى بتصحيحه، مع التعليق الموجز على بعض الأحاديث وإتمام بعضها مما قد اكتفى المؤلف بذكر الشاهد منه، وذلك في حاشية الكتاب. وذيل كل جزء بفهرس للأبواب المشتمل عليها ذلك الجزء.

وقدّم للكتاب بمقدمة مطولة تناول فيها كلام العلماء، وثنأهم على «سنن أبي داود» وشرحه «معالم السنن».

ثم ذكر ما عثر عليه من نسخ خطية للكتاب، ووصفها بإسهاب دون ذكر ما اعتمد عليه منها، بل جعلها سواء، ثم ترجم للإمامين: أبي داود السجستاني وأبي سليمان الخطابي ترجمة وافية، وأتبع ذلك بذكر سنده في روايته لسنن أبي داود، وكتب الإمام أبي سليمان الخطابي.

وألحق في آخر الجزء الرابع المقدمة التي كتبها الإمام

أبو طاهر السلفى عند إملائه لمعالم السنن على طلابه حيث وقعت في المجلد الرابع من ص ٣٥٥ إلى ٣٨٢.

ولكن يؤخذ على هذه الطبعة بعض الأخطاء المطبعية. وقلة التعليقات على المواضع المحتاجة لذلك، ولعله قصد إخراج الكتاب وطبعه للناس لينتفعوا بكلام المؤلف فقط، فجزاه الله خيراً وأجزل مثوبته.

٢ - وصوّرت الطبعة السابقة في المكتبة العلمية، في لبنان عام ١٤٠١هـ وسميت الطبعة الثانية وهي مطابقة للطبعة الأولى بحلب، إلا أنها جعلت في أربعة مجلدات منفصلة. وهي الطبعة التي أعزرو إليها في حواشي هذه الرسالة، وقد حرصت على تصويب ما أنقله منها مما كان فيه أخطاء طباعية.

٣ - ثم طبع الكتاب في القاهرة سنة ١٣٦٧هـ بتحقيق كل من الشيخين: أحمد محمد شاكر، ومحمد حامد الفقى - رحمهما الله. ولم أقف على هذه الطبعة مستقلة، وإنما وقفت عليها مضمونة مع غيرها كما سيأتي.

٤ - وطبع مع غيره في مطبعة السُّنة النبوية بالقاهرة سنة ١٣٦٩هـ في مجموع اشتمل على مختصر سنن أبي داود للإمام الحافظ المنذري وقد جعل في أعلى كل صفحة من الكتاب، ثم يليه «معالم السنن» للخطّابي، وتبدأ دائماً بعبارة: قال الشيخ، ثم تهذيب الإمام ابن قيم الجوزية لسنن أبي داود مصدراً بقال الشيخ ابن القيم أو قال الإمام ابن القيم: (وقد جعلنا في وسط كل

صفحة ذكرها فيها) ويفصل بين كل منهما خط أسود طويل .

ويقع هذا المجموع في ثمانية مجلدات، متوسطة الحجم، ألحق بكل منهما فهرس للأبواب في آخره. واشترك كل من الشيخ/ أحمد محمد شاكر والشيخ/ محمد حامد الفقى رحمهما الله في التعليق على المؤلفات الثلاثة السابقة حتى بلغا منتصف المجلد الثالث من كتاب الصيام، باب فيمن اختار الصيام ج ٣/ ص ٢٨٩، حيث لم يشترك الشيخ/ أحمد محمد شاكر في التعليق على الكتاب فأتم الأجزاء الخمسة المتبقية الشيخ/ محمد حامد الفقى. ولما فرغ من التعليق على الكتاب ذيل المجلد الثامن بنقل التنبيهات التي ذكرها الشيخ/ أبو الطيب محمد بن أمير الشهرير بشمس الحق العظيم أبادي - رحمه الله - في خاتمة شرحه المسمى: «عَوْنُ المعبود، شرح سنن أبي داد».

ثم أعقبها بنقل المقدمة التي كتبها الإمام أبي طاهر السلفى عند إملائه لمعالم السنن على طلابه .

ثم ختم الكتاب بفهرسين أولهما: فهرس إجمالي عام لجميع الكتب المذكورة في الكتاب ثم فهرس تفصيلي على حسب أسماء الصحابة مرتب على حروف المعجم ذكر فيه ما لهم من أحاديث في مختلف الأبواب .

ويلاحظ على هذه الطبعة عدم اعتمادها على نسخ خطية «لمعالم السنن» بل نقلوا طبعة الشيخ الطباخ المذكورة أولاً. وقد

أشاروا لذلك في مقدمة الطبع عقب الترجمة المختصرة للإمام الخطابي.

٥ - وطبع أكثره أيضاً بحاشية «سنن أبي دواد». وذلك بدار الحديث بحمص بسوريا في خمسة مجلدات من الحجم الكبير صدر الأول سنة ١٣٨٨هـ والخامس سنة ١٣٩٤هـ، وقام بالتعليق وتخريج أحاديث الأجزاء الثلاثة الشيخ عزت عبيد دعاس، وشاركه في الجزء الرابع والخامس: عادل السيد. وقد جعلنا «معالم السنن» في حاشية الكتاب مُصدراً بعبارة قال الشيخ:

ومختوماً بكلمة: (خطابي) واعتمد على طبعة الطباخ «لمعالم السنن» كما أشار إلى ذلك في خاتمة الكتاب، وأضاف في بعض المواضع شروحاتاً منقولة من «مختصر السنن» للمنزري أو من «تهذيب ابن القيم» للسنن، أو من تعليق محمد محي الدين عبد الحميد على سنن أبي دواد.

وتمتاز هذه الطبعة بحرص ناشريها على تصويب أحاديث سنن أبي داود وتحقيقها على نسخة مخطوطة محفوظة بالمكتبة الظاهرية بدمشق، ومقالتها على عدة طبعات لسنن أبي داود. امتازت بتخريج أحاديثها وترقيمها وكثرة التعليقات المنقولة عن عدد من الشروح المذكورة أعلاه.

وختمت هذه الطبعة بفهرس عام لأحاديث سنن أبي داود، مرتباً على الأحرف الهجائية، قام بترتيبه/ عبد المهيمن الطحان.

٦ - أعلام الحديث

عنوان الكتاب، وتوثيق نسبه:

بسبب عدم تصريح المؤلف بأنه سمي كتابه باسم معين جعله عنواناً له، فإنه وقع اختلاف كثير في تحديد عنوان الكتاب، واختلفت أيضاً عناوين نسخ الكتاب الخطية، وتكاد تنحصر تسميات العلماء لهذا الكتاب فيما يلي:

١ - أعلام الحديث: سماه بهذا كل من الإمام السمعاني^(١)، وياقوت في قول له^(٢)، والصفدي في قول له^(٣)، وابن حجر^(٤) رحمهم الله تعالى وجاءت هذه التسمية عنواناً لمخطوطتي الكتاب المحفوظتين في الموصل^(٥) والهند^(٦) واختار هذه التسمية

(١) الأنساب ٢ : ٢٢٦ و ٥ : ١٥٩ .

(٢) معجم البلدان ٤ : ٢٥٣ .

(٣) الوافي بالوفيات ٧ : ٣١٧ .

(٤) فتح الباري ١١ : ٥١٠ .

(٥) ذكرها داود الجلي الموصل في كتاب «مخطوطات الموصل» ورقمها ٣٥ - ص ٩٤ .

(٦) ذكرها محقق الكتاب وسماها مخطوطة مكتبة بنكيبور بالهند ورقمها ١٥٠، أعلام الحديث ١ : ٦٩ و ٧٢ وانظر تاريخ التراث ١ : ٢٢٩ .

الأمير الدكتور/ محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود عند تحقيقه للكتاب^(١)، فجعلها عنواناً له^(٢)، وبها طبع الكتاب بتحقيقه^(٣).

٢ - أعلام السنن

وسماه بهذا كل من ياقوت في قول آخر غير السابق^(٤) والقفطي^(٥) وابن خلِّكان^(٦)، وحاجي خليفة^(٧)، وزعم أنَّ الخطابي سماه «أعلام السنن» وإسماعيل باشا^(٨).

٣ - أعلام البخاري

وسماه بهذا ابن قاضي شُهبة^(٩) رحمه الله تعالى.

-
- (١) في رسالة دكتوراة حصل عليها من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة سنة ١٤٠٥/١٤٠٦هـ.
 - (٢) للاستزادة عن سبب اختياره لهذا العنوان: انظر أعلام الحديث ١ : ٦٤ إلى ٦٨ و ٤ : ١٢٥٨ و ١٢٥٩.
 - (٣) طُبِعَ الكتاب بإشراف مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى سنة ١٤٠٩هـ، وصدر منه حتى كتابة هذه الرسالة ثلاثة أجزاء. وسيأتي الكلام مفصلاً عن طبع الكتاب، والجهود القيمة التي بذلها المحقق مشكوراً في نهاية هذا الفصل.
 - (٤) معجم الأدباء ١٠ : ٢٦٩.
 - (٥) أنباه الرواة ١ : ١٢٥.
 - (٦) وفيات الأعيان ٢ : ٢١٤.
 - (٧) كشف الظنون ١ : ١٢٥ و ٥٤٥ و ٦٣٨.
 - (٨) هدية العارفين ٥ : ٦٨.
 - (٩) طبقات الشافعية ١ : ١٥٧.

٤ - أعلام الجامع الصحيح

سماه بهذا الإمام الرازي^(١) وسماه بهذا الإمام أبو زرعة العراقي في تكملته لكتاب والده ابي الفضل العراقي المسمى «طرح التثريب»^(٢)، والسخاوي^(٣).

٥ - الأعلام على اختلاف في تنمة العنوان:

فسماه الإمام ابن الجوزي^(٤): الأعلام شرح فيها البخاري.

وسماه الإمام الفيروزآبادي^(٥): الأعلام تعليقاً على البخاري.

وسماه النووي^(٦) ابن خير الإشبيلي^(٧): الأعلام في شرح كتاب البخاري.

وجاء على غلاف مخطوطة مكتبة أيا صوفيا بتركية تسميته: ^(٨) «الأعلام شرح ما أشكل في البخاري على الأفهام»، أما عنوان

(١) مناقب الإمام الشافعي ص ٢٣٣.

(٢) طرح التثريب ٧ : ٢٦١.

(٣) فتح المغيث ١ : ٦٤.

(٤) المنتظم ٦ : ٣٩٧.

(٥) البلغة - ص ٩٥.

(٦) بستان العارفين - ص ٢٧ وتهذيب الأسماء واللغات ١ : ٧.

(٧) فهرسة ابن خير - ص ٢٠١.

(٨) نقلاً مما ذكره محقق الحديث في وصفه لنسخ الكتاب الخطية ١ : ٦٤ إلى ٧١.

مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط فهو: (١)

«الأعلام في شرح معاني جامع الصحيح».

أما مخطوطة مكتبة فيض الله بتركيا فهو: (٢): الأعلام على البخاري.

٦ - شرح البخاري:

سماه بهذا شيخ الإسلام ابن تيمية (٣)، وياقوت الحموي في قول له (٤)، وكذا الصفدي (٥)، والسيوطي (٦)، وعبد القادر البغدادي (٧).

قلت ولعل أقرب التسميات إلى مراد المؤلف وواقع الكتاب تسميتان:

١ - الأعلام شرح ما أشكل في البخاري على الأفهام.

فهذه مأخوذة من كلام المؤلف في مقدمة الكتاب في

(١) نقلاً مما ذكره محقق الحديث في وصفه لنسخ الكتاب الخطية ٦٤ : ١ إلى ٧١.

(٢) نقلاً مما ذكره محقق الحديث في وصفه لنسخ الكتاب الخطية ٦٤ : ١ إلى ٧١.

(٣) الإيمان - ص ٣٤٣. وانظر مجموع الفتاوى ٧ : ٣٥٩.

(٤) معجم الأدباء ٤ : ٢٥٣.

(٥) الوافي بالوفيات ٧ : ٣١٧.

(٦) بغية الوعاة ١ : ٥٤٧ وطبقات الحفاظ - ص ٤٤.

(٧) خزانة الأدب ٢ : ١٢٣.

قوله^(١): «أن أشرح كتاب الجامع الصحيح لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - رحمه الله - وأن أفسر المُشكِل من أحاديثه، وأبين الغامض من معانيها. . الخ

وقوله^(٢): ورأيت في حق الدين وواجب النصيحة لجماعة المسلمين أن لا أُمْنَع ميسور ما أسبغ له من تفسير المشكل من أحاديث هذا الكتاب، وفق معانيها.

٢ - أعلام الجامع الصحيح

وهذه أيضاً مطابقة لمضمون شرحه حيث لم يقتصر على تفسير المشكل، ولكنه تناول وتناول غيره من الأمور البارزة التي رآها تحتاج إلى بيان في الكتاب كشرح الغريب، وتناول بعض الأحكام والفوائد وما يتعلق بها، ولما كان هذا الكتاب - كما سيأتي - تالياً لتأليفه كتاب «معالم السنن» فإن تقارب العنوانين أمر متوقع من المؤلف، لأن «المعالم» و«الأعلام» يطلقان بمعنى الدلالة على الأمور البارزة، فسمى الأول «معالم السنن» أي سنن أبي داود.

أطلق من جاء بعده على كتابه الثاني «أعلام الجامع الصحيح».

ولكن لما كان الكتاب قد طُبِعَ محققاً بعنوان «أعلام الحديث

(١) أعلام الحديث ١ : ١٠١ .

(٢) أعلام الحديث ١ : ١٠٤ .

في شرح صحيح البخاري»، فإني سأسير على ذلك في العزو إليه في هذا الكتاب، رغبة في توحيد مسمى الكتاب بحسب ما هو مطبوع ومعروف به في المكتبات، ولدى الأوساط العلمية.

أما عن التسميات الأخرى للكتاب فكلها - عدا ما اخترته - اجتهادات حسب نظر أصحابها في مضمون الكتاب، وفي بعض عبارات المؤلف في مقدمة الكتاب أو خاتمته كما قدمت.

فتسميته بأعلام الحديث، أو أعلام السنن - برغم كثرة القائلين بها إلا أنها لا تدل على محتوى الكتاب بخصوصية، وكذلك تسميته بأعلام البخاري أو الأعلام.

أما تسميته بشرح البخاري أو تفسير أحاديث الجامع الصحيح فهي تسمية البعض باسم الكل وفيها توسع كبير يخالف ما سار عليه المؤلف من عدم شرح كافة أحاديث صحيح البخاري، بل الاكتفاء بما رآه محتاجاً للشرح. هذا فيما يتعلق بتسمية الكتاب.

أما توثيق نسبته إليه فأمر لا يتطرق إليه الشك، وذلك لشهرة الكتاب، وكثرة من ذكره، ونقل عنه من المتقدمين والمتأخرين.

المراد بأعلام الحديث:

الأعلام بفتح الهمزة في اللغة جمع علم، له عدة إطلاقات أقربها إلى الدلالة على عنوان الكتاب هو قولهم:

العَلْمُ شيءٌ ينصب في الفلوات يهتدي به الضالّة...، ويقال لما يُبنى في جواد الطريق من المنازل يستدل بها على الطريق

أعلام^(١)، فيفهم من هذا أنّ المراد بالأعلام: الأمور البارزة التي تحتاج لتفسير حسب رأي الإمام الخطابي - من كتاب الجامع الصحيح للإمام البخاري. سواءً ما يتعلق منها بالدراية أو الرواية فكأنه بذلك قد يَسَّرَ سلوك الطريق لمن أراد فهم الجامع الصحيح.

وهذا يفيد أنه لم يقصد شرح صحيح البخاري كاملاً، بل قصد شرح ما كان مُحتاجاً إلى بيان وتوضيح فقط.

مما يؤكد هذا أنّ الإمام الخطابي قد ألف هذا الكتاب بعد «معالم السنن» فالمعالم والأعلام متقاربان في المعنى اللغوي.

ويدل على ذلك قول الإمام الخطابي^(٢): المعلم واحد، معالم الأرض أي أعلامها التي يُهتدى بها في الطريق.

موضوع الكتاب:

بيان ما احتاج لشرح في نظر المؤلف من أحاديث الجامع الصحيح للإمام البخاري من حيث متونها، أو أسانيدها، أو هما معاً. وذلك بتفسير الكلمات الغريبة، وإصلاح غلطها.

والكلام على أحكام الحديث الفقهية أو آدابه الشرعية. مع تناول درجة الحديث والكلام على رجاله أو إسناده - إن احتاج لذلك - إضافة لتفسيره للمشكل من الأحاديث التي قد تعد من

(١) لسان العرب ٢ : ٨٧١ مادة علم.

(٢) أعلام الحديث ٣ : ٢٢٦٨.

متشابه العلم مما له تعلق بالأسماء والصفات أو اليوم الآخر - وغيرها - كما يتضح ذلك في محتويات هذا الشرح .

شرط المؤلف في شرحه :

شَرَطَ المؤلف في شرحه هو الحرص على الاختصار ويتمثل ذلك فيما يلي :

١ - أن ما سبق شرحه من الأحاديث في كتاب «معالم السنن» فإنه لا يعيده كاملاً لثلاثي يهجن الكتاب بالتكرار . ولكن بإيجاز ، وقد يُضيف إليه ما تيسر من فوائد لم تذكر هناك ، أما ما لم يشرحه في كتاب «معالم السنن» فإنه يُوفيه حقه من الشرح والبيان ويدل على هذا قوله^(١) : «وقد تأملت المشكل من أحاديث هذا الكتاب ، والمُستفَسَّر منها فوجدت بعضها قد وقع ذكره في كتاب «معالم السنن» مع الشرح له ، والإشباع في تفسيره ، ورأيتني لو طويتها فيما أُفسِّره من هذا الكتاب ، ضربت عن ذكرها صفحاً اعتماداً مني على ما أودعته ذلك الكتاب من ذكرها . . كنتُ قد أخللت بحق هذا الكتاب ، فقد يقع هذا عند من لا يقع عنده ذاك ، وقد يرغب في أحدهما من لا يرغب في الآخر ، ولو أعدت فيه ذكر جميع ما وقع في ذلك التصنيف كنتُ قد هَجَنْتُ هذا الكتاب بالتكرار وعَرَضْتُ الناظر فيه للملال .

فرايت الأصوب أن لا أخليها من ذكر بعض ما تقدّم شرحه

(١) أعلام الحديث ١ : ١٠٤ و ١٠٥ .

وبيانه هناك، متوخياً الإيجاز فيه، مع إضافتي إليه ما عسى أن يتيسر في بعض تلك الأحاديث من تجديد فائدة، وتوكيد معنى، زيادة على ما في ذلك الكتاب؛ ليكون عوضاً عن الفائت وجبراً للنقص منه، ثم إنني أشرح بمشيئة الله الكلام في سائر الأحاديث التي لم يقع ذكرها في «معالم السنن»، وأوفيهما حقها من الشرح والبيان».

٢ - اشترط في شرحه للألفاظ الغريبة الاقتصار على القدر الذي تقع به الكفاية في معارف أهل الحديث.. لئلا يطول الكتاب وأحال على الكتب المؤلفة في غريب الحديث، ومنها كتاب «غريب الحديث» لأبي القاسم بن سلام - ت ٢٢٤هـ وغيره^(١).

٣ - ومما يدل على حرصه على الإيجاز وعدم الإطالة في الشرح ذكره لذلك في عدة مواضع عند شرحه لبعض الأحاديث ومنها قوله: «فالقدر الذي ذكرناه هاهنا كاف على شرط ما أنشئ له هذا الكتاب - إن شاء الله»^(٢).

وقوله: «والكلام في هذا يطول، والذي ذكرناه منه يكفي المفهم الموفق»^(٣).

(١) انظر ١ : ١٠٥ .

(٢) انظر ١ : ١٤٥ .

(٣) ١ : ٧٢١ ، وانظر : ٢ : ١٢٧٨ و ١٥٠٣ .

وقوله في آخر الكتاب: «هذا منتهى القول فيما تيسر من تفسير أحاديث الجامع الصحيح، وقد اختصرنا الكلام في عامتها إلا في مواضع لم نجد من إشباع القول فيها بُدًّا لإشكالها وغموض معانيها.. الخ^(١)».

وكما أشرت من قبل فإنَّ الإمام الخطَّابي - كما تقدم - لم يشرح كل أحاديث الجامع الصحيح، بل اقتصر على ما رآه محتاجاً لشرح وبيان.

فإذا وجد القارىء أنَّ الإمام الخطَّابي لم يذكر كتاباً من كتب الصحيح، أو باباً من أبوابه أو بعض أحاديث من أي باب فليعلم أنَّ الخطَّابي يختار ما يراه مُحتاجاً لشرح وبيان فقط.

عدد الأحاديث المشروحة في أعلام الحديث:

ليعلم القارىء الكريم أنَّ الإمام الخطَّابي لم يشرح من كتاب «الجامع الصحيح» للبخاري سوى ربعة تقريباً. فلقد بلغ عدد الأحاديث التي شرحها - حسب ترقيم المحقق ثمانية وثلاثين ومائتين وألف حديث (١٢٣٨).

هذا ومن المعلوم أنَّ أحاديث صحيح البخاري تربو على أربعة آلاف حديث - بحذف المكرر - على خلاف في تحديد العدد

(١) ٤ : ٢٣٥٨.

بَسَطَهُ الإمام الحافظ ابن حجر في «هدى الساري» مقدمة فتح
الباري^(١).

أولية الخطابي في شرح صحيح البخاري:

يعتبر شرح الخطابي لصحيح البخاري هو أول شروحه التي
وصلت إلينا، إذ لم تذكر المراجع^(٢) التي اهتمت بصحيح
البخاري والعناية به - شرحاً أو اختصاراً أو تعقيباً - ونحوها -
شرحاً وَصَلَ إلينا قبل شرح الخطابي له، وتلك مَزِيَّةٌ وَمَنْقَبَةٌ
للإمام الخطابي حيث يعتبر أول من حَمَلَ راية شرح أصح كتب
السنة ألا وهو صحيح البخاري - رحمه الله - وما ذكره في مقدمة
شرحه يدل على أنه أول شارح لصحيح البخاري، إذ ذكر حاجة
الناس لشرحه وما انتشر بينهم من الجهل والبدع، فرأى من
واجبه القيام بذلك لما فيه من واجب النصيحة للمسلمين فلو أن
أحداً سبقه لشرح صحيح البخاري لأحال عليه، أو أشار إليه أو
لذكر كتابه وأبان عما فيه من قصور ونحوه، وأنه سيقوم بسدد
خلله، أو غير ذلك، لكن لما لم يذكر ذلك ترجح والله أعلم

(١) هدى الساري - ص ٤٦٥ .

(٢) انظر مثلاً مقدمة إرشاد الساري ١ : ٤١ .

وكشف الظنون ١ : ٥٤٥ وتاريخ التراث العربي ١ : ٢٢٩ و٤٢٨ ،
وكتاب الإمام البخاري وصحيحه - ص ٢٣٠ وما بعدها، ومقدمة
«لامع الداري» ص ٤١٠ .

أسبقيته إلى شرح صحيح البخاري، وجزم د/ سزكين^(١) بأوليّة الخطاب في شرح البخاري.

قلت: عبرت بقولي: إنّ شرح الخطابي هو أول شرح وصل إلينا، احترازا من الشروح التي قد تكون سابقة على زمن الخطابي، ولكن لم نعلم عنها شيئاً، ولم يبلغنا شيء منها، ولا ذكراً لها. فقلت ذلك احتياطاً^(٢).

(١) تاريخ التراث العربي ١ : ٢٢٦.

(٢) أنبه هنا على ما ذكره صاحب كتاب «إتحاف القاري» بمعرفة جهود وأعمال العلماء على صحيح البخاري».

من أن ثلاثة شروح قد سبقت شرح الخطابي وهي:

١ - المُصنّف على الصحيحين للإمام أبي عبد الله: محمد بن

يعقوب بن يوسف بن الأخرم النيسابوري - ت ٣٤٤هـ.

٢ - شرح الجامع الصحيح للبخاري للإمام أبي علي الحسين بن محمد

الماسر جسي النيسابوري - ت ٣٦٥هـ.

٣ - شرح الجامع الصحيح للإمام أبي أحمد محمد بن محمد

النيسابوري الكراييسي المعروف بالحاكم الكبير - ت ٣٥٨هـ.

قلت: قمت بمراجعة تراجم هؤلاء الأئمة في مظانها، وتتبع

المؤلفات التي ذكرت تلك الشروح فترجح لي أن صاحب «إتحاف

القاري» قد وهم في تسميتها شروحاً - بل هي مستخرجات على

صحيح البخاري كما نصّ على ذلك بعض من ترجموا لهؤلاء الأئمة،

ومن ذكر والمتسخرجات على الصحيحين، فعدوا تلك المؤلفات

منها، ولم أجد من سماها شروحاً سوى صاحب كتاب «هدية

العارفين» فقد سمى كتاب الحاكم الكبير «شرح الجامع الصحيح =

ترتيب الكتاب :

لما كان الكتاب المتصدى لشرحه هو «صحيح البخاري» فإنَّ الخطابي قد سَلَكَ نفس ترتيب الصحيح في الكتب والأبواب والأحاديث، باعتباره الكتاب المشروح، ولم يخرج عن ذلك إلا في أحيان قليلة - كما سيأتي ذكره.

ومن المعلوم أن صحيح البخاري كتاب جامع لعدد من أبواب العلم وليس مقتصراً على الأبواب الفقهية فقط. وقد أشار الخطابي لهذا في مقدمة الكتاب فقال:

«وغير ض صاحب هذا الكتاب - يعني صحيح البخاري - إنما هو ذكر ما صحَّ عن رسول الله ﷺ من حديث في جليل من العلم أو دقيق ولذلك أدخل فيه كل حديث صحَّ عنه في تفسير القرآن، وذكر التوحيد والصفات، ودلائل النبوة، ومبدأ الوحي وشأن البعث، وأيام رسول ﷺ وحروبه ومغازيه وأخبار القيامة، والحشر والحساب والشفاعة، وصفة الجنة والنار، وما ورد منها في ذكر القرون الماضية، وما جاء من الأخبار في المواعظ والزهد، والرفاق

= للبخاري»، والراجع أنه مستخرج إذ ذكر في ترجمة الحاكم الكبير أنه صنَّف على الصحيحين وعلى جامع الترمذي وهذا يفيد أن هذه مستخرجات وليست شروحاً.

ومن الطريف في الأمر أن صاحب «إتحاف القاري» قد عدَّها من المُستخرجات على البخاري في مقدمة كتابه، ثم عدَّها من الشروح في أثناء الكتاب!!!

إلى ما أودعه بعد من الأحاديث في الفقه والأحكام والسنن، والآداب، ومحاسن الأخلاق، وسائر ما يدخل في معناها من أمور الدين، فأصبح هذا الكتاب كنزاً للدين، وركازاً للعلوم^(١) الخ... ومما يدلُّ على أغلبية اقتفاء الخطابي لترتيب البخاري وإشارته لعدم مخالفته قوله في آخر شرحه «... ووجدت صاحب الكتاب لم يرتب ما وضع فيه من الأحاديث ترتيب الكتب المصنفة في أبواب الفقه والعلم. فيضم كل نوع منه إلى لفقه^(٢) ويضعه في بابه، ولا يخلطه بغيره كما فعله أبو داود في كتابه - فوق كلاً منا في تفسيرها على حسب ذلك اتباعاً لمذهبه وحفظاً لرسمه^(٣). أهـ

وقوله أيضاً عد شرحه لحديث مالك بن صعصعة قال: «قال النبي ﷺ بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان فأتيت بطست من ذهب. وذكر حديث المعراج^(٤)».

(١) ١ : ١٠٢ .

(٢) لفقه: مشتقة من لفق الثوب لفقاً أي: ضم إحدى الشقتين إلى الأخرى وخالطهما، فلعل المؤلف شبه ضم أنواع الحديث مع بعضها بضم شقتي الثوب - المعجم الوسيط: لفق..

(٣) ٤ : ٢٣٥٨ .

(٤) ٢ : ١٤٧٩ ، والحديث أخرجه البخاري في عدة مواضع منها في كتاب بدء الخلق - باب ما ذكر الملائكة، برقم ٣٢٠٧٦ . وذكر طرفاً منه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله عز وجل ﴿هل أتاك حديث موسى...﴾ الآية برقم (٣٣٩٣) ومسلم في الإيمان باب الإسراء برسول

«وقد وقع أطراف من هذا الحديث في مواضع متفرقة من هذا الكتاب على حسب ترتيب مصنفه، وذكرت معانيها في مواضعها. الخ

ومع اقتفاء الإمام الخطابي فيما شرحه لترتيب الإمام البخاري في صحيحه، وتكرر إشارته إلى مراعاة ذلك إلا أنه أحياناً يقدم بعض الأحاديث على غيرها، أو يجعلها في غير بابها لما رآه من مناسبة في جمع تلك الأحاديث في موضع واحد، من أمثلة ذلك أنه في كتاب بدء الوحي، بعد شرحه لحديث الحارث بن هشام - رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس^(١). الخ الحديث.

قال الخطابي^(٢): وقد روى أبو عبد الله فيما يشبه هذا حديثاً في كتاب المناسك كتبناه هاهنا إذ كان مُشاكلاً لهذا الحديث.

-
- (١) الله ﷺ - رقم ١٦٤. متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي. باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ رقم ٢. وفي بدء الخلق باب ذكر الملائكة رقم ٣٢١٥. ومسلم في الفضائل. باب عرق النبي ﷺ في البرد حين يأتيه الوحي رقم ٢٣٣٣.
- (٢) ١: ١٢٢.

ثم ذكر الحديث^(١)

قال الخطابي^(٢): هذا شبيه في المعنى لما تقدم ذكره في الحديث الأول من صعوبة الأمر عليه في تلقى الوحي عند وروده وضعف القوة البشرية عن احتمالها . . الخ

وذكر أمثلة أخرى . . غير هذا أكتفي بالإحالة على مواضعها^(٣) رغبة في عدم الإطالة.

أثره في غيره:

لما كان كتاب «أعلام الحديث» هو أول شرح لصحيح البخاري فقد اهتم الذين شرحوا صحيح البخاري من بعده به، واستفادوا منه. ونقلوا عنه، أو تعقبوه، مع ثنائهم عليه في مؤلفاتهم المتعلقة بصحيح البخاري.

فممن أثنى عليه الإمام الكرمانى المتوفى سنة ٧٨٦هـ فقال: ^(٤) «كتاب العلامة أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي شكر الله مساعيه، فيه نكت متفرقات، ولطائف على

(١) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الحج. باب غسل الخلق ثلاث مرات من الثياب. رقم ١٥٣٦.

ومسلم في كتاب الحج. باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة. رقم ١١٨.

(٢) ١ : ١٢٤.

(٣) انظر مثلاً ١ : ٥٢٦ و ٢ : ١٠٥٧.

(٤) الكواكب الدراري ١ : ٣.

سبيل الطفرات». وقال الإمام القسطلاني المتوفى سنة ٩٢٣هـ^(١):

«.. وقد اعتنى الأئمة بشرح هذا الجامع - أي الجامع الصحيح للبخاري - فشرحه الإمام أبو سليمان أحمد^(٢) بن محمد بن إبراهيم الخطابي بشرح لطيف فيه نكتٌ لطيفة، ولطائفُ شريفة».

ونقل هذا الشفاء بنصه العلامة حاجي خليفة،^(٣) والعلامة محمد زكريا الكاندهلوي^(٤).

أما من اعتنى به، فقال حاجي خليفة:^(٥)

واعتنى الإمام محمد التميمي - التيمي -^(٦) بشرح ما لم يذكره الخطابي مع التنبيه على أوهامه.

(١) إرشاد الساري ١ : ٤١ .

(٢) انظر المبحث المتعلق باسمه من هذا الكتاب، ورجحت أنه حمّد.

(٣) كشف الظنون ١ : ٥٤٥ .

(٤) مقدمة لامع الدراري على جامع البخاري - ص ٤١٠ .

(٥) كشف الظنون ١ : ٥٤٥ .

(٦) هكذا في المرجع السابق بالنسبتين معاً، ويعدُّ هذا من «المتفق والمفترق» فلقد وقفت على أسماء علماء كلهم محمد التميمي، وواحد اسمه محمد التيمي، ولكل منهم شرح على صحيح البخاري. قلت: والظاهر - والله أعلم - أنه محمد بن يحيى ابن الحذاء المتوفى سنة ٤١٦هـ من زمن الخطابي.

وكذا أبو جعفر أحمد بن سعيد الداوودي^(١)، وهو ممن ينقل عنه ابن التين^(٢).

ونقل هذا القول بنصه القسطلاني^(٣)، والمباركفوري^(٤)، والكاندهلوي^(٥) وغيرهم.

أما نقول العلماء عنه فكثيرة في مؤلفاتهم المختلفة، فمن نقل عنه من الشارحين لصحيح البخاري.

١ - الإمام شمس الدين محمد بن يوسف الكرماني - ت ٧٩٦هـ في كتابه «الكواكب الدراري» نقل من شرح الخطابي كثيراً في عدة مواضع^(٦).

(١) قوله: أحمد بن سعيد وَهُمْ، والصحيح أنه «أبو جعفر أحمد بن نصر الداوودي الأسيدي» - ت ٤٠٢هـ له «النصيحة في شرح البخاري» ذكره صاحب الديباج المذهب ١ : ١٦٥، وإتحاف القاري - ص ٩٨، ومقدمة لامع الدراري - ص ٤١٠.

(٢) هو أبو محمد عبد الواحد بن التين الصفاقسي المغربي المالكي - ت ٦١١هـ شرحه هو «المخبر الفصيح في شرح البخاري الصحيح» انظر: شجرة النور الزكية ١ : ١٦٨ وإتحاف القاري - ص ١٩١ والحطة - ص ٣٢٤.

(٣) إرشاد الساري ١ : ٤١.

(٤) مقدمة تحفة الأحوذى ١ : ٢٥٤.

(٥) مقدمة لامع الدراري - ص ٤١٠.

(٦) انظر مثلاً ج ١ : ٢٩ و ١١٠ و ١١٧ و ١٢١ و ١٤٩ و ١٦٢ و .. وغيرها.

٢ - الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني - ٨٥٢هـ في كتابه الحافل: «فتح الباري شرح صحيح البخاري» نقل من شرح الخطابي كثيراً بل أكاد أجزم أنّ الحافظ ابن حجر قد نقل أكثر كلام الخطابي لما شرحه من أحاديث الجامع الصحيح وذلك لأنه لا تكاد تمر بباب من أبواب «فتح الباري» إلا تجد للخطابي فيه ذكراً.. سواء نقل عنه، أم تعقب أو نحو ذلك.

أما ذكر مواضع نقوله في فتح الباري فكثيرة جداً يطول سردها.. لذا فقد قمت بتتبع مواضع نقوله في المجلد الأول فقط، نظراً لطول الكتاب مع ذكر بعض المواضع في المجلدات الأخرى^(١). هذا ولقد بلغ مجموع ما ورد فيه ذكر اسم الخطابي في المجلد الأول فقط مائة وسبعة مواضع ومن النقول عنه في المؤلفات الحديثية الأخرى مايلي:

٣ - ممن أكثر النقل عن «أعلام الحديث» الإمام أبو زكريا

-
- (١) انظر مثلاً ج ١: ١٠ و ١١ و ١٥ و ٢٠ و ٢٤ و ٢٦ و ٣٩ و ٤٠ و ٥٢ و ٥٩ و ٦٥ و ٧٣ و ٨٨ و ٩٠ و...
 ج ٢: ٣٢٧ و ٣٤٣ و ٥١٦ و ١٨٥.
 ج ٣: ١٣ و ١٥٨ و ٢٢١ و ٣٩٣.
 ج ٦: ٤٠٩ و ٥٣٩ و ج ٧: ٣٤، ٨، ٣١ و ٣٢ و ٥٧٥.
 ج ٩: ٢٦٠ و ٥٧٤ و ٦٣٩ و ج ١٠: ١٠٦٣ و ١٦٨ و ج ١١: ٤٢ و ٤٧٥ و ٥١٠ و ١٢: ٤٠٥.
 ج ١٣: ٣٢٧ و ٤٠١ و ٤٨٣.

يحيى بن شرف النووي - ت ٦٧٦هـ في بعض كتبه ومنها:
«الأذكار المنتخب من كلام سيد الأبرار».

فلقد نقل عنه في أول الكتاب كلامه بنصه عن أهمية حديث
«إنما الأعمال بالنيات» واستحباب أهل العلم تقديمه أمام كل
شيء من أمور الدين^(١).

وجعل «أعلام الحديث» من موارده في كتابه «تهذيب الأسماء
واللغات»^(٢).

وقال في كتابه: «بُستان العارفين»^(٣) وروينا عن الإمام أبي
سليمان حمد بن محمد الخطابي، فيما قرأته في أول كتابه
«الأعلام في شرح صحيح البخاري».

ونقل منه في عدة مواضع من كتابه «الترخيص بالقيام لذوي
الفضل والمزية من أهل الإسلام»^(٤).

٤ - وممن استفاد من «أعلام الحديث» أيضاً الإمام زين
الدين أبو الفرج عبد الرحمن علي شهاب الدين المعروف بابن
رجب الحنبلي - ت ٧٩٥هـ.

في كتابه القيم: «جامع العلوم والحكم».

(١) الأذكار - فصل في الأمر بالاخلاص وحسن النيات - ص ٦.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٧.

(٣) بستان العارفين - ص ٢٧.

(٤) الترخيص بالقيام - ص ٣٨ و ٣٩ و ٥٢ و ٧٠ و ٧١.

فلقد نقل منه في عدة مواضع عند شرحه لبعض الأحاديث الثابتة في صحيح البخاري مع تصريحه باسم الخطابي^(١) - رحمه الله - . وذلك في شرحه للحديث الأول والثاني والثالث والعشرين .

٥ - ونقل منه الإمام زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي - ت ٨٠٦هـ - رحمه الله . وابنه أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي - ت ٨٢٦هـ في كتابهما «طرح الثريب في شرح التقريب» في عدة مواضع^(٢) مع التصريح باسمه فقال^(٣) :
وقال الخطابي في : أعلام الجامع الصحيح .

٦ - ونقل الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ت ٦٧١هـ - رحمه الله - في كتابه : «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة»^(٤) .



-
- (١) جامع العلوم والحكم - ص ٥ و ٣٥ و ١٨٦ .
 - (٢) طرح الثريب ٢ : ٣ و ١٩ و ٣٤ و ١٧٣ و ١٩٦ و ٢٢٥ .
 - (٣) المرجع السابق ٧ : ٢٦١ .
 - (٤) التذكرة ص ٢٠ و ١٩٧ و ١٩٩ و ٣٧٩ و ٦١٤ و ٦٢٨ و ٦٤١ و ٦٧٥ و ٧٨٨ و ٩٩١ .

تقويم الكتاب

١ - المميزات:

الحديث عن مميزات كتاب «أعلام الحديث» أمر يطول ذكره لكثرة ما امتاز به هذا الشرح العلمي الجليل - ولكنني أقصر على أهمها فمنها:

١ - يُعتبر هذا الكتاب أول شرح لكتاب الجامع الصحيح للإمام البخاري، وفي هذا منقبةٌ ومزيةٌ له حيث أنه لما تتابع الشارحون لصحيح البخاري بعده توافروا على شرح الخطابي، فاستفادوا منه كثيراً، ونقلوا عنه، كما سبق في أثره في غيره من المؤلفات.

٢ - يشكل «أعلام الحديث» مع «معالم السنن» مجموعاً هاماً في شرح عددٍ كبيرٍ من احاديث السنة النبوية بتفسير غريبها، وذكر ما استنبط من أحكام وآداب ونحو ذلك مما يتعلق بعاصر شرحه.

٣ - اشتماله على عدد من آراء وترجيحات المؤلف التي تعتبر تقويماً وغرابة لآراء من سبقوه.

٤ - أنه ليس مقصوداً على شرح الأحاديث المتعلقة بأبواب الفقه والآداب - كما في «معالم السنن» - بل اشتمل على شرح

أحاديث من مختلف أبواب العلم تبعاً لما ذكره البخاري من أبواب متعددة في تفسير القرآن، وذكر التوحيد والصفات، والمغازي، والمناقب، والفتن، وذكر التوحيد والصفات، والمغازي، والمناقب، والفتن، والطب، ونحوها.

فتبيّن منها معرفة آرائه في تلك الأبواب، وأقواله في شرحها.

٥ - تميز الكتاب بوضوح منهج الإمام الخطابي فيه، حيث سار على ما التزم به في مقدمة الكتاب.

٦ - وتميّز بإيجاز عبارة الخطابي فيه، فجاء مختصراً وافياً بالمطلوب دون إطالة.

كما وصفه العلامة القسطلاني^(١): بأنه شرح لطيف، فيه نكت لطيفة، ولطائف شريفة.

٧ - أنه يعتبر مرجعاً هاماً في معرفة أسماء شيوخ الإمام الخطابي حيث صرح فيه بأسماء كثيرة منهم ممن لم نقف على رواية للخطابي عنه إلا في هذا الكتاب.

٨ - عَنِي فيه كثيراً - كعاداته - بإصلاح المحدثين - .

٩ - حوى كمية وافرة من الأبيات الشعرية، والرجز وأمثال العرب وأقوال أئمة اللغة وفصحائها، ومن ابتغى التوسع في هذا

(١) ارشاد السارى ١: ٤١ .

فليراجع فهرسة المحقق لها في نهاية تحقيقه للكتاب حيث أفرد
كلا منها بفهرس خاص .

١٠ - تضمّن شرحه عدداً من الفوائد العلمية التي تدل على
سعة اطلاعه ومعرفته وإلمامه بما في عصره عموماً ومنها:

أ - فيما يتعلق باللغات ذكر بعض الألفاظ الفارسية^(١)
والرومية^(٢) واليمانية^(٣) .

ب - وفيما يتعلق بالطب فلقد ذكر كثيراً من الفوائد الطبية
عند شرحه لأحاديث من كتاب الطب^(٤) . ولا غرو في ذلك،
فلإلمم الخطابي له مؤلف مستقل في الطب كما ذكر ذلك في
«أعلام الحديث»^(٥) .

ج - وحرص على الرد على المتكلمين بأسلوب كلامي يدفع
شبههم وبلسانهم الذي يحتاجون به^(٦) .

د - وفيما يتعلق بالأنساب قال: «والأنساب على وجوه:
نسب ولادي، ونسب بلادي، ونسب من جهة الدين اعتقادي،
ونسب صناعي، فيقال في نسب الولادي: سُلمي وأسدي، وفي

(١) انظر: ص ٦٣٩ وص ٥٤٥ .

(٢) انظر: ص ١٣٦٣ .

(٣) انظر: ص ٩٩٤ و١٧٦٨ .

(٤) انظر مثلاً - ص ٨٠١ و٢١٠٧ و٢١١٠ و٢١٢٢ و٢١٢٤ و١٨٠٠ .

(٥) ٢١٠٧ .

(٦) انظر مثلاً - ص ٧٢٠ و١٥١٢ إلى ١٥١٤ .

البلادي كوفي ومصري وإلى الأديان والمذاهب: سُني وقَدَري،
وفي ملل الكفر يهودي، ونصراني، وإلى الصناعات والمهن
صيدلاني وصيرفي^(١).

طبعُ الكتاب:

١ - قام الدكتور/ يوسف الكَتَّاني أستاذ الحديث بجامعة
القرويين بمدينة فاس بالمغرب بطبع الكتاب ونشره، دون
تحقيق، وسماه: «أعلام السُّنن».

واكتفى بطبعه ونشره على نُسخةٍ وحيدة عَثَرَ عليها بالخزانة
العامة بالمغرب، ضم كتب مكتبة تامكروت، واعتبر نفسه أول
من ينشر الكتاب على الناس، ويُقدِّمه للباحثين غير مسبوق إليه.

وأعلن التزامه بتحقيق الكتاب مستقبلاً، ولم أقف على تلك
الطبعة محققة أو بدون تحقيق، وإنما وقفت على عرض له موجز
شره في مجلة معهد المخططات بالكويت^(٢) سنة ١٤٠٢هـ -
١٤٠٣هـ.

٢ - ثم طبع الكتاب بعنوان «أعلام الحديث في شرح صحيح
البخاري» وذلك في رسالة علمية، لنيل درجة الدكتوراة من كلية
الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة -

(١) ص ١٧٥٩.

(٢) مجلة معهد المخطوطات - المجلد رقم ٣٦ الجزء الثاني من شهر
رمضان ١٤٠٢هـ - إلى صفر ١٤٠٣هـ، من ص ٧٢٥ إلى ص ٧٣٤.

بتحقيق الأمير/ د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود سنة ١٤٠٥هـ - ١٤٠٦هـ، وكان طبعه بالآلة الكاتبة فجاء مُحققاً في أربعة أجزاء من الحجم الكبير، وبلغ عدد أوراقه ١٦٠٤ ورقة، وقام مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة بنشر الكتاب مُحققاً ضمن سلسلة «من التراث الإسلامي»، وجاءت هذه الطبعة في أربعة أجزاء من الحجم الكبير حيث يقع كل جزء فيما يربو على ٧٣٠ صفحة، وقد صدرت الأجزاء الثلاثة من الكتاب سنة ١٤٠٩هـ. ثم تبعها الجزء الرابع مذيلاً بالفهارس.

ولقد قام المحقق بتحقيق الكتاب كاملاً، وبذل جهداً طيباً في العناية بالكتاب، وإخراجه وخدمته خدمة جليلة يَسْرَت للباحثين وطلاب العلم الانتفاع من الكتاب. ^(١) بجانب تلك المزايا العديدة

-
- (١) تبرز أهم الجوانب التي اهتم بها المحقق، واعتنى بخدمتها مايلي:
- ١ - تحقيق الكتاب على خمس نسخ خطية للكتاب، بذل المحقق جهده في الحصول عليها من مختلف مكاتب العالم، وعمل على تصويب النص، وذكر الفروق بين النسخ.
 - ٢ - الدراسة الوافية التي ذكرها في مقدمة التحقيق عن حياة الإمام الخطابي، وعصره ومؤلفاته ونحوها، وتبعها بذكر منهجه في تحقيق الكتاب.
 - ٣ - حرصه على تخريج الأحاديث الواردة في أثناء الشرح، وعزوها لمصادرها الأصلية.
 - ٤ - التعليق على بعض المواضع التي تحتاج لمزيد من البيان =

العديدة التي يُشكر المحقق عليها، أود أن أذكر بعض الملاحظات
اليسيرة^(١) التي ظَهَرَت لي بعد قراءتي للكتاب.

والإيضاح.

٥ - قام بترقيم الكتب والأبواب والأحاديث بحسب ترقيم محمد
فؤاد عبد الباقي لصحيح البخاري المطبوع ضمن «فتح الباري»، ثم
طبع مُستقلاً. كما قام بترقيم الأحاديث ترقيماً ذكرها عند الإمام
الخطابي في شرحه.

٦ - قام بالترجمة بإيجاز للأعلام الذين يَرِدُ ذكرهم في سند البخاري
أو أثناء الشرح.

٧ - فَسَّرَ عدداً من المفردات الغريبة التي لم يُفسِّرْها الخطابي، واستعان
في ذلك بعدد من كتب غريب الحديث ومعاجم اللغة العربية.

٨ - تخريج الأبيات الشعرية، وأمثال العرب، وعزوها لقائلها مع ذكر
بعض الكتب الأدبية التي أوردتها.

٩ - عزو الأقوال الفقهية التي يذكرها الخطابي إلى مظانها من كتب
الفقه بحسب كل مذهب.

١٠ - أجاد المحقق في تذييله لتحقيقه بفهارس عديدة خدمت الكتاب،
ويسرت الانتفاع به، وبلغت تلك الفهارس سبعة عشر فهرساً.

١ - في بعض التراجم اليسيرة، ترجم لغير من ذَكَرَ في الشرح، ومن

ذلك أنه عند تعليقه على الحديث في غزوة مؤتة، وفيه قول
الرسول ﷺ «أخذ الراية زيد فأصيب...» الحديث.

قال في ترجمة زيد: إنه زيد بن ثابت بن الضحَّاك.
والصحيح أنه زيد بن حارثة، قائد جيش المسلمين في غزوة مؤتة،

ولما استشهد بها خَلَفَهُ جعفر بن أبي طالب، ولما استشهد خلفه

عبد الله بن رواحة، ولما استشهد خلفه خالد بن الوليد وكانت مؤتة سنة ثمان للهجرة.

وكذلك عند تعليقه على قول الخطابي حديثه: أبو بكر الرازي (وهذا يفيد أنه شيخ للخطابي).

قال في ترجمته: الحافظ الإمام محدث نيسابور أحمد بن علي ابن الحسن أبو بكر الرازي، صاحب التصانيف، مات سنة ٣١٥هـ. فكيف يحدث الخطابي عن شيخ توفي قبل ولادته حيث ولد الخطابي سنة ٣١٩هـ!!؟

٢ - عدم تطابق الإحالات في المتن على الحواشي.. بوقوع بعض الأخطاء في الترقيم في ص ١٦ و ١٩٥ و ٥٣٩ و ١٤٤٢، أو ذكر بعض الحواشي دون ترقيم كما في ص ١١ و ٢٥١ و ١٨٤٣ و ٢١٩١ أو ترك بعض الحواشي عُفْلاً دون تعليق فيذكر الرقم فقط. كما في ص ٦٤.

٣ - وقوع سقط في ترقيم لوحات المخطوط فبعد أن ذكر اللوحة رقم ٧٥/ب بعدها ٨٠/ب ثم ٨٣/ب.

٤ - عند تعدادها للفهارس الفنية اعتبرها ستة عشر فهرساً، والواقع أنها سبعة عشر فهرساً إذ فاته فهرس الكتب الواردة في المتن وقد ذكره في نهاية الرسالة - ص ١٦٠٣. قبل فهرس الفهارس.

- وفي فهرس الكتب الواردة في المتن فاته ذكر عدد من الكتب الواردة في المتن ومنها:

- دلائل النبوة - ص ١٣٨٤، ومسألة في الطب - ص ٢١٠٧، ومسألة في الفطرة - ص ٧١٧، ومسألة في ابن الصياد - ص ٧١١، ومسألة في جمع القرآن - ص ١٨٥٢، وغريب الحديث - ص ١٢٥٦. وهذه كلها من تأليف الإمام الخطابي.

- =
- وكذلك فاته ذكر «غريب الحديث» لأبي عبيد - ص ١٩٨٨ و ٢٢٥٤ .
 - وكذلك كتاب «صحيح ابن خزيمة» ويسميه الخطابي: «المسند الصحيح» ص ٧٣٨ و ٧٣٩ و ٧٧٦ وغيرها .
 - وموطأ الإمام مالك - ص ١٠٧ .
 - وكتاب المُزَارعة لابن خزيمة - ص ١١٢٧ .
 - وكتاب إختلاف الفقهاء لأبي يعلى الساجي - ص ٣٨٧ .
 - وغيرها من الكتب التي قد سبق ذكرها في موارد الكتاب .
- وأخيراً أقول: إن هذه الملاحظات اليسيرة ما هي إلا اجتهاد من كاتبها قصدت منها خدمة الكتاب، وإلا فهي لا تقلل من شأن الجهد الضخم المبذول في تحقيق الكتاب، شكر الله للمحقق جهوده المثمرة، وأكثر الله من أمثاله لخدمة سنة المصطفى ﷺ .

الفهرس

الموضوع الصفحة

٧	الإهداء
٩	المقدمة
الفصل الأول: حياة الخطابي	
١٦	١ - اسمه
٢٢	٢ - نسبه
٢٣	٣ - كنيته
٢٣	٤ - نسبه
٢٩	٥ - مولده
٣١	٦ - نشأته وأخلاقه
٣٣	٧ - مهنته وأعماله
٣٧ - ٣٤	٨ - وفاته ومراثيه

الفصل الثاني: شخصية الخطابي العلمية

٤١	١ - طلبة العلم ورحلاته العلمية
٤٧	٢ - شيوخه
٦٢	٣ - تلاميذه والرواة عنه

- ٦٨ - مذهبه الفقهي
- ٦٩ - الخطابي شاعراً وأديباً
- ٧٦ - ٧٥ - شخصيته العلمية وثناء العلماء عليه

الفصل الثالث : مؤلفات الإمام الخطابي

- ٨٥ - تمهيد
- ٨٧ - مؤلفاته في الفنون المختلفة - عدا الحديثية
- ٩٣ - ١ - مسألة في ابن الصياد
- ٩٣ - ٢ - بيان إعجاز القرآن والكلام عنه بتوسع
- ٩٩ - ٣ - تفسير اللغة التي في مختصر المزني
- ١٠٠ - ٤ - التوحيد
- ١٠١ - ٥ - مسألة في جمع القرآن
- ١٠١ - ٦ - الجهاد
- ١٠٢ - ٧ - دلائل النبوة
- ١٠٢ - ٨ - الرسالة الناصحة
- ١٠٣ - ٩ - السراج
- ١٠٣ - ١٠ - الشجاج
- ١٠٥ - ١١ - شرح كتاب «الدعوات» لابن خزيمة
- ١٠٥ - ١١ - شرح الأسماء الحسنى
- ١٠٥ - ١٣ - شعار الدين وبراهين المسلمين
- ١٠٧ - ١٤ - مسألة في الطب
- ١٠٧ - ١٥ - العروس
- ١٠٨ - ١٦ - الغنية عن الكلام وأهله، والكلام عنه بتوسع ..

- ١٧ - مسألة في الفطرة ١١٣
- ١٨ - رسالة في الكلاله ١١٤
- ١٩ - مناقب الإمام الشافعي ١١٤
- ما عُد من مؤلفات الخطابي؛ ولم تثبت نسبته إليه
- ١ - عجاله العالم ١١٥
- ٢ - معالم التنزيل ١١٦
- ٣ - كتاب من روى عن النبي ﷺ وأبوه ١١٧
- ٤ - عقيدة الإمام الخطابي ١١٧
- مؤلفاته الحديثية غير المطبوعه
- ١ - الأمالي ١١٩
- ٢ - علم الحديث ١١٩
- ٣ - معرفة السنن والآثار ١٢٠
- ٤ - المنتخب ١٢١
- الفصل الرابع: التعريف بمؤلفاته الحديثية المطبوعه ومنهجها فيها
- المبحث الأول كتاب شأن الدعاء ١٢٥
- تسميته الكتاب، وتوثيق نسبته ١٢٥
- رجال موارد الكتاب ١٢٩
- مميزات الكتاب ١٣٨
- طبع الكتاب ١٤٠
- ١ - كتاب العزلة الكبير ١٤٢
- ٢ - كتاب العزلة الصغير ١٤٧
- تسمية الكتاب، وتوثيق نسبته ١٤٧

- ١٤٨ موضوعه
- ١٤٨ السبب الباعث على تأليفه
- ١٥٠ مراد المؤلف بالعزلة
- ١٥٩ تقويم الكتاب
- ١٦٣ طبعات الكتاب
- ١٦٧ ٣ - كتاب غريب الحديث
- ١٦٧ اسمه وتوثيق نسبه
- ١٦٧ المراد بغريب الحديث عند الخطابي
- ١٦٨ موضوع الكتاب
- ١٦٩ مكان وزمان تأليفه
- ١٧٠ السبب الباعث على تأليفه
- ١٧٣ شرط المؤلف فيه
- ١٧٤ طريقته في ترتيبه ومواده
- ١٧٨ طريقته في شرح الألفاظ والعبارات الغريبة
- ١٩١ طبعات الكتاب وتقويمها
- ١٩٥ ٤ - كتاب «إصلاح غلط المحدثين»
- ١٩٥ اسمه، وتوثيق نسبه
- ١٩٦ السبب الباعث على تأليفه
- ٢٠١ مميزات الكتاب
- طبعات الكتاب
- ٢٠٧ ٥ - كتاب معالم السنن
- ٢٠٧ اسمه، وتوثيق نسبه

٢٠٧ المراد بمعالم السنن
٢٠٧ موضوع الكتاب
٢٠٨ مكان وزمان تأليف الكتاب
٢٢٥ طبعات الكتاب
٢٢٩	٦ - كتاب أعلام الحديث
٢٢٩ عنوانه
٢٢٩ توثيق نسبه
٢٣٤ المراد بأعلام الحديث
٢٣٥ موضوع الكتاب
٢٣٦ شرط المؤلف في شرحه
٢٣٨ عدد الأحاديث المشروحة في أعلام الحديث
٢٣٩ أولية الخطابي في شرح صحيح البخاري
٢٤١ ترتيب الكتاب
٢٤٤ أثره في غيره
٢٥١ تقويم الكتاب
٢٥٤ طبع الكتاب
٢٥٩ الفهرس

